جامعة عدن
كلية الآداب
قسم التاريخ

التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد

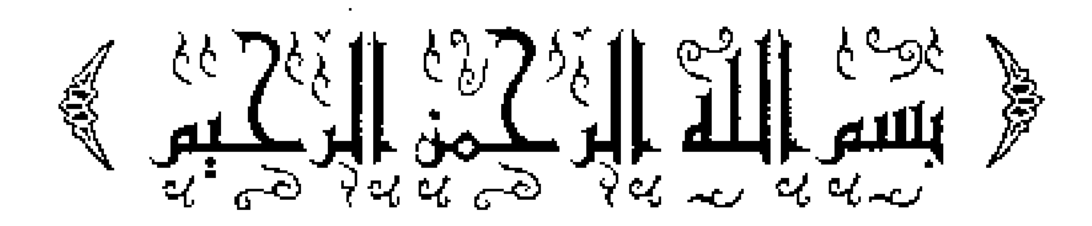
قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير
في التاريخ القَديم

إعداد:
هشام عبد العزيز ناشر

الإشراف العلمي:
أ.م.د.أحمد بن أحمد باطايع

2003م/1424هـ




بسم الله الرحمن الرحيم



أشهد أن هذه الرسالة قد أنجزت بإشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.

المشرف العلمي: أ.م.د.أحمد بن أحمد باطايع

التوقيـــــع :

التاريـــــخ :

بناء على توصية المشرف العلمي ترّشح الرسالة للمناقشة.

النائب الأكاديمي لعميد الكلية: رئيس القسم:

نُوقشت هذه الرسالة؛ الموسومة بـــ" **التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد**"المقدمة من الطالب:هشام عبد العزيز ناشر عبده، وأُجيزت بتاريخ:

رئيس وأعضاء لجنة المناقشة:

الاسم		التوقيع
١- أ.د. عبد الله حسن الشيبة	رئيسًا	
٢- أ.د. أسمهان سعيد الجرو	عضوًا	
٣- أ.م.د. أحمد بن أحمد باطايع	عضوًا ومشرفًا	

﴿لولا أن الله ﷻ خصّ بلطفه كل بلدٍ من البلدان، وأعطى كل إقليم من الأقاليم شيئًا منعه غيره؛ لبَطُلت التجارات وذهبت الصناعات؛ ولما تغرّب أحد، ولا سافر رجل ولتركوا التهادي، وذهب الشراء والبيع والأخذ والعطاء، إلا أن الله أعطى كل صقع في كل حين نوعًا من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا، ويستمتع قوم بأمتعةِ قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير﴾

أبو الحسن الهمداني.

الإهداء

-إلى روحيهما- والدي ووالدتي- اللذين بذرا فيَّ أُولى بذور المعرفة.

-إليها - زوجتي- معها، وبها أُصبحت لحياتي هدف، ومعنى.

-إليهم- أُخوتي- منصور، وعصام، ومحمد مع امتناني، ومحبَّتي.

-إليهما-صديقيَّ- علي بن علي، وكيسى محمد موسى؛ مع اعتزازي بصداقتهما.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين؛ الذي علمنا ما لم نكن نعلم، الصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه، ومن ولاه إلى يوم الدين.

لستُ الأول؛ ولن أكون الأخير؛الذي يعترف بالجميل لقيادة جامعة عدن؛لاسيما رئيسها الدكتور/ صالح علي باصرّة؛ فلهم جزيل الشكر؛ والتقدير؛ نظير دعمهم المادي، والمعنوي لي في سبيل إنجاز الأطروحة،وفي هذا السياق؛ أشكر- كذلك- عمادة كلية الآداب.

كان كرم أستاذي الفاضل الدكتور/ أحمد بن أحمد باطايع كبيرًا؛حين شرّفني بقبوله الإشراف العلمي على رسالتي، وفي كل مراحل إنجاز هذه الرسالة؛ كان منارةً أضاءت لي سُبُل المعرفة والبحث؛ من خلال توجيهاته، وإرشاداته المستمرة؛ التي يستطيع القارئ أن يلمسها في كل صفحات الأطروحة، جزيل الشكر، والعرفان له، على كل ما قدّمه لي؛ لاسيما الكثير من المراجع؛ التي لم يكن باستطاعتي الحصول عليها؛ لولا تفضُّله عليّ بها، وكذلك على صبره وسعة صدره في مناقشتي، وإقناعي بكثير من الملاحظات؛ التي استنزفته جهدًا، ووقتًا-غالبًا- على حساب راحته.

خالص امتناني، وتقديري للأستاذة/ د.أسمهان سعيد الجرو؛ التي شملتني برعايتها وشجّعتني؛ بل ومهّدت لي طريق البحث العلمي؛ منذُ بداية دراستي للتاريخ. كما أتقدم بجزيل الشكر، والتقدير للدكتور/ نصر سالم هادي على دعمه،ورعايته الدائمتين لي؛ لاسيما في أصعب مراحل إنجاز الأطروحة، وشكر خاص للأستاذة /أسمهان عقلان؛ التي لا أنسى لها مواقفها النبيلة، في كل مراحل دراستي .

لهم؛ أساتذتي أتقدم بشكري، وامتناني، وتقديري؛ إذ علمُوني، ووهبوني الكثير من معارفهم وخبراتهم؛ وكان هدفهم -جميعًا- أن يَعِدُّوني، ويصنعوا مني باحثًا؛ فأتمنى أن تكون جهودهم -تلك- قد تكللت بالنجاح.

زميلان،وصديقان عزيزان؛ وضعا بصماتهما على رسالتي فاستحقا شكري وامتناني:حامد بافقيه؛ الذي أمدّني بمعظم المراجع الأجنبية؛ فكان خير معين في هذا الجانب.وجمال أحمد القعيطي؛ الذي ساعدني -كثيرًا- بتجهيز الخرائط المتعلقة بالبحث جميعها؛ فلولاه لما تمكنت من إنجازها، وفي هذا السياق أشكر الأخ/ أحمد حنشو، لمساعدته لي في إعداد صور الرسالة. وكذلك الصديقين علي الكهالي ونبيل عبد الوهاب.

كما أشكر كل زملائي، وأصدقائي المدرسين، والمعيدين؛ اللذين تفضلوا بتقديم كل العون والمساعدة؛ التي مكنتني من إنجاز الأطروحة،وكذلك الأخ العزيز لطفي شهاب لمواقفه الجادة. وفي

هذا السياق أشكر - كذلك- طلابي، وطالباتي في كليتي التربية، و الآداب اللذين تابعوني - باهتمام بالغ- في مراحل إعداد الرسالة، وقدموا لي المساعدة اللازمة.

ومع اعتذاري لعدم ذكر الأسماء- حتى لا تطول القائمة- أتقدم بشكري لكل من ساهم بطباعة وتصوير، وتجهيز الأطروحة، وتصحيحها لغويًا. في هذا الجانب لا يفوتني أن أشكر كل موظفي وموظفات المكتبات في كلية الآداب؛ وجامعة عدن ومراكزها، والمكتبة الوطنية، وكذلك موظفات مكتبة مركز الدراسات والبحوث اليمني(فرع عدن) ومديرها الدكتور مرشد شمسان،والأخ/ خالد سيف. بالإضافة إلى موظفي المكتبات العامة في دمشق.

الشكر، والعرفان لكل أفراد عائلتي؛ الذين تكبّدوا- بصبر وبالقدر ذاته- كل التعب، والمعاناة التي رافقتني أثناء إعداد الرسالة، كما تحمّلوا -مني- تقصيري بواجباتي تجاههم بكل حُب.

لن أطوي هذه الصفحة؛ حتى أفي شخصيتين حقيهما من الشكر، والامتنان:الأخ العزيز محمد عبيد ناصر؛ الذي تعلمت منه؛ كيف يكون العطاء-محبة- بلا حدود؛ فكانت مواقفه إلى جانبي في أحرج لحظات تجهيز الرسالة دليلاً ساطعًا على كرم أخلاقه. وأختي الفاضلة شادية طه فريد التي غمرتني، وأسرتي بأفضالها، واهتمامها بنا، بالإضافة إلى سؤالها، ومتابعتها الدائمة لي في كل مراحل إعداد الرسالة.

قائمة الاختصارات

بلاد العرب : شبه الجزيرة العربية

ب ت : بدون تاريخ.

CIH: Corpus Inscriptonum Himyariticarum.

GL: Glaser. E. مجموعة نقوش (إدوارد جلازر).

Ja: Jamme. Albert. مجموعة نقوش (ألبرت جام).

RES: Répertoir d´Epigraphie Sémitique.

مدونة النقوش السامية، نشرتها أكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية.



الفهـــارس

فهرست المحتويات

فهرست الملاحق

أولاً : الخرائط

ثانيًا : الصور




تمهيد:

في جغرافية شبه الجزيرة العربية وسورية




لمحة في جغرافية شبه الجزيرة العربية و سورية

أولا : شبه الجزيرة العربية

1- الأقسام الجغرافية وطبيعة الأرض:-

أ- **التقسيم الكلاسيكي**:قسّم المؤرخون، والجغرافيون الكلاسيكيون(اليونانيون، والرومانيون)؛ شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام :

أ.1- **العربية الصخرية**، وتضم القسم الشمالي الغربي، وهي المساحة التي سكن فيها الأنباط؛ والتي خضعت لنفوذ الرومانيين، والبيزنطيين، ويضم بعضهم لها شبه جزيرة سيناء، سميت بذلك بسبب طبيعتها الصخرية.

أ.2- **العربية الصحراوية**، وهي البادية التي تقع بين العراق، وسورية، حدودها الشمالية الغربية غير محددة؛ فما كان بعيداً عن متناول الجيوش اليونانية، والرومانية في هذا الاتجاه؛ يُعد عند الكلاسيكيين ضمن العربية الصحراوية .

أ.3- **العربية السعيدة**، وتشمل مساحة كبيرة من شبه الجزيرة العربية لديهم، حدودها الشمالية غير ثابتة؛ تتغير بتغير الأوضاع السياسية؛ وإن كانوا قد رأوا أنها تمتد من الطرف الشمالي للخليج العربي في الشرق إلى رأس خليج العقبة في الغرب .

وعلى الرغم من أن الكلاسيكيين قد اعتمدوا على طبيعة الأرض في تقسيمهم هذا إلا أنه عكس الحالة السياسية لشبه الجزيرة العربية؛ في القرن الأول الميلادي، فالقسم الأول قريب من الرومان؛ ثم أصبح تحت نفوذهم، والقسم الثاني؛ هو البادية، وما يسكنها من قبائل العرب، والقسم الأخير مستقل[1].

ب-**التقسيم العربيّ الإسلامي**(يُنظر الملحق خريطة1): أما مؤرخو العرب المسلمون وجغرافيو هم ؛ فقد قسّموا شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام- لم يرد أي تقسيم

---

[1]- لمزيد من التفاصيل في التقسيم الكلاسيكي ينظر جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، العلم للملايين (بيروت) ومكتبة النهضة (بغداد)، الطبعة الثانية، الجزء الأول، بيروت يناير 1976، ص164- 167 .

جغرافي للمنطقة من العرب الذين عاشوا قبل الإسلام- والأقسام الخمسة هي:- تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن[1]، ويُرجع الرواة أقدم رواياتهم؛ في هذا التقسيم إلى عبدالله بن العباس[2].

ب.1- **تهامة**، هي المنطقة المنخفضة؛ التي تقع بين جبال الحجاز، والبحر الأحمر؛ بما تضمه من مناطق عك، وبلاد الأشعريين، وحكَم، وكنانة، والمناطق كلها؛ التي تقع بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من الشمال إلى أعلى الجنوب[3].

ب.2- **الحجاز**، أطلق الجغرافيون العرب على منطقة سلسلة جبال السّراة؛ الممتدة من الشام؛ التي تخترق شبه الجزيرة العربية حتى جنوبها؛ اسم الحجاز، « ذلك أن جبل السُّراة وهو أعظم جبال العرب، وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازًا،لأنه حجز بين الغور وهوهابط وبين نجد وهوظاهر»[4] وسُمّيت الحجاز بذلك؛لأنها تحتجز المنطقة الضيقة في غربها؛عن المنطقة الواسعة في شرقها .

ب.3- **نجد**، تمتد وسط بلاد العرب،وهي الهضبة التي تكوِّن قلب شبه الجزيرة العربية[5] وهذه الهضبة تميل إلى انخفاض طفيف من الغرب إلى الشرق، وتقع بين الحجاز والعروض، وتحيط بها صحار من ثلاث جهات: النفوذ من الشمال، والربع الخالي من الجنوب، والدهناء من الشرق، ويُقسِّم علماء العرب نجد إلى قسمين: نجد العليا،ونجد السفلى[6]؛فنجد العليا ماولي الحجاز،وتهامة،ونجد السفلى ماولي العراق[7]،وطبيعيًا يمكن تقسيمهاإلى ثلاثة مناطق: منطقةوادي الرمة ،و المنطقةالوسطى و المنطقةالجنوبية [8].

ب.4- **العروض**، تشمل اليمامة، والبحرين، وما ولاها[9]،وسُمّيت عُروضًا؛لأنها تعترض بين اليمن، ونجد، والعراق[10]، ويغلب على أرضها الصحاري، والسهول الساحلية

1- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، صنعاء 1990 ص85 .

2- جواد علي: المفصّل ...، الجزء الأول، ص167 .

3- الحسن الهمداني : الصفة، ص85 .

4- الحسن الهمداني: ذاته .

5- جواد علي: المفصّل ...، الجزء الأول، ص181 .

6- الحسن الهمداني: الصفة، ص250 .

7- جواد علي: المفصّل ...، الجزء الأول، ص182 .

8- جواد علي: ذاته .

9- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر،بيروت، المجلد 3/ص101، المجلد 6/ ص160

10- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الرابع، ص112 .

وفيها عدد قليل من الواحات؛ التي نجمت عن سقوط القليل من المطر، أو عن وجود العيون التي تبلغ نحو (40) عينًا[1]، ومن مدنها (هجر)، و(إجراء)- عند الكلاسيكيين- العقير؛ لعلها كانت المدينة التجارية؛ التي عرفها المؤرخون باسم (جرهاء)، إضافة لـ (ليمامة) إلى الغرب من البحرين-اليوم-[2].

ب.5- **اليمن**،هي القسم الخامس من أقسام بلاد العرب؛ عند المؤرخين العرب، والمسلمين وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب، والجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية، « يفصل بينها وبين باقي أقسام شبه الجزيرة العربية خط يأخذ من حدود عُمان ويبرين إلى حد مابين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جُرش وكُثنَة، منحدرًا في السراة على شَعَف*عنز، إلى تهامة على أم جَحدم، إلى البحرحذاء جبل يقال له كدُمُل بالقرب من حَمِضة، وذلك إلى مابين كنانة واليمن من بطن تهامة» [3]،« وبلد اليمن طويل عريض : حده مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة الملك (اسم وادٍ في اليمن) سبع مراحل، ومن صنعاء إلى عدن- وهو آخر عمل اليمن- تسع مراحل (والمرحلة من خمس فراسخ إلى ستة)، والحد الثاني من وادي (وحا) إلى مابين مفارز حضرموت وعُمان عشرون مرحلة، ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرنا أنّه بحر القُلزُم، والصين والهند، فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة»[4].

بهذا؛ امتدت اليمن من عُمان في الشرق ؛حتى ساحل البحر الأحمر في الغرب؛ أي من الجانب الغربي إلى الجانب الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية بما في ذلك الشحر (ساحل البحر بين عدن، وعُمان) وكذلك عُمان[5].

يرى ابن المجاور اليمن؛ مشتملة على (تهامة، ونجد اليمن)، وعُمان، ومَهْرة وحضرموت، وبلاد صنعاء، وعدن، وسائر مخاليف اليمن[6].

1- لطفي عبدالوهاب يحيى:العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت 1979م،ص102

2- لطفي عبدالوهاب يحيى: ذاته. لمزيد من التفصيل يُنظر الهمداني: الصفة، ص272 .

* الشَعَف: أعلى الشئ .

3- الحسن الهمداني: الصفة، ص9 .

4- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر، المجلد الثاني، لبنان(بيروت)1989م، ص89 .

5- عمرفرّوخ : تاريخ الجاهلية ،دار الملايين،الطبعة الثانية،بيروت مارس 1984م،ص35.

6- جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تصحيح أوسكر لوففرين، شركة دار التنوير، الطبعة2، بيروت 1986م، ص39 .

ج-صحراوات شبه الجزيرة العربية:(يُنظر خريطة 1)

شبه الجزيرة العربية؛جزء من صحراء كبرى؛ممتدة في شمال إفريقيا، وغربي آسيا،يفصلها عن قسمها الإفريقي نهرالنيل، والبحرالأحمر[1]؛ فطبيعة أرضها صحراوية؛ غير أنه في أغلبها بوادٍ، وسهول[2] ، ويمكن تمييز ثلاث صحارٍ في بلاد العرب:-

ج.1- **النفود**، تقع في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية، عُرفت عند المؤرخين المسلمين باسم(رملة عالِج)[3]، تمتد بشكل مائل، أومنحدرمن الغرب إلى الشرق، تبدأ غربًا من واحة تيماء، وتمتد بمسافة 450 كم- تقريبًا- نحو الشرق؛ بينما يبلغ امتدادها من الجوف شمالاً إلى جبل (شُمَّر) في الجنوب؛ حوالي 250كم، وبالتالي فهي تتبسط بين نجد، وبلاد الشام، والعراق، ومدين، ورمالها كثيفة[4]؛ لكنها قابلة للاجتياز؛لاسيما في الشمال .

ج.2- **الدهناء**، تقع بين صحراء النفوذ في الشمال، وصحراء الرُبع الخالي في الجنوب وتمتد فيما بين الإحساء، ونجد، رمالها حمراء، وكثبانها مختلفة الارتفاعات؛ تتغير عادةً مع الرياح، تتوافر في هذه الصحراء مراعٍ جيدة؛ بسبب توفر الكلا؛ غير أن مناطقها الفقيرة إلى الماء؛ لاتصلح للرعي؛ كغيرها من الصحاري[5].

ج.3- الربع الخالي، جنوب صحراء الدهناء، تمتد بين نجد، وحضرموت، ومهرة وعمان،ومأرب،تحتوي على أشكال مختلفة من الرمال؛ منها:المتحرك، ومنها الثابت[6] سطحها شديد التفاوت، والتباين؛ قامت على أطرافها محطات لطُرق القوافل؛ المتجهة من الجنوب إلى الشمال.

1- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت 1983م، ص18 .
2- جواد علي: المفصّل ...، الجزء الأول، ص145.
3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الرابع، ص70، المجلد السادس، ص96 .
4- جواد علي: المفصّل ...، الجزء الأول، ص152 – 153.
5- برهان الدين دلو:جزيرة العرب قبل الإسلام،دار الفارابي،الجزء الأول،الطبعة الأولى،بيروت 1989م،ص36-37
6- محمود طه أبو العلا:جغرافية شبه الجزيرة العربية،مكتبة الأنجلو مصرية،الجزء الأول،الطبعة الثالثة،القاهرة 1988م،ص45.

لم يسمّ العرب هذه الصحراء باسم جامع؛ لكن سمّى أهل كل قطر مايليهم باسم خاص؛فطرفها الغربي(صهيد)،والشرقي(وبار)،والشمالي(يبرين)،والمنطقة الممتدة في شمال حضرموت،وشرقها (الأحقاف)[1].

د- أودية شبه الجزيرة العربية: (يُنظر خريطة 1).

شبه جزيرة العرب لا تستوعب أنهار كبرى؛ كما هو الحال في العراق،وبلاد وادي النيل[2]؛ غير أنها لا تخلو من الأودية المهمة؛ التي قامت على جوانب بعضها حضارات، وعواصم ممالك؛ كان لها شأن كبير، وعظيم في ذلك الوقت؛لاسيما في المنطقتين الجنوبية والشرقية؛إذ أقام الناس منذُ القدم في المناطق الأكثر وفرة بالمياه[3] فالخريطة التاريخية لليمن القديم تبين أن معظم مواطن الحضارة قامت في مراحلها الأولى-المبكرة- على حواف الأودية القادمة من المرتفعات الغربية؛ التي تنفذ إلى الصحراء؛ حول (مفازة صهيد)(رملة السبعتين اليوم)، وماحواليها؛ حيث كانت هذه المناطق تتلقى أوفر كمية من السيول .

ويمكن تحديد الأودية التاريخية في بلاد اليمن ؛التي قامت عليها الممالك اليمنية القديمة؛ في زمن لا يبعد عن الألف الثاني قبل الميلاد على الأرجح- وإن كان أغلب هذه الأودية اليوم جافة؛ بسبب الزحف الصحراوي،أو بسبب الرواسب الطينية والغرينية- على النحو الآتي :

- وادي حضرموت، ووادي عرمة المعشار، ووادي العطف في نطاق مملكة حضرموت.
- وادي مرخة، وادي ضُرا-عبدان في نطاق مملكة أوسان.
- وادي بيحان، ووادي حريب في نطاق مملكة قتبان .
- وادي الجوف ووادي (نهر) الخارد[4] في نطاق مملكة معين .
- وادي أذنة في نطاق مملكة سبأ [5].

---

[1]- برهان الدين دلو:جزيرة العرب...،ص36.

[2]- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع، ص178 .

[3]- أسمهان سعيد الجرو(1988م): تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية)، مجلة سبأ، الجمعية التاريخية، كلية التربية، جامعة عدن، العدد الرابع، ص94 .

[4]- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع، ص178 .

[5]- أسمهان سعيد الجرو(1988م) :(تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية)، مجلة سبأ، ص99- 100.

كما أن هناك أودية كانت بعيدة عن مواطن الحضارة في بلاد اليمن القديم في هذا الوقت مثل:وادي مور، وادي سُرْدُد، وادي سهام، وادي رماع، وادي زبيد، وادي نخلة، وادي رسيان وموزع، وجميعهم في نطاق منطقة تهامة اليمن، والمنطقة الغربية ويصبُّون في البحر الأحمر، وادي تبن؛ وهو من الوديان الكبيرة في اليمن، ينبع من شمال تعز، وتنتهي مياهه قرب قرية العماد؛ قبل أن يصل إلى البحر، وادي بنا؛ ينبع من المرتفعات القريبة من يريم، ويصب في خليج عدن، وادي حجر؛ يجري إلى الغرب من حضرموت، ويصب في البحر العربي، وادي ميفعة ويقع في إطار المنطقة الوسطى[1] .

أما أشهر أودية شبه الجزيرة العربية في أقسامها الأخرى :-

- وادي سِرحان ويبلغ طوله 300كم، وعرضه(50- 70 كم).[2]

- وادي الحَمْض (إضم قديمًا) يقع بين مدين والحجاز، يصب في البحر الأحمر.

- وادي الرُمة، من أعظم وديان الجزيرة العربية؛ يسير باتجاه الشمال الشرقي إلى مشارف البصرة.

- وادي الدواسر، ينبع شرق عسير، وينتهي عند قرية السُّلَيْل؛ غرب صحراء الرُبع الخالي[3].

- وادي نخال، يصب في وادي الصفراء بين مكة، والمدينة، والصفراء وادٍ من ناحية المدينة، كثير النخل، والزرع؛ في طريق الحج .

- وادي بدا، قرب (أيلة) يتصل بوادي القُرى. ووادي القُرى؛ وادٍ مهم بين العُلا والمدينة، يمر به طريق القوافل؛ الذي كان شريانًا من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم، ويقال له (وادي الديدبان)[4] ، وكان عامرًا جدًا، وتُشاهد فيه آثار القرى والمدن، وقد عُثر فيه على كتابات كثيرة لحيانية وسبئية ومعينية وغيرها[5].

1- اسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته، ص107- 109، وكذلك عيدروس بلفقيه: جغرافية اليمن (دراسة إقليمية)، الباب الأول، الجغرافية الطبيعية، عدن- أكتوبر 1986م، ص118 .

2- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم، ص24.

3- برهان الدين دلّو: جزيرة العرب...، الجزء الأول، ص44-45.

4- ياقوت الحموي:معجم البلدان،المجلد الثاني، ص87 .

5- جواد علي:المفصل...،الجزء، الأول،ص168-169.

وهناك أودية أخرى كثيرة؛ منتشرة في شبه الجزيرة العربية؛ لم يتم ذكرها حتى لايفقد البحث الهدف الأساسي من التعرف على هذه الأودية، لكن من المهم الإشارة إلى أنه إلى جانب قيام عواصم الممالك، وحواضرها على ضفاف هذه الأودية واستيطان الناس حولها؛ فقد قامت هذه الأودية بغرض آخر؛ وهو تحديد طريق القوافل والحج[1].

2- موقع شبه الجزيرة العربية وأهميته :

تقع شبه الجزيرة العربية في منطقة وسط؛ بين قارات العالم القديم؛ ذات الأقاليم المناخية، والنباتية المختلفة[2]، تُعد أكبر شبه جزيرة في العالم، مساحتها- بتكويناتها السياسية الحالية- حوالي (مليون كم2)؛ مما يعني أن المساحة كانت أكبر من ذلك في تاريخها القديم[3]، حدودها في ثلاث جهات؛ ثابتة، وواضحة؛ بسبب طبيعتها؛ فهي محاطة بالبحار من جهات الشرق، والجنوب، والغرب؛ حيث يحَدّها؛ شرقًا الخليج العربي، ومن الجنوب بحر العرب، بينما بحر القُلزُم (البحر الأحمر اليوم) يحدًّها من الغرب، أما حدودها الشمالية- التي لا تتعدى بادية الشام- فهي حدود غير ثابتة، وتعتمد على الحالة السياسية لقبائل الشمال؛ قوةً وضعفًا، وإن كان بعض مؤرخي العرب يدخلون شواطئ فلسطين، وأرض سيناء، وكل باديتي العراق والشام ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية[4] .

أطلق العرب قديمًا على بلادهم اسم (جزيرة العرب)؛ غير أن هذه التسمية غيرصحيحة من الناحية العلمية،« و إنما سميت بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها، وأطوارها، وصار منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر»[5]؛ فالحدود الشمالية كثيرة المياه؛ بسبب وجود مجاري نهر الفرات -لاسيما الأسفل منها- التي تتقارب مع غيرها من الأنهار الصغيرة في سورية؛ الأمر الذي جعل العرب يطلقون على بلادهم (جزيرة العرب).

---

[1] - فيليب حتي(وآخرون):تاريخ العرب ، دار هندور،للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الثامنة،بيروت،ص45.

[2] - نورة عبد الله العلي:الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى، الرياض1992م،ص21.

[3] - محمود طه أبو العلا :جغرافية شبه الجزيرة العربية،ص20.

[4] -- محمد بيومي مهران:تاريخ العرب القديم،دار المعارف الجامعية،الجزء السادس،الأسكندرية 1993م، ص94.

[5] - الحسن الهمداني:الصفة،ص84.

لموقع شبه الجزيرة العربية، وحدودها أثر؛ بالغ في تاريخها القديم؛ فهي تشرف على شريط ساحلي طويل؛ يمتد في ثلاث جهات منها، وفي كثير من مواضعه موانئ طبيعية؛ كان لها دورًا عظيمًا في التجارة الدَّوليَّة بين الشـرق، والغرب؛ حيث شكّل بحر القُلزُم (البحر الأحمر)، وبحر العرب معبرين؛ نشأت من خلالهما علاقات العرب بشرق إفريقيا، كما أن بحر العرب ذاته، والخليج العربي ؛ كانا البحرين اللذين خاضتهما المراكب العربية، والهندية ذهابًا، وإيابًا بين المنطقتين(العربية والهندية)؛ لتنشأ مع هذه الحركة العلاقات التجارية، والحضارية؛ التي ربطت بينهما منذُ وقت مبكّر، وكان للخليج العربي- كذلك- دورًا ملاحيًا مميزًا في ارتباط سواحل العرب الشرقية، والجنوبية بمركز الحضارة في إيران، والعراق .

أما حدود شبه الجزيرة العربية الشمالية؛ فهي امتداد طبيعي لمناطق الهلال الخصيب في العراق، و سورية، كما أنه لا يوجد ما يفصلها عن صحراء سيناء في الجهة الشمالية الغربية، وسيناء هي الصحراء التي يتم عبرها الاتصال، والتواصل برًا مع بلاد الفراعنة؛ فبالتالي من خلال المنطقة الشمالية لشبه الجزيرة العربية؛ تقارب العرب مع شعوب مناطق الهلال الخصيب، كما أن الاتصال بالمناطق الفينيقية والفلسطينية ساعد على نمو العلاقات بين العرب، وشعوب حوض البحر المتوسط لاسيما العلاقات التجارية؛ التي فتحت المجال- فيما بعد- لعلاقات أخرى واسعة بينهما.

وهكذا؛ فالموقع الاستراتيجي-المهم- لشبه الجزيرة العربية؛ جعل منها جسرًا بين الشرق، والغرب؛ فهي تتوسط قارات العالم القديم، وتُجاور أشهر حضارته كالحضارة الهندية، والحضارات في إيران، والعراق، وسورية، والحضارة المصرية ومراكز التجارة، والموانئ في شرق أفريقيا، بالإضافة إلى الحضارتين اليونانية والرومانية، وبسبب تبايُن هذه الحضارات، واختلافها، وحاجة بعضها إلى بعض؛ أدت شبه الجزيرة العربية؛ بموقعها الوسط - بينهم- دورًا مهمًا في التبادل الحضاري والاقتصادي، كما كانت حلقة اتصال ثقافي، وتبادل تجاري بين هذه الحضارات .

ثانيًا: سورية:

سورية تسمية قديمة؛ أطلقت على الأراضي التي تقع بين جبال طوروس شمالاً

وشمال صحراء النفوذ جنوبًا، وسواحل البحر المتوسط غربًا، وبلاد الرافدين شرقا[1].

كان لاختلاف الطبيعة الجغرافية لسورية؛ أثر بالغ في تكوين الحضارة هناك فسورية الطبيعية تخلو من الأنهار الكبرى؛ باستثناء مجرى الفرات الأوسط في شرق سورية، وبعض الأنهار الصغيرة- نسبيًا- مثل (نهر العاصي)؛ الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط، و(نهر الأردن)؛الذي يمر بجنوب سورية، ويصب في البحر الميت - هو بحيرة مالحة قليلة الفائدة لا تصلح لحياة الأسماك- .

الصفة البارزة لطبوغرافية أرض سورية؛ هي تناوب الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة؛ بحيث يحادي بعضها بعضًا، وتتجه بشكل عمودي من الشمال إلى الجنوب، أو العكس[2].

1- الأقسام الجغرافية وطبيعة الأرض في سورية :-

أ- التقسيم الجغرافي: (يُنظر خريطة 2)

أ.1- **منطقة السهل الساحلي**؛ هي المنطقة التي تمتد على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛ ابتداءً من شمال سيناء حتى خليج الأسكندرونة، وهي أرض محصورة بين سلسلة الجبال، والساحل، تتسع في الشمال، والجنوب، وتضيق في الوسط، ويلاحظ أنه في بعض المواضع تقترب الجبال من البحر بشكل واضح، وتمتاز هذه الشقة الساحلية ببعض السهول الشهيرة- في العهود التاريخية- بخصبها واستقامتها، وخلوها من الخلجان؛ باستثناء خليج الاسكندرونة[3]. كما أن السهول المنحدرة عرضًا من الجبل إلى الساحل كانت - غالبًا- سبب في صعوبة المواصلات البرية قديمًا لاسيما في المناطق التي يقترب فيها الجبل إلى البحر .

---

[1]- عادل عبدالسلام: جغرافية سورية العامة، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الأولى، دمشق 1989م- 1990م، ص5.

[2]- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بغداد 1956م، ص211 .

[3]- طه باقر:المرجع ذاته،الجزء الثاني، ص213 . كذلك فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق،دار الثقافة ،الجزء الأول، بيروت، ص32.

أ.2- **سلسلة الجبال الغربية**؛ هي سلسلة الجبال التي تشرف على السهل الساحلي، وتمتد بامتداده؛ وهي من جبال الأمانوس (اللُكّام)* شمالاً؛ إلى طور سيناء جنوبًا، وهي بذلك تشكل عائقًا، أو حاجزًا للمواصلات بين السهل الساحلي، والمناطق التي تقع إلى الشرق منها، ولايمكن اختراق هذا الحاجز؛ إلا في الطرفين: الشمالي؛ عند خليج الإسكندرونة-إذ يمكن في هذا الموضع النفوذ إلى سهول بلاد الرافدين عبر شمال سورية- والجنوبي؛ عند خليج السويس- إذ يؤدي إلى البحر الأحمر، والصحراء العربية- إلا أن هناك منطقة اختراق أخرى لهذا الحاجز الجبلي؛ عند وادي النهر الكبير شمال طرابلس[1].وقد انتشرت- قديمًا-على هذه السلسلة الجبلية غابات كثيفة من الأشجار؛ التي تلاشت- تقريبًا- في الوقت الحاضر؛إذ كانت تُشكل موردًا خصبًا للأخشاب؛ التي كانت تصدَّر إلى بلاد الرافدين، ووادي النيل، والبلاد الواقعة خلف البحر الأبيض المتوسط والتي كانت تستخدم هناك في صناعة السفن، وأبواب القصور، والأثاث وغير ذلك .

أ.3- **سهل البقاع**؛ وهي المنطقة المنخفضة التي تقع إلى الشرق من سلسلة الجبال الغربية، وتبدأ شمالاً من المنعطف الشمالي لنهر العاصي؛ فتستمر جنوبًا خلال الأردن إلى البحر الميت، وتمتد حتى خليج العقبة (الخليج الشرقي لشمال البحر الأحمر)، وفي هذه المنطقة يجري نهر الأردن؛ الذي يصب في البحر الميت، وبالقرب من بعلبك يأخذ نهر العاصي اتجاهه شمالاً؛ بينما يجري نهر الليطاني جنوبًا، وسهل البقاع ذات تربة خصبة،ومراع جيدة[2]،وهذه المنطقة صالحة لزراعة الأشجار المثمرة؛كالتين، والزيتون والحمضيات،وكذا زراعة الحبوب؛كالقمح،والشعير، وزراعة الخضراوات.

أ.4- **سلسلة الجبال الشرقية**، تبدأ في الارتفاع من جنوب حمص لتأخذ خطًا موازيًا سلسلة الجبال الغربية باتجاه الجنوب لتنتهي في جبال سعير جنوب البحر الميت[3] .

---

*جبال اللُكّام بالعربية (من السريانية اوكاما أي الأسود) وبالتركية (جبل كاورداغ) بمعنى جبل الكفار أي المسيحيين ؛ لأنه كان لمدة طويلة حصن الإمبراطورية البيزنطية ضد الإسلام، نقلاً عن؛ فليب حتي: المرجع ذاته الجزء الأول،(في الهامش) ص32 .

[1]- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص32. كذلك طه باقر: مقدمة...،الجزء الثاني،ص213 - 214.

[2]- طه باقر: المرجع ذاته، الجزء الثاني، ص217 .

[3]- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص44 .

يُقسم نهر بُردى(نهرأبانة في التوراة)هذه الجبال إلى قسمين متمايزين:قسم شمالي؛جانبه الغربي عديم القرى؛ لايكاد يسكنه أحد، وقسم جنوبي؛ اشهرمرتفعاته جبل الحرمون(جبل الشيخ اليوم)،تكثرالقرى في منحدره الغربي،والصفة الغالبة علىهذه السلسلة الجبلية قلة الأمطار؛الأمر الذي جعلها أقل سُكنى؛ مقارنة مع سلسلة الجبال الغربية[1].

أ.5- **بادية الشام**؛ وتشمل المنطقة الممتدة في شرق سلسلة الجبال الشرقية؛ إلى الهضبة الصحراوية في بلاد الرافدين غربًا، تتداخل مع صحراوات شبه الجزيرة العربية في الجنوب؛ مشكّلة بذلك مثلثًا كبيرًا؛ تمتد قاعدته من خليج العقبة في الغرب إلى خليج الكويت في الشرق؛ بينما تكون قمته تدمرفي الشمال[2]، ويذكر أن سكان بادية الشام الرُحَّل كانوا يتاجرون مع السكان الحضرعلى حوافِ الصحراء،ويعملون وسطاء،وأدلاء ورؤساء قوافل[3].

هكذا؛ لم تساعد طبيعة سورية الجغرافية على إقامة شبكة كبيرة موحدة للري على غرار ماهو موجود في الحضارات المجاورة؛ كمصر، وبلاد الرافدين؛ فاعتمد- في الغالب- السكان على الرعي، وتربية الحيوانات، وكذا على التجارة في اقتصادهم وتصريف أمور معيشتهم .

ب- أودية سورية: (يُنظر خريطة 2)

تمر بسورية مجموعة من الأنهار، وعلى الرغم من أنها لا ترتقي في حجمها للأنهار الكبرى التي تجري في الأراضي المجاورة (العراق ومصر)؛ إلا أنّ لها تأثيرها على الحياة هناك منذُ القِدم، وأهم هذه الأنهار :

- **نهر العاصي، أطول أنهار سورية؛ بعد مجرى الفرات الأوسط، ينبع من منطقة قريبة من مدينة بعلبك في سهل البقاع؛ المحصور بين جبال لبنان الشرقية، والغربية؛ ويتجه**

1- فيليب حتي: المرجع ذاته، ص44. كذلك طه باقر: مقدمة...، الجزء الثاني ص220 .
2- جورجي زيدان: العرب قبل الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت(ب ت)، ص112 .-
3- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص46 . كذلك طه باقر: مقدمة ...، الجزء الثاني، ص221.

شمالا[1]- وهو اتجاه يخالف جريان الأنهار الأخرى في بلاد سورية- ليصب في البحر الأبيض المتوسط ؛عند الطرف الجنوبي لجبال الأمانوس (جبال اللكّام)[2].

- **نهر الليطاني**؛ ينبع من المنطقة نفسها؛ التي يبداء منها نهر العاصي في سهل البقاع؛ إلاّ أنه يتجه جنوبًا؛ ثم ينعطف غربًا؛ليمر عبر المنافذ الصخرية في جبال لبنان؛ حيث يُسمى -هنا-(نهر القادسية)،ويصب في البحر الأبيض المتوسط؛ بعد أن يمر بين صور وصيدا[3].
- **نهر الأردن**؛ ينبع من جبل الحرمون (جنوب سلسلة الجبال الشرقية)؛ فيتجه جنوبًا مارًا ببحيرتي (الحولة، وطبرية)؛ فيصب في البحر الميت[4].
- **نهر بُردى**؛ ينبع من أسفل المرتفعات الشرقية؛ المطلة على وادي الزبداني؛ فيتجه شرقًا مارًا بدمشق؛ ليروي حقولها، وبساتينها، وهي تلك الأراضي الزراعية التي تُعرف بـ(غوطة دمشق)- يستفيد منه اليوم سكان هذه المدينة بعد أن أصبح يمر بوسطها- وفي دمشق يتفرع النهر إلى خمسة فروع[5].
- **النهر الكبير**؛ ينبع من جبال النصيرية؛ قرب اللاذقية؛ فيتجه جنوبًا؛ ليمر بشمال طرابلس - وهو اليوم يشكل الحدود السياسية بين سورية ولبنان-[6] .

-**مجرى الفرات الأوسط**؛ وهو أحد المجاري النهرية المنحدرة من نهر الفرات، الذي يجـري في بلاد العراق، ويـمر بالمناطق الشـمالية لسـورية؛وإن كان بعضهم لا يرآه نهرًا سوريًا؛ لأن منبعه ليس هناك، كما أنه لا يجري كاملاً في الأراضي السورية[7].

2- موقع سورية وأهميته:-

تقع سورية غرب القارة الآسيوية، وتمتد بين جبال طوروس شمالاً وصحراء النفوذ وصحراء سيناء جنوبًا، والساحل الشرقي للبحر المتوسط غربًا، وبلاد الرافدين شرقًا[8].

---

[1]- طه باقر :مقدمة...،الجزء الثاني، ص217.كذلك عادل عبد السلام:جغرافية سورية العامة، ص184.

[2]- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص32-33.

[3]- طه باقر :مقدمة...،الجزء الثاني، ص217.كذلك د.فيليب حتي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص41.

[4]- أحمد أرحيم هبو:تاريخ الشرق القديم(سورية)،دار الحكمة اليمانية،الجزء الأول،الطبعة الثانية، صنعاء1999م،ص14.

[5]- طه باقر: مقدمة...،الجزء الثاني، ص220 . ولمزيد من التفاصيل ينظر عادل عبدالسلام: جغرافية سورية العامة، ص191-192 .

[6]- طه باقر: المرجع ذاته، الجزء الثاني، ص214. وكذلك، فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول،ص33

[7]- فيليب حتي: المرجع ذاته،الجزء الأول،ص41.

[8]- حلمي مخروس إسماعيل:الشرق العربي القديم وحضاراته،مؤسسة شباب الجامعة،الأسكندرية1997م، ص133.

وبالنظر إلى الموقع؛ يمكن الملاحظة أن له تأثيرًا بالغًا في تكوين الحضارة القديمة هناك؛ لأنه يصل بين قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وأفريقيا و أوروبا) كما أنه يقع بين الثالوث الحضاري القديم؛ لبلاد الرافدين، وبلاد وادي النيل، وبلاد جنوب شبه الجزيرة العربية؛ الأمر الذي ساعد على طبع الحضارات في سورية قديمًا؛ بمميزات خاصة؛ لأنها مُلتقى التأثيرات الحضارية، والثقافية؛ المنبعثة من الحضارات المحيطة بها، كما أتاح هذا الموقع لسورية؛ أن تقوم بدورها المميز في التبادل التجاري بين الشرق، والغرب؛ من خلال طُرق التجارة القديمة؛ الممتدة من الصين، و من أقصى جنوب الجزيرة العربية، إلى سورية؛ وبالمقابل؛ فإن هذا الموقع الاستراتيجي الوسط؛ جعلها عُرضة للغزو، ومرور الجيوش بأراضيها دومًا[1] بالإضافة إلى استقبالها لموجات الهجرة السامية، وغير السامية.

1- طه باقر: مقدمة...، الجزء الثاني، ص223.

المبحث الثاني:الأوضاع الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية وسورية.

أولاً: شبه الجزيرة العربية:

تمتاز شبه الجزيرة العربية بتنوع مواردها الاقتصادية، وقد ساعد على هذا التنوع طبيعة الأرض،وموقعها الجغرافي[1]؛ فأرضها تتوزع بين صحراوات،وبوادٍ، وواحات وجبال، وسواحل، ومناطق خضراء و زراعية، وما يتصل بذلك من اختلاف المناخ وجريان المياه، أما عن الموقع الجغرافي؛ فهي تقع بين قارات العالم القديم و بالقرب من حضارات البشرية الأولى، كما تُشرف على شريط ساحلي يمتد في ثلاث جهات منها، و في أغلبها سواحل تأتي إليها منتوجات الصين، والهند، و شرق أفريقيا؛ لتصبح تجارة العبور أحد أهم مواردها الاقتصادية.

اختلفت الموارد الاقتصادية لسكان شبه الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد باختلاف مواقعهم منها، و يمكن الحديث عنها في الآتي:

1- الزراعة و المحاصيل الزراعية:

لم تقم الزراعة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية؛ بل إن المساحات الخضراء تقل كثيرًا عن المساحات القاحلة، والرملية فيها؛ فمعظم أراضيها هي أراضٍ صحراوية كما أن قلة الماء لم يسمح بقيام الزراعة في مناطق واسعة؛ إلاّ أن المناطق التي تميزت بوفرة المياه - أكان عن طريق الأمطار الموسمية، أو الأنهار،والأودية الدائمة- ظهرت فيها غابات من الأشجار الطبيعية، كما ساعدها ذلك في قيام نشاط زراعي أيضًا[2]..

تركز النشاط الزراعي في مناطق متفرّقة من شبه الجزيرة العربية، وبشكل متفاوت بين هذه المناطق؛ فالجنوب، والمرتفعات الجنوبية الغربية؛ شكّلت أهم المناطق الزراعية؛ و أكثرها؛ و أخصبها، ثم يأتي القسم الشرقي؛ الذي يليه زراعيًا؛ حيث

---

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة ص 289. كذلك جواد علي : المفصّل ... ،الجزء السابع ص 5.

[2]- جواد علي: المفصّل ...، الجزء السابع ، ص 7.

اشتهرت بعض مناطقه بالخضرة، و بممارسة سكانها للزراعة، ثم الواحات الزراعية المتناثرة في نجد، والحجاز، والقسم الشمالي الغربي؛ وصولاً إلى البوادي في شمال شبه الجزيرة العربية، ووسطها؛ التي تنتشر على حواف صحراوات العرب، وصحراوات سورية، والعراق؛ حيث يظهر فيها العشب بين الحين و الآخر؛ بحسب هطول الأمطار مما يدفع القبائل الرعوية إلى الانتقال، و الانتشار حولها، و ممارسة حياتهم هناك[1]

أ- الزراعة في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية:-

إن دراسة الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، والمرتفعات الجنوبية الغربية تحتاج إلى الكثير من المساحات البحثية- وهي تضيق في هذه الدراسة بالطبع- لأن الزراعة؛ هي أساس ظهور الحضارة، و استقرار الإنسان في هذه المناطق*، و قد مارستها شعوب، و قبائل دول الجنوب القديمة آنذاك، ساعدهم في ذلك وجود الأودية التي قامت عليها هذه الدول، و هطول الأمطار الموسمية، و كذلك تراكم الخبرات الزراعية التي أساسها الإنسان، إضافة إلى وجود حكومات كبيرة؛ اهتمت بالأرض الزراعية؛ وما يتعلق بها من تنظيم، و بناء السدود، وتطويع الجبال بعمل المدرجات الزراعية، وكذا سن القوانين المنظمة للعمل بها، وتحديد الأراضي الزراعية، وملكيتها و تنظيم العمل الزراعي بين الناس؛ يتضح ذلك كله من خلال النقوش الكثيرة التي تمّ العثور عليها؛ إذ تم تصنيف بعضها تحت اسم (نقوش المعاملات)، وهي التي تحدثت عن علاقات الملكية للأرض الزراعية، ومنشآت الري،وعلاقات الشراكة في المزارعة وتقسيم الربح، و علاقات البيع، و الشراء، و الرهن، كذلك تحدثت عن تعاون الأهالي في إقامة منشآت زراعية عامة؛ و ما يترتب على كلّ منهم من حصص تكاليف المنشآت، وترميمها، أمّا النقوش التي سُميت بـ(نقوش البناء، والتشييد)؛ فقد أوضحت مدى اهتمام الدولة، والمقتدرين من المواطنين، وكبار الموظفين بكل ما يتعلق بالزراعة إذ تذكر المنشآت، والمباني الزراعية؛ كالسدود، والآبار، والقنوات، والبرك، إضافة

1- لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة ،ص 289.
*- ليس المقصود هنا عوامل ازدهار الحضارة و تطورها، والتي تتعدى الزراعة في نظر الباحث.

إلى وصف المواد المستخدمة في بنائها، ووصف الأجزاء المكونة لها، كما تذكر أسماء وصفات من قام بالبناء، والتشييد في مختلف مراحله[1].

من خلال هذا الاهتمام للدولة؛ يتضح مدى أهمية الزراعة، و مكانتها في جنوب بلاد العرب- في ذلك الزمان- حتى أصبحت الزراعة-هناك- مُتقدّمة جدًا؛ بالنسبة للمناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية[2]؛ فالزراعة تُعد موردًا اقتصاديًا مهمًا؛ اعتمد عليه السكان هناك، و مما يدفع إلى الاعتقاد باكتفاء مناطق الجنوب من هذا المورد؛ هو أنه لم يرد ذكر استيرادها للمحاصيل الزراعية- خلال هذه المدة- من مناطق أخرى، كما أن نقوش عرب الجنوب؛ تُرسّخ هذا الاعتقاد، عندما تذكر الأراضي الزراعية، و النشاط الزراعي؛ بأنه قام في مناطق شاسعة، وفي كل دول الجنوب على اختلاف محاصليها[3].

ملكية الأراضي الزراعية في دول الجنوب:-

تذكر النقوش ثلاثة أشكال لملكية الأرض- اعتمدتها دول جنوب شبه الجزيرة العربية قديمًا- كان لها أثر فعّال في النشاط الزراعي هناك؛ هي[4]:-

1- ملكية الدولة (الحكومة) :

هي أراض واسعة، وخصبة، تكون تحت وصاية، وإشراف الملك- خليفة الإله على الأرض- و قرارالانتفاع بها؛ يصدره الملك؛ لكن بعد مشورة مجلس الشيوخ تُسجّل هذه الأراضي باسم الآلهة، وباسم الشعب الحاكم على نحو(أرض المقه، وسبأ)[5] وقد ساعدت الحروب في توسيع ملكية الدولة للأرض؛كالحرب التي انتصر فيها(كرب ايل وتر) ملك سبأ؛ على دولة أوسان؛ و أصبح للدولة نصيب من الأراضي المصادرة.

1- إبراهيم الصلوي : محاضرات في قواعد لغة النقوش اليمنية القديمة، المحاضرة الثانية (محتوى النقوش اليمنية)، صنعاء 1998، ص2 من المحاضرة. كذلك جواد علي : المفصّل... الجزء السابع، ص25، كذلك يوسف محمد عبدالله :(عمَّ تتحدث النقوش اليمنية القديمة)،في كتابه أوراق في تاريخ اليمن آثاره، دار الفكر المعاصر الطبعة الثانية، بيروت عام 1990م،ص48 .

2- جواد علي: المفصّل .. ، الجزء السابع ، ص 36.

3- للمزيد حول التوزيع الإقليمي للأراضي الزراعية يُنظر: أسمهان سعيد الجرو:(النهضة الزراعية في اليمن القديم)، مجلة سبأ، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة عدن، العدد السابع، يونيو 1998م، ص 27 – 32.

4- أسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته، ص 42.

5- أسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته، ص43

2- ملكية المعبد:

هي- أيضًا- أراضٍ واسعة، و خصبة، يشرف عليها الكهنة، و أسرهم التي تقوم بإدارة المعبد؛ فيعملون على استثمار هذه الأراضي من خلال تأجيرها وفق وثيقة خاصة؛ ذُكرت في النقوش باسم (وتفم)(وتف) التي تحدد شروط التأجير[1]، تمتاز أراضي المعبد؛ بأنها معفيّة من الضرائب، ويتحصل عليها المعبد؛ إما عن طريق الانتصارات العسكرية، و إما عن طريق الهبات، والنذور، وكذا الأوقاف[2].

3- الملكية الخاصة :-

تنقسم إلى :-

أ- ملكية الملوك والأعيان :-

أراضي الملك؛ هي خير الأرض، وأخصبها؛ يستطيع التصرف بها مباشرةً وغالبًا ما يؤجرها لإحدى القبائل؛ التي تصبح مسؤولة أمامه عن الأرض، أما أراضي الأعيان؛ فقد ظهرت في عهد متأخر؛ إذ نجد سادة القبائل، وأشرافها، وكذا كبار قادة الجيوش يمتلكون إقطاعيات زراعية واسعة؛ بما فيها من حقول، وبساتين، وينابيع وقنوات، وجبال، وأودية[3].

ب- ملكية الأفراد :-

تتسم بأنها أراضٍ أقل خصوبة- قياسًا بالملكيات السابقة الذكر- مساحتها صغيرة أصحابها هم صغار المُلاك؛ ويتحصلون على الأرض؛ إما من الدولة؛ وإما من سادة القبائل[4].

المحاصيل الزراعية المنتجة في أراضي عرب الجنوب :-

أهم المحاصيل .الزراعية التي كانت تنتجها الأراضي الزراعية في جنوب وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية؛هي الحبوب: كالذرة،والدخن، والشعير، والطهف

1- محمد عبد القادر بافقية: تاريخ اليمن القديم،ص205.للمزيد حول عقود الوثف يُنظرجوادعلي: المفصل...،الجزء السابع، ص143.

2- جواد علي : المفصل...،الجزء السابع،ص173.وكذلك اسمهان سعيد الجرو:(النهضة الزراعية في اليمن القديم)،مجلة سبا، ص44.

3- اسمهان سعيد الجرو:المرجع ذاته، ص45.

4- جواد علي :المفصل ...،الجزء السابع،ص140.وكذلك اسمهان سعيد الجرو:المرجع ذاته، ص45.

والسمسم، والعدس، وكذلك القمح (البُر بالمسند)، ومن أنواع الفواكه: العنب، والتين والرُمَّان، والتفاح، والموز[1]، وكذلك الكمثري[2]،أما ملكة أشجار شبه الجزيرة العربية (شجرة النخيل)؛ فقد وجدت في هذه المناطق- أيضًا- لاسيما في تهامة الساحلية، وإقليم حضرموت الزراعي، وهي ذات فوائد كثيرة[*]، أهمها محصول التمر[3]. كما كان لمحصول البقول أهمية خاصة؛ إذ تمت زراعته في هذه المناطق، ووجدت له آثار في مأرب، أما أهم أنواع الخضروات التي زرعها عرب الجنوب- في مناطق كثيرة هناك- هي : القثاء، والخيار، والبصل، والثوم، والكراث، وغيرها[4].

أنتجت العربية الجنوبية محاصيل زراعية؛ ذات مردود اقتصادي (نقدي)، وهي التي أدّت الدور الأهم في عملية المتاجرة لدى سكانها، وذاع صيتها في العالم القديم فكانت مصدر مهم لثرائهم، وشهرتهم آنذاك، أهـمها البخور بأنواعه : الكنـدر(اللُبان) والمر، والصبر، إضافة إلى الورس؛ الذي استخدم في عملية الصباغة[5]، وقد كان ظهور أشجار هذه المحاصيل؛ طبيعيًا أول الأمر، ثم ما لبث أن ُزرعت منذ القرنين السابع،والسادس قبل الميلاد[6]،و أشـجار اللـبُان اشتهرت بها منطقة ظـفار حضرموت إلاّ أنّ هناك إشارات عن وجودها في مناطق مخـتلفة من دولة حضرموت مثل(وادي حجر)، أما المُر؛ فقد وجد في كثير من مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية[7].

1- يوسف محمد عبد الله:(سد مأرب وأمر إعادة بنائه) أوراق ...،ص93. للمزيد يُنظرجوادعلي: المفصل...،الجزء السابع،ص57-60.

2- ج.م. باوير،أ.لوندن: تاريخ اليمن القديم،ترجمة أسامة أحمد،دار الهمداني للطباعة والنشر،الطبعة الأولى،عدن 1984م،ص16.

* يقال أن للنخيل نحو (360) فائدة، جواد علي : المفصّل...، الجزءالسابع، ص69 .

3- جواد علي : المفصّل...، الجزء السابع، ص67. كذلك د. أسيمهان سعيد الجرو : النهضة الزراعية في اليمن القديم ص51 .

4- أسمهان سعيد الجرو : المرجع ذاته، ص52 .

5- حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، الطبعة الثانية، بيروت 1981، ص 162

6- ج.م. باوير، أ. لوندن: تاريخ اليمن القديم، ص 16.

7- محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص 176 .لمزيد من التفصيل ُينظر الفصل الثالث من هذه الدراسة (مادة اللبان).

نُسبت هذه المحاصـيل النقدية إلى أسماء الدول، و الشـعوب؛ التي تاجرت بها (كالمر المعـيني)، أو إلى أسـماء المناطق التي زُرعت فـيها(كالـمر القتباني) و(المر الحضرمي)، و (المر الأوسارتي)، وكذا (الصبر السقطري) و هو الأجود[1] وغيرها، ويضاف إلى هذه المحاصيل؛ محاصيل ذات رائحة طيبة - أيضًا- كالقرفة واللادن(المستكة)[2]، وغيرها من التوابل.

ومن المحاصيل النقدية- كذلك- محصول القطن؛ الذي يبدو أنه زُرع في مناطق كثيرة؛ منها سهول تهامة الساحلية، و السهول الساحلية الجنوبية، و إقليم حضرموت[3].

اهتمت دول الجنوب بهذه المحاصيل، و أحاطتها بعناية خاصة؛ لأنها محاصيل مقدّسة، تدرّعليهم ثروات طائلة؛ من خلال عملية المتاجرة بها مع سكان المناطق البعيدة الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية، و قد ساعدت الظروف الطبيعية الملائمة على بقاء زراعتها وقفًا على هذه المناطق؛ إذ لم تفلح محاولات زراعتها في مناطق أخرى[4].

ب- الزراعة في الأقسام الأخرى من شبه الجزيرة العربية:-

الزراعة في بقيّة أنحاء شبه الجزيرة العربية؛ تقل عمّا هي عليه في الجنوب في هذا العهد؛ والسبب هو عدم توفُّر الماء الجاري، والفائض، مما أثر في طبيعة الأرض غير أن العيون، والآبار، والأودية الصغيرة؛ ساعدت على نشوء مستوطنات، وواحات زراعيّة متفرّقة؛ انتشرت في المنطقة الشرقية، وفي نجد، والحجاز، والقسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية؛ إذ عاش الناس في هذه المناطق في منزلة وسط بين الحضارة، والبداوة[5]، ومن الملاحظ أن عدم توفر حكومات قوية، وكبيرة تهتم بالزراعة؛ وكل ما يتعلق بشئونها، وتنظيمها؛ حرم هذه المناطق من وُجود مزارع كبيرة تنتج الغلات، والمحاصيل المختلفة[6] . المعلومات المتوفرة حول الزراعة في هذه المناطق قليلة جدّا؛ بسبب قلة النقوش التي تتحدث عن هذا الجانب، وكذا قلة حديث

1- أسمهان سعيد الجرو :(النهضة الزراعية في اليمن)،مجلة سبأ،ص54-55 .
2- لطفي عبد الوهاب يحيى:العرب في العصور القديمة،ص304.
3- اسمهان سعيد الجرو:(النهضة الزراعية في اليمن القديم)،مجلة سبأ،ص55.
4- محمد عبد القادر بافقية:تاريخ اليمن القديم،ص172
5- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع، ص 13 .
6- جواد علي: المرجع ذاته ، ص 28 .

المؤرخين حولها؛ خلال الألف الأول قبل الميلاد[1]، وفيما يلي استعراض سريع للزراعة في هذه المناطق:-

القسم الشرقي لشبه الجزيرة العربية:

أهم المستوطنات الزراعية في القسم الشرقي هي: مستوطنات (اليمامة) و(هجر) في الأحساء، وكذلك الأراضي الزراعية في عُمان، ومحاصيلها الزراعية متنوعة؛ فاليمامة تنتج الحبوب؛ خاصة القمح، وهي تموّن مكة بالحبوب حتى سميت (ريف مكة)، كما اشتهرت أنواع متعددة من تمور اليمامة لوجود مستوطنات النخيل هناك[2]، أما (هجر) فقد اشتهرت بتمورها الجيدة والمتنوعة، وبكثرة إنتاجها من هذا المحصول الذي يفوق حاجة سكانها، فكان الأعراب يُقبلون إليها لاقتناء ثمرها، كما كانت تُصدّر الفائض لمقايضته، أو بيعه في البوادي حتى ضُرب بها المثل(كجالب التمر إلى هجر)[3]، بينما الأراضي الزراعيّة في عُمان فقد عُرف عنها إنتاجها لأنواع معينة من الأرز[4].

نجد و الحجاز و القسم الشمالي الغربي:

يأتي التمر في مقدمة محاصيلها الزراعية بأنواعه المتعددة، و الكثيرة الذي تنتجه أشجار النخيل المنتشرة في كل هذه المناطق، فهذه الأشجار كانت تشكل موردًا اقتصاديًا مهمًا لسكانها، إذ أن النخيل تدر على صاحبها ربحًا وافرًا؛ فمن كان يملك نخلاً كان غنيًا وثريًا[5]، كما اشتهرت الواحات الزراعية في نجد بإنتاج الحنطة (القمح) الذي كان يُصدّر فائضه إلى مكة، وكذلك العنب والزبيب[6] والشعير[7] ، بينما مستوطنات الزراعة وواحاتها في الحجاز كانت تنتج محاصيل كثيرة، ومتنوعة؛ فبعد تمر النخيل

1- احمد ارحيمّ هبو:تاريخ العرب قبل الإسلام ص 224 ,كذلك يُنظر جوادعلي:المفصّل ...،الجزء السابع، ص25.
2- جواد علي: المرجع ذاته ، ص 38 وص 71 .
3- احمد ارحيم هبو:تاريخ العرب قبل الإسلام ص 226،يُنظر ايضًا جواد علي: المرجع ذاته، ص 69.
4- فيليب حتي(وآخرون) :تاريخ العرب ،ص45.
5- جواد علي:المفصّل...،الجزء السابع،ص68.
6- لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة، ص 304.
7- احمد ارحيمّ هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 226.

يأتي التفاح، والمشمش،والموز، والبرتقال، والليمون الحامض، وقصب السكروالبطيخ[1]، والرُمَّان، والتين، والزيتون، والجوز، واللوز[2].

إن العناية بالأرض الزراعية في مناطق الحجاز، ونجد، والقسم الشمالي الغربي هي من اختصاص العبيد الذين يقومون بالفلاحة، والعناية بالشجر، وفي حين تأخذ السلطة هناك نصف المحصول؛ يذهب النصف الآخر قسمة بين الأعراب الذين يدّعون ملكية الأرض، وبين العبيد؛ إلاّ أن القسمة هنا غير عادلة؛ فالقسم الأكبر يذهب للأعراب، والأقل يتوزع بين العبيد[3].

وبالنظر إلى البوادي التي انتشر أغلبها في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية على حدود صحراوات العرب، والعراق، و سورية؛ يلاحظ أن سكانها كانوا بعيدين عن الزراعة، بل أنهم احتقروها وانقصوا قدر من احترافها وعمل بها[4]، ولا يظهر في البوادي سوى الكلأ،والعشب، وأشجار تصلح؛ كعلف للحيوانات، ويستفيدون من أغصانها، وجذوعها للحصول على الحطب، والفحم[5]، كما يلاحظ أن قبائل هذه البوادي ترحل وراء العشب، والكلأ- فأينما لمع البرق تجدها موليه وجهها- ولأرض البادية مشاع بين أفراد هذه القبيلة؛ التي تنزل بها-لا يملكها أحد- ينتفعون، و يرعون بها سواءً بسواء[6].

2- الرعي و الثروة الحيوانية:

يُعد الرعي أحد الموارد الاقتصادية الذي اعتمد عليه جزء كبير من سكان شبه الجزيرة العربية؛ خلال الألف الأول قبل الميلاد؛ وذلك بسبب طبيعة الأرض التي فرضت وجود البوادي ذات العشب، و الكلأ، المحرومة من الماء الدائم، أو الموسمي في مساحة واسعة منها.

1- فليب و(آخرون) : تاريخ العرب، ص47.
2- أحمد أرحيّم هبُو : تاريخ العرب قبل الإسلام، ص226.
3- جواد علي : المفصّل...، الجزء السابع ، ص70 .
4- أحمد أرحيّم هبُو : تاريخ العرب قبل الإسلام، ص224.
5- جواد علي : المفصّل...، الجزء السابع، ص20.
6- جواد علي: المرجع ذاته ، ص 154.

والبادية وما بها من مراعي؛ سكانها بدو (أعراب) رعاة إبل في الأساس دائمو التنقل، والترحال؛ و لفترات طويلة؛ يساعدهم في ذلك إمكانية تحمّل الإبل العطش في ظل ندرة الماء، و هم بذلك يختلفون عن الرعاة أشباه البدو[1]، الذين يرعون حيوانات مستأنسة أخرى إلى جانب الإبل؛ كالبقر، و الغنم- مثلاً- فلا يبتعدون كثيرًا عن مواضع الماء؛ لعدم استطاعة هذه الحيوانات الصبر على العطش؛ مما يجعلهم بالقرب من مواطن الحضارة[2].

الملكية الدائمة للأرض عند القبائل الرعوية- أهل البادية- أمر لا يمكن إقراره بسبب انتقالها من مكان إلى آخر؛ فما أن تجد القبيلة أرضًا أطيب من أرضها حتى ترحل إليها تاركةً أرضها؛ لتحل محلها قبيلة أخرى، كما يحدث أن تتغلب قبيلة على أخرى بسبب قوتها؛ فتطردها من مراعيها إلى غيرها، و تسقط عنها ملكيتها لهذه الأرض؛ فالملكية هنا إذًا مؤقتة رهنًا ببقاء القبيلة.

البادية بمراعيها هي أرض مشاعة بين أفراد القبيلة- كما سبق ذكره- إلاّ أنه وجد في إطار ذلك ما عُرف بالمراعي الخاصة؛ التي يمتلكها فردًا، أو أسرةً على نحو زعيم القبيلة، و أسرته، و تسمى (الأحماء)- مفردها حِمَى- ترعى فيها إبل ذلك الزعيم وأسرته، و لا تقربها إبل بقية أفراد القبيلة؛ طالما استمرت القبيلة في هذه البادية؛ فيُسمح لهم بالرعي في كل أنحاء البادية ما خلا الحِمَى[3].

الأعراب رعاة الإبل يوغلون في البادية، و يبتعدون عن الأهل، و مضارب القبيلة لفترات طويلة مع إبلهم؛ التي شكّلت بالنسبة لهم ثروة عظيمة؛ بل و تقاس بها ثرواتهم؛ فالإبل هي المال عند الأعراب، و هي أساس التعامل بينهم[4]؛ إذ غدت النقد الذي يتم تبادل السلع بواسطته، و كذلك وحدة القياس لمقدار مهر العروس، ودية القتيل[5] و غيره، لهذا رعي الإبل عند الأعراب أصبح أساس حياتهم، و اقتصادهم؛ و إن كانت

1_ يوسف محمد عبد الله:(البداوة في اليمن القديم)في كتاب أوراق في تاريخ اليمن و آثاره، ص 257.
2_ أحمد أرحيم هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 227- كذا لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة، ص 290.
3_ أحمد أرحيم هبو : المرجع ذاته، ص 227، كذلك جواد علي: المفصّل..، الجزء السابع، ص 97.
4_ جواد علي: المرجع ذاته ، ص 111.
5_ محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، ص 128.

لهم موارد اقتصادية أخرى؛ غير أن الاعتماد عليها يقل كثيرًا عن اعتمادهم على الإبل.

يبدو أنه في القرون الأولى من الألف الأول قبل الميلاد، كانت الإبل في شبه الجزيرة العربية، أقل عددًا منها في القرون التي تليها؛إذ زادت ثروتها من هذا الحيوان بمرور الزمن مع زيادة التعامل معه، و الاعتماد عليه[1]، حتى أصبح مصدر غذاء مهم، وأهم وسيلة نقل في المنطقة على الإطلاق.

رعاة الإبل إلى جانب اعتمادهم على الرعي؛ كمورد اقتصادي مهم؛ اعتمدوا على غيره، بسبب طبيعتهم البدوية، التي تأنف العمل، و تُوضع من شأنه- سواء أكان هذا العمل زراعة أم حرفة- فقد عمدوا إلى الغارات التي يشنونها على مواضع الحضر والواحات باعتباره موردًا اقتصاديًا آخر في حياتهم؛لاسيما عندما تسؤ الأحوال في شبه الجزيرة العربية[2]؛ فلا يجدون أمامهم؛ إلاّ أن يسلبوا ما يحتاجونه من موارد العيش من جيرانهم الحضر المحظوظين الذين ينعمون بها[3].

شكّلت قبائل الأعراب- على الدوام- عبًا ثقيلاً على الدول؛ والممالك الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية، خلال الألف الأول قبل الميلاد- وما بعده- إذ لم تأمن هذه الدول على مراعيها، ومدنها؛ لاسيما القريبة من حافة الصحراء؛ بسبب غارات، وتحرشات الأعراب، مما حدا بها إلى إقامة الحصون لمراقبة تحركات هذه القبائل، كما عملت في بعض الأحيان على ترتيب أوضاع قبائل الأعراب هناك؛ ليتقوا شرهم من جهة،ولتأمين طرق قوافلهم التجارية المارة في هذه المناطق من جهة أخرى[4] وبمرور الوقت؛ أصبحت بعض هذه القبائل؛ لاسيما تلك التي على طرق القوافل تعمل بالتجارة[5]؛ مستفيدة من موقعها، ومن إبلها؛ كوسيلة نقل للبضائع؛ ليصبح هذا العمل مورد اقتصادي آخر يضاف إلى الموردين السابقين (الإبل، والغزو).

1- يوسف محمد عبد الله:(البداوة في اليمن القديم) في كتاب أوراق في تاريخ اليمن، ص 258.
2- احمد ارحيم هبّو : تاريخ العرب قبل الإسلام، ص221 .
3- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص110.
4- جواد علي : ذاته.
5- لطفي عبدالوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة، ص293.

أما الجزء الآخر من الرعي؛ الذي يتضمن رعي أنواع أخرى من الحيوانات المستأنسة إلى جانب الإبل- الذي سبق ذكره- وجد في مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية،وأهم هذه الحيوانات هي:الأبقار، والأغنام، والماعز، والضأن[1]،والبغال والحمير[2]؛إذاستفاد العرب من لحومها، وألبانها، وجلودها، وشعر معزها، وصوف ضأنها،كما أن الأبقار،والثيران كانت تستخدم بكثرة في أغراض الزراعة؛ كالحراثة، وسحب الماء من الآبار، ولأغراض الحمل، ونحوه؛ في مختلف مناطق العرب لاسيما في العربية الجنوبية[3]، إلى جانب استخدام الحمير،والبغال؛ كدواب ركوب، أونقل- وإن لم تكن بمستوى استخدام الإبل-.

استفاد عرب الجنوب- أيضًا- من الأبقار، والماعزفي الحياة الدينية، و طقوسها بحيث تُقدَم قرابين، و أضاحي للآلهة، و هذا ربما يعلل سبب العناية بها؛ و بالتالي سبب كثرتها في هذه المنطقة[4].

يبدو أن ثروة العرب من هذه الحيوانات كانت كبيرة آنذاك؛إذ يتم تصديرها و بيعها؛ كالأغنام التي كانت تباع في أسواق العراق، وسورية[5]، كما أن النقوش في بلاد العرب الجنوبية لم تغفل عن ذكرهذه الثروة من هذه الحيوانات؛ كنقش النصر (RES 3945) لكرب ايل وتر الذي يذكر في بعض سطوره مقدار ما صادر من ماشية في أثناء انتصاراته على مدن (فنن) في الجوف؛ والبالغة (15.000) من المواشي، وعلى قبيلة أمير في نجران؛ إذ غنِم (200.000) من ماشيتهم إبلاً، وبقرًا، و حميرًا[6].

ظهر في جنوب شبه الجزيرة اهتمام واضح بتربية النحل؛ إذ جاء ذكره في النقوش،كما تحدث الكتّاب الكلاسيكيون،عن صناعة العسل؛ أمثال(أسترابو) و(بليني) اللذين جعلا ذلك إحدى ثروات العربية السعيدة؛ التي تدر عليهم الكثير من

1- جواد علي : المفصل...، الجزء السابع، ص115-117.
2- أسمهان سعيد الجرو(1988م):(النهضة الزراعية في اليمن القديم)مجلة سبأ، ص 58.
3- جواد علي : المفصل...، الجزء السابع، ص115. وكذا أسمهان سعيد الجرو(1988م) :(النهضة الزراعية في اليمن القديم) مجلة سبأ، ص 59- 60 .
4- أسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته،ص59.
5- جواد علي: المفصل ...، الجزء السابع، ص 116.
6- أسمهان سعيد الجرو(1988م):(النهضة الزراعية في اليمن القديم)مجلة سبأ، ص58-59.

الأرباح، وأهم مناطق تربية النحل وصناعة العسل هي المناطق التابعة لدولة حضرموت، كذلك المرتفعات الوسطى[1]، إذ لازالت شهرة هذه المناطق في إنتاج أجود أنواع العسل حتى الوقت الحاضر.

وآخر ما يمكن الحديث عنه ضمن اقتصاديات شبه الجزيرة العربية في هذا الجانب هو ما استفاد منه العرب من ثروة البحر الحيوانية، فلاشك في ممارسة سكان سواحل شبه الجزيرة العربية خلال هذا العهد لصيد الأسماك- وإن كان بشكل بدائي- من خلال الخروج بالوسائل البحرية البسيطة[2]، لممارسة عملية الصيد، واستُخدِمت الأسماك كمادة غذائية في حياة سكان السواحل[3] ، كما أن الأسماك الصغيرة التي يقذف بها البحر (العَيْد – الوزف) استُخدِمت كعلف للابل التي يُعتقد بأن بداية استئناسها كان في المناطق الساحلية من شبه الجزيرة العربية[4] ، يضاف إلى ذلك أن سكان هذه المناطق كانوا يقايضون بما يفيض عن حاجتهم من الأسماك مقابل مواد أخرى أو يبيعونه[5]، كما يتم الاستفادة من جلود الحيتان؛كجلد حوت العنبر الذي يستخدم في صناعة الأحذية و غيرها من الصناعات الجلدية[6].

غير أن أهم محصول نقدي في السواحل و البحار المحيطة ببلاد العرب في بعض مواطنها هو اللؤلؤ الذي يستخرج من المحار (الصدف)، حيث اشتهر أهل العربية الشرقية بالذات بمتاجرتهم باللؤلؤ، إلا أنه وجدت مواضع أخرى يستخرج منها اللؤلؤ مثل عدن[7]، و بعض سواحل البحر الأحمر لا سيما قرب جدة[8].

3- الحرف و التعدين:

عرفت شبه الجزيرة العربية الحرف؛ التي مارسها الناس بغرض استكمال متطلبات حياتهم في جوانبها المختلفة خلال الألف الأول قبل الميلاد، والحرفة هي

1- اسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته، ص52.
2- حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 330.
3- نيقولا زيادة: دليل البحر الإرتري و تجارة في الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني) جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، الرياض 1984م، 266.
4- يوسف محمد عبد الله: (البداوة في اليمن القديم) في كتاب أوراق في تاريخ اليمن ، ص 258.
5- جواد علي: المفصل ...، الجزء السابع، ص 119.
6- جواد علي : المرجع ذاته،ص122.
7- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص 91.
8- جواد علي: المفصل ...، الجزء السابع، ص122.

العمل اليدوي الذي يقوم بتحويل المواد الأولية إلى منتجات تلبي حاجة الناس، ولا تقوم الحرفة في مجتمع إلاّ إذا توافرت شروط وجودها؛ من مجتمع مستقر، ووفرة للمواد الخام، بالإضافة إلى وجود حاجة لها، و توفر الأيدي العاملة[1]، و إذا ما تمّ تطبيق هذه الشروط على بلاد العرب في هذا العهد؛ مضاف إليها المعرفة السابقة باحتقار البدو - خاصة- لممارسة العمل اليدوي؛ فإن الناتج يكون هو أن الحرفة لم تكن تمارس في كل مناطق شبه الجزيرة العربية، كما أن المناطق التي عرفت هذا النوع من العمل كانت أنواع الحرف، و الصناعات فيها؛ مختلفة من منطقة إلى أخرى، و بمستويات و نوعيات مختلفة.

والحقيقة أن العرب عامة - كغيرهم من شعوب العالم القديم - جعلوا الحرف والصناعات؛ من المهن غير المستحبة؛ لذا فإن المشتغلين بها يُعدُّون من فئات المجتمع الدنيا، و المستضعفة، و العبيد.

للحديث عن هذا المورد الاقتصادي لابد من التطرُّق للمواد الخام؛ التي عرفتها هذه المنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد، و بالتالي معرفة منتوجات الحرف و الصناعات اليدوية، وأماكن إنتاجها.

من المواد الأولية التي وجدت في بلاد العرب المعادن؛بمختلف أنواعها، ويأتي الذهب في مقدمتها؛ الذي وُجِد في مناطق متعددة؛مثل:وادي العقيق في الحجاز، و بيشة في عسير، و تهامة اليمن، كما أن الساحل الممتد في غرب بلاد العرب من بلدة (القنفذة) في تهامة عسير شمالا؛حتى قرية (عقود) في تهامة اليمن جنوبًا؛ كان معروفا بوجود التبر-التراب الذي يستخلص منه الذهب- إذ عُرِف باسم(ساحل الذهب) منذُ القرن الثاني قبل الميلاد[2]، بالإضافة إلى منطقة (مهد الذهب) شمال المدينة[3].

كما وجد الذهب في مواضع كثيرة من مأرب، ومدين، و اليمامة[4]، و تشير النقوش، و المصادر اليونانية، و الرومانية، و العربية إلى وجوده بكثرة في هذه المناطق؛حيث عُثر على مناجم بها بقايا أدوات استعملت في استخراج الذهب

---

1. جواد علي: المفصل ...، الجزء السابع، ص 507.
2. حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 148-149.
3. جواد علي: المفصل...، الجزء الأول،ص 193.
4. برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، ص 96-97.

وتصفيته،وفي الوقت الذي استخلص الذهب من التبر،هناك-أيضًا- الذهب الخالص(الإبريز،والعيقان)؛ الذي وُجِدَ في الطبيعة دون الحاجة إلى تنقيته.

أما معدن الفضة في بلاد العرب؛ فقد وجِدَ في مناطق متفرقة؛لاسيما في الأجزاء الجنوبية ؛إذ عُرِف في نقوشها باسم (صرفن، صرف)،أهم مواضعه الرضراض شمال مأرب، و في جبال تهامة؛ وكانت هذه المناطق أهم مراكز تموين العبرانيين بهذا المعدن[1].

الرصاص -أيضًا- استفاد منه أهل الجنوب؛إذ لم يرد ذكر لوجوده في مناطق أخرى من بلاد العرب، و من أهم استعمالاته في المنطقة الجنوبية؛ هو أنه كان يُصب في أسس الأعمدة، و بين مواضع ربط الحجارة، كما أن بعض أنواعه يطلون به الأواني، و أهم أماكن استخراجه: منطقة بين (نهم) و (خولان)، و منطقة القلعة بوادي ظهر[2].

من المعادن التي وجدت في بلاد العرب -أيضًا- معدن النحاس؛ الذي اشتهرت به (عُمان)[3]، وكذا مناجم استخراجه في بلاد الأنباط[4]، بالإضافة إلى جنوب بلاد العرب[5].

أما الحديد؛ فقد وجد في مواضع كثيرة من بلاد العرب؛ أهمها اليمن؛إذ وجِدَ في صعدة، و نقم، وغمدان، وعدن، بالإضافة إلى نجران، و مواضع متفرقة بين صعدة و الحجاز[6].

كما اشتهرت مناطق في جنوب شبه الجزيرة العربية بإنتاج الأحجار الكريمة و المتاجرة بها؛ وما يدل على ذلك أن جبال اليمن اليوم مازالت تزخر بها، وقد ذكر الملك الآشوري سنحاريب في القرن السابع ق.م؛ أن من ضمن هدايا المكرب (كرب ايل وتر) كانت الأحجار الكريمة، وأهم الحجار الكريمة التي تنتجها جنوب بلاد

1- للمزيد حول الذهب والفضة يُنظر جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص514-515.
2- جواد علي : المرجع ذاته، ص516.
3- محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 261. كذلك يوسف محمد عبدالله:(كندة في دهرها الأول) في كتاب أوراق...، ص 278.
4- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم، ص 268.
5- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص 117.
6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص 90-91.

العرب: العقيق؛ و مناطق استخراجه هي: (مقرأ) مُقرى بالقرب من صنعاء؛ و به أجود أنواع العقيق، ومن جبل ألهان؛ شمال أنس،و شبام، و شهارة، وقساس، والشحر، و يُعمل منه الفصوص، و الأختام.

الجزع (الخرز): وجد في ظفار(الجزع الظفاري)، وفي شبام، و ضهر و سعوان، وعذيقة- ضمن مناطق خولان- و كذلك نقم، ووادي المعشار، و أغلى هذه الأحجار هو: الجزع السعواني؛ ذي اللونين (الأبيض، و الأسود) و البقراني؛ بألوانه الثلاثة (الأحمر، الأسود، الأبيض) ؛الذي يُستخرج من جبال أنس[1].

وبعد استعراض أهم أنواع المعادن في شبه الجزيرة العربية، وأماكن إنتاجها واستخراجها؛ بقي الإشارة إلى صناعة التعدين؛ التي ظهرت في مواضع وجود هذه المعادن؛ فصنع منها أدوات مختلفة؛ استخدمها الإنسان في مختلف نواحي الحياة ابتداءً بصياغة الحلي من الذهب، و الفضة، إلى إنتاج أدوات الزينة الملبوسة، وما رُصّع بها ملابس الملوك، و كبار القوم من مجوهرات، بالإضافة إلى صناعة الأثاث، والأدوات الزراعية، كما استفادوا منها في مجال البناء، و التشييد- على نحو ما ذُكر- و في العهد المتأخر ضُربت النقود من الذهب، و الفضة، و النحاس؛ باعتبارها معادن نفيسة،و ذات قيمة، وغير ذلك من الصناعات المعدنية[2].

وهكذا ظهرت حرف البناء، والحدادة، والصياغة، وسك النقود،وغيرها وعلى الرغم من بدائيتها؛ إلاّ أنها كانت تلبي احتياجات المجتمع، من منتجات هذه الحرف، مع الإشارة إلى أن أهل الجنوب برعوا في فن البناء منذُ القدم؛ بشهادة بقايا آثارهم العمرانية، وما وصفه الإخباريون، الذين زاروا بقايا العمران الذي أندثر اليوم.

ومن الحرف الأخرى التي عرفها العرب آنذاك؛ هي صناعة الملح الذي وجد في مناطق مختلفة أهمها؛ اليمن؛ حيث وجد هناك الملح بنوعيه: البلوري (الصخري) وأهم مناطق استخراجه مارب، و شبوة-المدينة التي تقوم على مناجم الملح- والملح

1- حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 151 – 152.

2- جواد علي: المفصل..، الجزء السابع، ص 561.

البحري المستخلص من مياه البحر؛ وأفضل مناطقه عدن[1]، كما أن شرق شبه الجزيرة العربية تكثر فيها السبخات الملحية؛ كمدينة (ثاج) ووادي السرحان[2].

حرفة الحياكة، و النسيج؛ من الحرف التي عرفها العرب في الألف الأول قبل الميلاد، ووجدت في مناطق مختلفة من بلادهم؛ كالقسم الشرقي، و الحجاز، غير أن أهم مناطق الحياكة، و النسيج هي العربية الجنوبية؛ التي اشتهرت مشغولاتها من هذه الحرفة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية؛ فتذكر النقوش هناك (دُور النسيج) التي تتبع الملوك، و الأعيان،و التي احتكرت صناعة النسيج؛ ربما بسبب وفرة المواد الأولية لهذه الحرفة، و قد عُرفت هذه المنتجات بأسماء مناطق إنتاجها، و اشتهرت بها؛ كالبرود اليمانية، والبرود العدنية، والبرود القطرية التي تأتي من ناحية البحرين وغيرها.

في صناعة النسيج، و الحياكة استعمِلت موادًا خامًا؛ وجدت في شبه الجزيرة العربية؛ كالقطن، و الكتان، و الصوف، و شعر الماعز، بالإضافة إلى مواد جُلبت من الخارج؛ كالحرير الذي يأتي برًا عبر البلدان الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية أو بحرًا من الصين و الهند، وغيرها[3].

بوجود صناعة النسيج؛ كان لابد من وجود حرفة الصباغة؛ إذ صبغ العرب الملابس؛ لتحسين هذا المنتج، وجعله أكثر جودة، إلى جانب صبغهم للمنتجات الجلدية ساعدهم في ذلك؛ توفر مواد الصباغة في بلادهم؛ التي تستخرج في الغالب من الأشجار و النباتات؛ كالعُصفر بصبغتة الصفراء، والورس بصبغته الحمراء،و رائحته الطيبة و النكع، والعصب الأحمر، و كذلك القرف التي يستخلص من قشور شجرته[4].

حرفة الدباغة- أيضًا- من الحرف التي عرفتها هذه المنطقة؛ و فيها يتم معالجة جلود الحيوانات كالبقر، و الغنم، و الإبل، و الحيوانات البرية، و إعدادها للاستعمال في الصناعات الجلدية؛ إذ يعمل الدبّاغون على تنظيف، و ترقيق الجلد مستخدمين بعض المواد البدائية المستخلصة من الأشجار؛ كأوراق (الدهناء)؛ وهي عشبة حمراء

---

1. حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص165.
2. نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي ...، ص242.
3. للمزيد حول النسيج و الحياكة يُنظر جواد علي: المفصَّل...، الجزء السابع، ص 594 – 619.
4. جواد علي: المرجع ذاته، ص 616-617.

و (القضم) قشور الرُّمَّان، و (القرظ) و يستخرج من شجر كبير، وغيرهم[1]، و أشهر مواضع الدباغة في شبه الجزيرة العربية الطائف، و الحجاز، و كذلك جرش، و صعدة في اليمن [2].

من خلال الدباغة أعدّت الجلود؛ إما للمتاجرة بها في أنحاء شبه الجزيرة العربية أو لصناعة المنتجات الجلدية، ومنها:(القباب الملكية)؛ وهي التي تُعد للملوك، و النعال (الأحذية)، و الدروع، و الخوذ، و السيور، والتروس، و الجعاب، والدلاء، والقِرب[3] وكذلك القوارب صُنعت بعضها- في هذا الوقت- من الجلد؛ إذ أشار إليها المؤرخ الكلاسيكي ثيوفراست؛ الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد في وصفه للسبائيين «يسافرون على وجوه البحار، على ظهر سفن، أو زوارق من الجلد»[4].

وهكذا فإن حرفة الدباغة، والصناعات الجلدية شكلت موردًا مهمًا؛ لبّى حاجات الناس اليومية، كما ساعدهم في صناعة الأدوات التي تستعمل في الزراعة ووسائل الري، و كذا صناعة معدات الحرب.

حرفة النجارة كذلك عُرفت في بلاد العرب خلال هذا العهد، وهي الحرفة التي يعالج بها النجار الخشب لصنع ما يلزم من مواد يحتاجها الإنسان؛ لاسيما في مناطق الحضر و المدن، وأهم منتجات النجارة في ذلك العهد هي ما أستفاذوا منها في مجالات البناء المختلفة كتقوية الجدران، وصنع السقوف، و الأبواب، و الشبابيك، والسلالم وغيرها، بالإضافة إلى أثاث القصور، و المنازل، وعروش الملوك، كما صنع النجار (المئيدة)؛ وهي مطرقة من الخشب؛ يستعملها الأعراب - بصورة خاصة- لدق أوتاد الخيمة على الأرض،كما أن المناطق الساحلية في شرق شبه الجزيرة العربية، وجنوبها- شهدت هذه الحرفة، و استفادت منها في صناعة المراكب، و السفن؛ وذلك من الخشب الذي يتم استيراده من الخارج (الهند و أفريقيا)[5]، غير أن هناك ما يثبت وجود قوارب و مراكب؛ لستعمل في صناعتها خشب؛ توفر في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية[6].

1- حسن صالح شهاب: اضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 160.
2- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص 538.
3- جواد علي: المرجع ذاته ، ص538، كذلك حسن صالح شهاب: اضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 160.
4- جاكلين بيرن:اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدري قلعجي ،منشورات الفاخرية الرياض ،دار الكتاب العربي بيروت ،ص 29.
5- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص 553.
6- حسن صالح شهاب: اضواء على تاريخ اليمن البحري، ص 334.

آخر ما يمكن أن يذكر في مجال الحرف؛ هو ذلك النشاط الإنساني الذي ظهر منذُ وقت بعيد- عن الوقت التي تشمله هذه الدراسة- غير أنه استمر حتى الألف الأول قبل الميلاد، و بعده، و هذا النشاط هو (صناعة الفخّار)؛إذ تم العثور على الكثير من قطع الفخار؛ التي تعود إلى هذا الوقت في مناطق متعددة من شبه الجزيرة العربية وأهم منتجات الفخار؛ هي الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية كالجرار، والكيزان والقلال، والقدور، والجفان، والأباريق، و الأكواب، بالإضافة إلى أدوات أخرى لحفظ الشراب، والطعام، ولخزن المواد الغذائية، أو لحفظ المواد الثمينة؛ كالذهب، والحلي والنقود، وغيرها[1].

انتشرت صناعة الفخار في مناطق كثيرة من بلاد العرب، غير أن أهمها وأشهرها؛ جنوب شبه الجزيرة العربية، و الحجاز، و نجد، والأحساء، و بلاد الأنباط التي اشتهرت بصناعة منتجات رقيقة من الفخار؛ حتى أن بعضها من الرقة بما يشبه قشر البيض[2].

هكذا؛ وبعد هذا الاستعراض السريع للحرف، والتعدين في شبه الجزيرة العربية؛ يمكن الوصول إلى بعض الاستخلاصات، وهي أن الحرف، والصناعات تركزت في أغلبها في المناطق الحضرية، وكان الجنوب أشهرها-كما تَبيّن- والسبب هو توفر المواد الأولية، و الأيادي العاملة، و الخبرة هناك، بالإضافة إلى تَعقّد الحياة؛ مقارنة بالمناطق الأخرى ذات الحياة البسيطة- مناطق الأعراب مثلاً- الأمر الذي تطلب توفُّر منتجات هذه الحرف، بالإضافة إلى وجود الحكومات القوية في ظل اقتصاد مستقر- وما يتبعه من استقرار اجتماعي ساعد- أيضًا- على نمو، و تطور هذه الحرف، و الصناعات في هذه المناطق.

4- التجارة:

شكّلت التجارة في شبه الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد؛ موردًا اقتصاديًا مهمًا؛ وذلك لارتباطها المباشر بالموارد الاقتصادية الأخرى (الزراعة

1_ برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، ص 117.
2_ فليب حتي: تاريخ سورية ولبنان و فلسطين، الجزء الأول، ص 431.

الرعي، و الحرف، والصناعة)؛إذ يتم من خلالها مقايضة الفائض عن حاجة الناس من محاصيل، و منتجات هذه الموارد، أو بيعها.

و التجارة في بلاد العرب داخلية، وخارجية[1]، و الداخلية؛ هي التي تعامل بها العرب بعضهم مع البعض، و فتحت آفاق العلاقات الأخرى بينهم؛ و ذلك من خلال تبادل المنتجات، و السلع بما يحقق الربح للتاجر العربي من جهة، و تغطية ما نقص من مواد في المناطق التي تذهب إليها التجارة من جهة أخرى، أما الخارجية؛ فهي التي تعامل بها العرب مع غيرهم من الشعوب، والدول؛ في العراق، وسورية، ومصر والهند، و أفريقيا؛ مستفيدين من الموقع الجغرافي الوسط لبلادهم.

برع العرب في هذه الحرفة، و مارسها أغلب السكان في كل المناطق بفضل انتشار طُرق التجارة الممتدة من الجنوب، و الشرق إلى الشمال؛ التي تمر بأغلب مناطق العرب في السواحل، و الحواضر، و المدن، و الصحاري، و البوادي، وبالتالي فهذا الوقت مثّل مرحلة متقدمة للتجارة البرية؛لاسيما مع قيام شبه الجزيرة العربية بدور الوسيط التجاري بين أقطار العالم القديم؛ في ظل عدم معرفة شعوبها بالطُرق الملاحية التي تربط بين بلدانهم بحريًا.

والتجارة هي الحرفة الوحيدة التي لم ينظُر لها العرب نظرة احتقار، وانتقاص ومارسها الناس باختلاف فئاتهم، و صفاتهم من ملوك، و رجال دين، و رؤساء قبائل و كبار الملاك، و تعاملوا من خلالها مع من هم أقل مرتبة، و منزلة منهم[2].

تاجر العرب بكل المحاصيل التي تنتجها شبه جزيرة العرب (الزراعية و الحيوانية، والصناعية)، كما تاجروا بمحاصيل، و منتجات الأقطار الأخرى؛ التي تصلهم بحرًا، و برًا، ولعل أكثر مناطق العرب التي اشتهرت بممارسة التجارة هي العربية الجنوبية؛ وذلك لإطلالها على شريط ساحلي طويل؛ به موانئ طبيعية صالحة لرسو المراكب، و السفن، بالإضافة لإنتاجها لمختلف أنواع المحاصيل والمنتجات، بما فيها المحاصيل التي كانت مطلوبة في التجارة العالمية، يضاف إلى ذلك اهتمام الدول هناك بهذه الحرفة، و العمل على تنظيمها، و العناية بها من خلال سن القوانين، و تعبيد

1- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع، ص 227.
2- جواد علي: المرجع ذاته ، ص 228.

الطُرق، و تسهيل العمليات التجارية، والسيطرة على الطُرق التجارية المخترقة لشبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال، بالإضافة إلى حراسة القوافل التجارية على امتداد هذه الطرق[1]، وكان لابد أن تعود التجارة عليهم بمكاسب عظيمة، وأرباح طائلة، جعلت الكتاب الكلاسيكيين يذكرونها بكتاباتهم، ويصفون ثراءهم، وحياتهم المليئة بالترف و الرفاهية.

و لمرور طُرق التجارة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية؛ فقد عمل بالتجارة سكان المناطق الأخرى؛ كالقسم الشرقي الذي يطل -هو الآخر- على موانئ كانت هي الأخرى تستقبل المنتجات الخارجية؛ وأهمها منتجات الهند التي ُتنقل- بعد ذلك- منها برًا إلى العراق، أو سورية، أو إلى المناطق الداخلية لشبه الجزيرة[2].

كما كان للحجاز، و نجد نصيب في الحركة التجارية البرية؛ كمناطق متوسطة تمر بها التجارات القادمة من مختلف الاتجاهات؛ في ظل التجارة الداخلية، و الخارجية أما القبائل العربية في الشمال؛ فقد تم التطرّق إلى كيفية الاستفادة من موقعها على خط التجارة بين بلاد العرب، و العراق، و سورية، و بوجود الإبل اشتغل أهلها بالتجارة التي أصبحت تشكل لهم موردًا اقتصاديًا آخر؛ إلى جانب الرعي.

كما قامت حضارة الأنباط في شمال غرب شبه الجزيرة العربية- خلال هذا العهد- معتمدة أساسًا على التجارة، وذلك لموقع عاصمتها (البتراء)- الوسط –الممتاز حيث تلتقي عندها خطوط التجارة العالمية القديمة؛ والتي تربط بين مصر، وسورية وشبه الجزيرة العربية، والخط التجاري المتجه نحو بلاد الرافدين[3].

وهكذا؛ فالتجارة شكلت جانبًا مهمًا من حياة سكان بلاد العرب آنذاك، وانعكست على غيرها من العلاقات؛ التي ربطت بين أقسام شبه الجزيرة العربية من جهة، وبين العرب، والشعوب المجاورة من جهة أخرى.

1- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع ، ص 241.
2- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام؛ الجزء الأول، ص 126.
3- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته ؛ ص 266. كذلك برهان الدين دلو: المرجع ذاته ، ص145

ثانيًا: سورية:

أدّت جغرافية سورية، وتناوب طبيعة سطحها؛ ما بين ارتفاع، وانخفاض دورًا مهمًا في تعدد مواردها الاقتصادية في التاريخ القديم،إذ اعتمد سكانها على الزراعة وتربية الحيوانات، والصناعة، بالإضافة إلى التجارة في تسيير أمور حياتهم آنذاك، غير أن النشاط الزراعي لم يكن يمارس في كل أنحاء سورية؛إذ تركز في بعض مناطق الساحل؛ بما فيها الجبال الغربية المطلة عليها، والمنطقة الداخلية الواقعة بين الجبال الشرقية، والجبال الغربية[1]، بالإضافة إلى سهول سورية الشمالية[2]؛ والسبب في ذلك يعود لعدم وجود نهر كبير جار- كما هو الحال في المناطق المجاورة (مصروالعراق)- يمر في كل البلاد، كما أن الأمطار الموسمية التي تهطل شتاءًا تتركز على هذه المناطق، وتقل في المناطق التي تبتعد عنها[3]؛ كمنطقة البادية- مثلاً- التي يعتمد سكانها على تربية الماشية لوجود مراع واسعة؛ تصلح لرعي الحيوانات فيها؛ في ظل حياة التـنقل، والـترحال الذي يعيشه البدو؛ بحثًا عن الماء، والكلا[4].

تُعد الحبوب من أهم المزروعات؛ التي أهتم الناس في سورية بزراعتها؛لاسيما القمح، والشعير، والدخن[5] ، كما زرعوا العنب، والتين، والرّمان، والزيتون؛ الذي يستفاد كثيرًا من زيته؛ كغذاء، ودواء، وفي صنع الروائح الزكيّة، كما استعملوه لإنارة المصابيح[6]؛ لذلك كان الزيتون وزيته، مادة مناسبة للتجارة بها؛ مع المناطق المجاورة كبلاد الرافدين، ووادي النيل[7]؛ وقد شكلت الحبوب؛ سلع تجارية عملوا على تصديرها والتجارة بها؛ بعد أن كانت تفيض عن حاجة سكان سورية[8].

1- فيصل عبدالله، عيد مرعي : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثالثة ، دمشق 2000-2001م، ص134 .

2- عيد مرعي : التاريخ القديم، الطبعة الثانية، منشورات جامعة دمشق، 1999م- 2000م، ص111 .

3- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص48 .

4- فيصل عبدالله ، عيد مرعي : المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص134 .

5- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص51 .

6- التوراة : سفر الخروج، الأصحاح الخامس والعشرون، الأية 6. وكذلك انجيل متى، الأصحاح الخامس والعشرون، الأيات، 3و4و8.

7- فيصل عبدالله، عيد مرعي : المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص135.

8- احمد ارحيم هبو : تاريخ الشرق القديم، الجزء الأول (سورية)، ص15.

ملكية الأراضي الزراعية في هذه البلاد؛ تعود للملك الذي يحق له التصرف بها كيفما يشاء،وهو الذي يهبها لأعوانه، وقادة الجيوش،وكبار رجال الدولة، والموظفين غيرأنه وجدت- كذلك- ملكية خاصة أخرى؛ لكنها أقل مساحة بالمقارنة مع ملكية الملك.

في المناطق التي مارس الإنسان فيها الزراعة؛ عمل على تربية الحيوانات كحرفة مرتبطة بالنشاط الزراعي؛ وهما من العوامل التي تساعد على الاستقرار، وأهم هذه الحيوانات: الأغنام،والماعز،والأبقار،والحمير؛إذ يستفاد من لحومها، ولبنها،وكذلك صوف الأغنام؛ الذي ساعد على انتشار صناعة النسيج في بعض مناطق سورية، كما يستفاد من بعض هذه الحيوانات في الزراعة؛ كالأبقار، وكذلك الحمير؛ التي تُستخدم - بالإضافة إلى ذلك- في عملية نقل السلع، والبضائع؛ وكوسيلة ركوب أيضًا.

غير أن تربية الحيوانات؛ كحرفة تخصّص بها أهل البادية؛ التي توفرت فيها الشروط الملائمة؛ لممارسة هذا العمل من مراع واسعة، وكمية أمطار ملائمة؛ تصل إلى (100) مم تقريبًا[1]؛ وهو ما يساعد البدو في حياتهم هناك مع اعتمادهم على تربية الحيوانات التي يعيشون عليها، ويقايضون، ويتاجرون بالفائض منها؛ مع العلم أن بعض القبائل البدوية؛ كانت تعتمد على الغارات؛ على مناطق المدنيات في أطراف سورية، والعراق؛ كمورد اقتصادي آخر إلى جانب الرعي[2].

أما الصناعة؛ كمورد اقتصادي اعتمد عليه بعض سكان سورية؛ فقد كان له أهمية خاصة؛ بحيث شكل الناس الذين مارسوا هذا العمل؛ طبقة خاصة بين الطبقة الأرستقراطية، والإقطاعية (كبار الملاك والقادة العسكريين)، وبين الطبقة الدنيا (المستأجرين والعبيد)[3]، وأهم الصناعات التي ظهرت في سورية هي: صناعة الفخار والصناعات النسيجية؛التي تطورت في العهد الفينيقي بعد صباغتها، بالإضافة إلى صناعة الزجاج؛ الذي توفر في رمال سواحلها، كما أبحروا للبحث عنه في المناطق الأخرى، وأيضًا صناعة السفن؛ لما زخرت به جبالها الغربية؛ بأنواع الأشجار ذات

1- احمد ارحيم هبو : تاريخ الشرق القديم، الجزء الأول (سورية)، ص16 .
2- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص46- 47 .
3- فيليب حتي : المرجع ذاته، ص94 .

الخشب الصالح لبناء السفن؛ كخشب أشجار الأرز، والصنوبر، هذا إلى جانب صناعة المعادن؛ التي كان لها شأن خلال الألف الأول قبل الميلاد .

فيما يخص التجارة في سورية؛ فقد كانت موردًا اقتصاديًا مهمًا؛ اعتمد عليه السكان في كل المناطق، والممالك خلال الألف الأول قبل الميلاد، ومما ساعد على ازدهارها، واحتلالها أهمية كبيرة على المستوى الدولي-آنذاك- هو غنى مناطقها بالمنتجات الطبيعية؛ كغابات الأشجار التي تغطي جبالها، وتنتج مايفيض عن حاجة السكان من الأخشاب؛التي يتم تصديرها،والمتاجرة بها مع غيرها من الممالك، والبلدان المجاورة، والبعيدة؛ فهذه الأخشاب كانت جيدة، وصالحة لبناء السفن، وأعمال البناء والعمران، وغيرها من الصناعات الخشبية ، كما كانت سورية تشتهر بإنتاج الأنواع الجيدة من الخمور، والمطلوبة في المناطق الأخرى، بالإضافة إلى زيت الزيتون والحبوب، والأنسجة المصبوغة؛ التي تاجروا بها على نطاق واسع .

وأدّى الموقع الاستراتيجي لسورية؛ بين قارات العالم القديم،وبين الثالوث الحضاري لوادي النيل، وبلاد الرافدين، وشبه الجزيرة العربية خلال هذا العهد؛ دورًا مهمًا في أن تصبح حلقة الوصل في التجارة العالمية بين هذه المناطق؛ وذلك لمرور الطريق الدولي العظيم عبر أراضيها؛ والممتد بين مصر، والصين، كما أنها ربطت هذا الطريق؛ بالطرق القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية، وشرقها؛ وبهذا تأهلت أراضي سورية لأن تكون الوسيط التجاري؛ وأصبحت الكثير من مدنها؛ عواصم للتجارة العالمية؛ كدمشق الآرامية، ومدن الساحل الفينيقية، وغيرها[1].

1- إقتصاد العبرانيين:

بعد أن استقرّ العبرانيون في سورية، وبدأت معالمهم الحضارية بالظهور؛ وذلك بقيام مملكتهم، ثم توطيدها في عهد الملك داود؛ توضحت طبيعة الموارد الاقتصادية التي اعتمدوا عليها؛ وهي الزراعة، والرعي، والتجارة، وصناعة المعادن؛ فمن خلال استقرار بعض قبائلهم في المناطق الخصبة القريبة من الأراضي الكنعانية؛ تعلمُوا

1- فيصل عبدالله، عيد مرعي : المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص136.

فنون الزراعة؛ فأصبحوا "زرّاعًا"[1]؛ يعيشون على زراعة القمح، والزيتون، وينتجون النبيذ، ويمدُّون غيرهم من المدن الفينيقية بالمحاصيل الزراعية الفقيرة بها؛ كمدينة (صور)[2]- مثلاً- والتي كانت بدورها تزوّد العبرانيين ببعض المواد التي يحتاجونها من التجارة البحرية، بالإضافة إلى ما يحتاجونه من الأخشاب اللازمة لأغراض البناء المختلفة؛ فأصبح ذلك أساس علاقة الصداقة التي نشأت بين ملوك العبرانيين، وملوك مدينة صور.

كما أن القبائل العبرية التي عاشت في المرتفعات الواقعة إلى الجنوب؛ توفرت لهم فيها؛ مراع تصلح لتربية الحيوانات؛ فاعتمدوا على الرعي؛ كمورد اقتصادي[3] احترفوه منذُ وقت مبكر باعتبارهم قبائل بدوية في الأصل[4].

بفضل التوسع الذي قاده الملك داود باتجاه المناطق الداخلية لسورية، وكذلك المناطق الجنوبية- بلاد الأيدوميين- سيطر العبرانيون على طُرق التجارة الداخلية وبعض طُرق التجارة الدولية؛ لاسيما الطريق الذي يربط سورية بشبه الجزيرة العربية؛ لينطلق العبرانيون نحو استثمار ذلك بالسيطرة على التجارة؛ التي عادت على مملكتهم؛ بالأرباح الطائلة في زمن داود، وسليمان؛ لاسيما بعد أن بنى الملك سليمان أسطوله التجاري في (عصيون جابر)؛ بمساعدة صديقه (حيرام) ملك(صور) الفينيقية؛ لتبدأ معه تجارتهم عبر البحر الأحمر؛ إذ كانت سفن سليمان تنقل من هذا الميناء بعض منتجات سورية من الحبوب، والخمر، وكذلك منتجات صناعة المعادن كالنحاس، والحديد إلى موانئ شبه الجزيرة العربية، وشرق أفريقيا، وتعود منها محملة بأهم سلع هذه الموانئ، والسلع المستوردة من الهند؛ كالبخور، والذهب، والأحجار الكريمة، والعاج، وخشب الصندل، وغيرها[5]، بالإضافة إلى ذلك كانت التجارات المتجهة من، والى الفينيقيين عبر الأراضي العبرانية تخضع للضرائب؛لاسيما في زمن سليمان [6].

1- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، 169 .
2- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص204 .
3- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، 169 .
4- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص194 .
5- التوراة : سفر الملوك الأول، الأصحاح 9، الأيات 26- 28 ,كذلك الأصحاح 10 كله .
6- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص207 .

أما صناعة المعادن؛ فقد تعلّم العبرانيون صهر الحديد من الفلسطينيين؛ وذلك في زمن داود ؛إذ ضَعُفت سلطة الفلسطينيين آنذاك؛ واللذين كانوا محتكرين أسرار صناعته[1]، غير أنه مع توسع الملك داود إلى أراض أدُوم؛ سيطر على أرض غنية بالحديد، والنحاس الخام؛لاسيما المنطقة الممتدة بين البحر الميت، وخليج العقبة (تسمى اليوم العربة) [2].

2- اقتصاد الكنعانيين (الفينيقيين) :-

عمل الفينيقيون بالفلاحة؛ مستغلين المساحات القليلة الصالحة في بلادهم أفضل استغلال؛ مستفيدين من مياه الأمطار الوفيرة؛ فزرعوا الحبوب؛ كالقمح، والشوفان والشعير، والفاصوليا[3]، كما زرعوا الفواكه، وبعض الأشجار المثمرة؛ وأهمها كانت الكرمة، والزيتون، والتين، والنخل، والرُمان، ومن خلال العدد الكبير من الأشجار المثقوبة التي وجدت في مواقع متعددة من مدن الفينيقيين؛ يتّضح مدى الاستفادة من هذه الأشجار في عصر الزيتون، والعنب[4].

كما عمل الفينيقيون في صناعات، وحرف متعددة؛ اكتسبوا إتقان مهاراتها منذُ زمن بعيد بفضل ما توفر لهم في الطبيعة من مواد أولية، وبفضل خروج سفنهم في رحلات إلى البلاد البعيدة؛ والتي كانوا يجلبون من خلالها بعض المواد التي تساعد في هذه الصناعات والحرف[5]، وأهم الصناعات التي اشتهر الفينيقيون بها هي: حياكةَ المنسوجات، وتطريزها، وصبغها باللون الأرجواني؛ وهي صبغة اشتهر بإنتاجها الساحل الفينيقي؛ حتى أن تسميتهم بالكنعانيين، و الاسم الذي أطلقه عليهم سكان بلاد اليونان- (الفينيقيون)- جاء من خلال اشتغالهم باستخراج هذه الصبغة الأرجوانية الحمراء؛ فكانت التسميتان في بعض اللغات ترجمة لمعنى هذه الصبغة[6]، وقد كان الفينيقيون يحصلون على هذه الصبغة من حيوان بحري يعيش بالقرب من شواطئهم

1- التوراة : سفر صموئيل الأول، الأصحاح 13، الأيات 19- 21 .

2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص206.

3- فيليب حتي : المرجع ذاته، الجزء الأول، ص93 .

4- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات في الوطن العربي القديم، الطبعة الثانية، جامعة دمشق، 1998- 1999م ص245 .

5- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص95، كذلك جباغ قابلو :المرجع ذاته، 246.

6- فيليب حتي : المرجع ذاته، الجزء الأول، ص85- 87 .

وبموت هذا الجيوان يفرز مادة؛ عند وضعها على الأنسجة البيضاء؛ تُحوِّل لونها إلى اللون الأرجواني الأحمر[1]؛ غير أن هذه المادة تمر بمراحل معالجة عديدة؛ قبل أن تصبح صبغة أصلية[2]، ولأن هذه المادة يفرزها أحد عروق هذا الحيوان البحري بكميات قليلة، ويتطلب أعداد الصبغة عملاً واسعًا، وصعبًا؛ فان ثمنها مرتفع جدًا، كما أن المنسوجات المصنوعة بها باهظة الثمن؛ فلم يكن يقتنيها، ويلبسها في هذا الوقت؛ ألا الملوك، وكبار التُجَّار، وكبار رجال الدين، و إلى جانب صبغ المنسوجات؛ اشتهرت النساء الفينيقيات بالتطريز؛ وهو ماكان مرغوبًا فيه؛ في بلاد الشرق الأدنى القديم، وبلاد اليونان؛ فتاجر الفينيقيون بالمطرَّزات؛ إذ كانت الثياب الفينيقية ثقيلة من كثرة أعمال التطريز عليها[3].

كما برع الفينيقيون في صناعة الزجاج؛ إذ انفردوا بصناعة الزجاج الشفاف - بالذات- وهو بعكس الزجاج المعتم الذي كانت تنتجه المناطق الأخرى؛ ولاشفافية فيه وهذا الزجاج الشفاف اختلطت بها رمال الساحل الفينيقي، كما خرجوا بسفنهم للبحث عنه في السواحل الأخرى. هذا وقد اشتهر الفينيقيون كذلك بالصناعات العاجية والمعدنية؛ التي كانوا يستوردون موادها الخام، ويصنعونها؛ ثم يتاجرون بها[4] .

أما أهم مورد اقتصادي اعتمد عليه الفينيقيون؛ وانعكس على جميع نواحي الحياة لديهم؛ هو التجارة[5]؛ فوقوع المدن الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛ سمح لأهلها بممارسة التجارة مع المناطق التي تقع خلف البحار، في مصر وموانئ بحر إيجه، وغيرها ؛لاسيما مع اكتسابهم الخبرة الملاحية؛التي اشتهروا بها منذُ زمن بعيد؛إذ رسموا لأنفسهم طرقًا بحريةً- اكتشفوها،واحتكروها،ظلوا يستخصونها زمنًا طويلاً؛ قبل أن يَكشف سرها غيرهم من شعوب البحر المتوسط، وتاجر الفينيقيون بالأخشاب،والقمح،والزيت،والخمر،وبالمنتجات الصناعية؛كالمنسوجات، والمنتجات

1- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص245 .
2- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص103 .
3- جورج كونتنو : الحضارة الفينيقية، ترجمة د. محمد عبدالهادي شعيرة، مراجعة د. طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م، ص364 .
4- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص245- 246 .
5- جورج. كونتنو : الحضارة الفينيقية، ص345 .

المعدنية[1]، وبالمقابل كان الفينيقيون يجلبون بعض المواد التي تنتجها البلاد؛ التي تصل إليها سفنهم؛ كالنحاس من قبرص، والذهب من مصر[2]، بالإضافة إلى ذلك مد الفينيقيون مناطق سورية الداخلية، وبلاد الرافدين بالأخشاب؛ التي يحتاجونها في أعمال البناء وصناعة السفن .

3- اقتصاد الآراميين :-

لم يترك الآراميون ما يمكن أن يساعد على دراسة أحوالهم الاقتصادية بشكل مباشر؛إذ لم يُعثر- حتى الآن- على نقوش،أو آثار كافية، وكفيلة بمعرفة مواردهم الاقتصادية؛ غير أنه يمكن الوقوف على أهم نشاطاتهم في هذا الجانب؛ من خلال بعض النصوص التي تركها بعض ملوكهم، وبعض النصوص الآشورية، بالإضافة إلى معرفة مواقع انتشار الدويلات الآرامية على الأرض السورية؛ حيث تركزت في أغلبها على خطوط التجارة الداخلية، والدولية؛ وهذا يمكن أن يُبرر نجاحهم الفائق في المجال التجاري؛ الذي يُعد المورد الاقتصادي الأهم للآراميين، كما استفادوا من مواقع بعض مدنهم؛ بالقرب من المناطق المنتجة للمعادن، والأخشاب؛ فالدويلات الآرامية استثمرت كل ذلك؛عن طريق فرضها الضرائب على كلّ أنواع التجارات التي تمر عبر أراضيها والتي تتمثل-الضريبة- بجزء مما تحمله قوافل التجارة؛ كالمعادن المختلفة-لاسيما الحديد ؛ الذي تزايدت أهميته آنذاك[3]- بالإضافة إلى تمكن التُجّار الآراميون من ممارسة التجارة على نطاق واسع؛ فوصلوا ببضائعهم إلى مناطق عديدة، وبعيدة في بلاد الشرق الأدنى القديم[4]؛ ففي الوقت الذي سيطر فيه الفينيقيون على التجارة البحرية؛ سيطر الآراميون على التجارة البريته وكانت دمشق الآرامية قِبلة القوافل التجارية على الخط التجاري الدولي[5].

1- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص105.
2- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص246.
3- جباغ قابلو : المرجع ذاته ، ص265 .
4- عيد مرعي : التاريخ القديم، ص159 .
5- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص181.

من خلال النصوص الآشورية التي تذكر هدايا الآراميين للملوك الآشوريين وكذلك مواد الجزية التي كانت تُفرض عليهم؛ يتضح ماكان يتحصل عليه الآراميون من عائدات الضرائب التجارية، وكذلك أنواع الحرف التي كانوا يمارسونها، وأهم البضائع التي ذكرتها هذه النصوص هي: الذهب، والفضة، والنحاس، والقصدير والحديد، والخشب، وأواني نحاسية، وموائد، وأسِرَّة من العاج، ومنسوجات، وألبسة من الصوف ، والكتّان، وعربات حربية، وخيول، وقطعان من الماشية، وغيرها .

وهكذا؛ فإذا ما أُضيفت بعض المعلومات الواردة في نصوص كتبها بعض ملوك الآراميين؛ وتذكر أنواع المزروعات التي عرفتها دويلاتهم؛ كالشعير، والحنطة والكروم، إضافة إلى أنواع من الحيوانات؛ كالشياه، والبقر؛ يتضح أن الآراميين مارسوا- وان كان على نطاق محدود مقارنة بالنشاط التجاري- الزراعة،والرعي وبعض الصناعات الحرفية؛ مستفيدين من توفُر المعادن، والأخشاب، والأنسجة لديهم[1] غير أن التجارة هي أهم مواردهم؛ التي عوّضوا من خلال نجاحهم فيها؛ إخفاقهم السياسي؛إذ استمر التُجّار الآراميون في نشاطهم؛ حتى بعد سقوط كياناتهم السياسية وأهم ما تاجروا به؛ من منتجات المناطق الأخرى هو: الأرجوان الفينيقي، والمطرزات والكتّان، والنحاس، وكذلك خشب الأبنوس، والعاج من أفريقيا، إضافة إلى اللؤلؤ الذي اشتهر بإنتاجه الخليج الفارسي (العربي)[2] .

4- اقتصاد سورية في ظل سيطرة الدول الكبرى :-

بعد انتصار الملك الكلداني (نبوخذ نصر)(605- 562) ق.م على الفرعون المصري (نخاو الثاني)(609- 593) ق.م؛ في معركة من أجل السيطرة على سورية؛ في موقعة كركميش سنة 605 ق.م؛ أصبحت مناطق سورية تحت سيطرة الدولة الكلدانية (الدولة البابلية الحديثة)؛ لاسيما بعد سقوط مدينة صور بيده عام 572 ق.م؛ بعد حصار دام ثلاثة عشرعامًا[3]؛ فكان لابد أن يتأثر اقتصاد سورية. فالتوسع

1- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص266- 267 .
2- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص181- 182.
3- فيليب حتي:المرجع ذاته،الجزء الأول، ص238. كذلك أحمد أرحيم هبو: تاريخ الشرق القديم،الجزء(1)(سورية) ص270 .

والسيطرة السياسية؛ يتبعه سيطرة اقتصادية- على الرغم من استمرار موارد سورية الاقتصادية- على نحو ما ذكر سابقا- فالتجار الآراميون استمر نشاطهم حتى بعد سقوط ممالكهم- سياسيًا- كما استمرت المدن الساحلية الفينيقية بنشاطاتها الاقتصادية المختلفة بما في ذلك الملاحة، والتجارة البحرية، وكذلك الصناعات المختلفة، وظلت كذلك مناطق سورية تنتج محاصيلها الزراعية، والمعدنية، وغيرها من المنتجات، غير أن تأثير هذه السيطرة على اقتصاد سورية؛ جاء من خلال استفادة الكلدانيين من الجزية التي كانت تُفرض على المدن السورية[1]؛ والتي- في كل الأحوال- لم تكن قليلة، إلى جانب سيطرتهم على طُرق التجارة، والاستفادة منها؛ مما انعكس سلبًا على سكان سورية، بالإضافة إلى الضرائب التي التزم السكان بدفعها؛ وتعود إلى الخزائن الكلدانية، كما استفاد حكام بلاد الرافدين- هؤلاء- من خيرات، ومنتجات سورية الطبيعية، والزراعية، والصناعية؛ وذلك بالاستيلاء عليها؛ كعادة المسيطر، والمحتل الذي يستهدف الاستيلاء على موارد المناطق التي يتوسع نحوها، ويسيطر عليها؛ إذ شق (نبوخذ نصر) طريقا من جبال لبنان حتى بابل؛ لتسهيل تحركات جيشه، ونقل المنتجات الطبيعية لسورية؛ وأهمها أشجار الأرز[2].

انتهت السيطرة الكلدانية على سورية بسقوط بابل على يد الفرس الأخمينيين بقيادة (كورش) عام 539 ق.م؛ إذ اعترفت مناطق سورية بالسيادة الفارسية عليها[3] وأصبحت سورية، وقبرص إحدى الولايات الفارسية (الولاية الخامسة)؛ وعاصمتها دمشق، وكان عليها دفع الجزية- سنويًا- للفرس*، وخلال العهد الفارسي حصلت المدن السورية على حرية نسبية لإدارة أمورها؛ رغم وجود حكام الفرس[4]؛ الأمر الذي ساعد على انتعاش الموارد الاقتصادية فيها، وعلى الرغم من أن تاريخ سورية في العهد الفارسي؛ هو من أكثر العهود غموضًا[5]؛ إلا أنه عُرف عن بعض ملوكها قيامهم ببعض الأعمال؛ التي ساعدت في ازدهار الحالة الاقتصادية لسورية، ولكون الفرس يهتمون

1- أحمد أرحيم هبو : تاريخ الشرق القديم، الجزء (2) العراق، ص252 .
2- أحمد أرحيم هبو : المرجع ذاته، الجزء (2) العراق، ص253 .
3- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص239 .
* وهي جزية خفيفة نسبيًا؛ مقدارها 350 وزنة، فيليب حتي : المرجع ذاته، الجزء الأول، ص242 .
4- جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص271.
5- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص248 .

بالزراعة، ويعتبرونها أفضل عمل يزاوله الانسان[1]؛ ازدهرت المناطق الزراعية واستمرت في إنتاجها المحاصيل المختلفة؛ التي اشتهرت بها، وباهتمام ملوك الفرس لاسيما(داريوس الأول) بشق الطرق، وتعبيدها بين أرجاء ولايات الإمبراطورية الفارسية؛ التي أصبحت تمتد إلى كل إنحاء الشرق الأدنى القديم؛ ازدهرت التجارة في سورية؛ التي كانت تقع وسط هذه الإمبراطورية لاسيما في ظل استتاب الأمن؛ فأخذ الفينيقيون، والآراميون مطلق الحرية في ممارسة التجارة البحرية، والبرية، وربما بسبب ترفُّع الفرس عن ممارسة هذا النشاط، وغيره من الأعمال الحرفية، والصناعية إذ تركوا للشعوب التي تقع تحت سيطرتهم أمور ممارستها؛ انتعشت هذه الموارد الاقتصادية لدى سكان سورية، وعادت المدن الداخلية، والمدن الفينيقية إلى الازدهار لتصبح - خلال العهد الفارسي- مراكز مهمة للتجارة العالمية .

من الأمور التي ساعدت- أيضًا- في تسهيل عملية التبادل التجاري؛ إلى جانب شق الطُرق، وتعبيدها؛ هو اهتمام الملوك بإصلاح الضرائب، وكذلك قيام الملك (داريوس الأول) بسك عملة موحدة من الذهب، والفضة؛ سُميت (الداريق)[2].

وهكذا؛فأنه في ظل الحكم الفارسي؛ انتعشت الحالة الاقتصادية في سورية؛ لاسيما التجارة؛ مما أدى إلى ازدهار مدنها الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛ التي عمل الفرس- من خلالها- على بناء علاقاتهم الخارجية مع مناطق ما وراء هذا البحر[3].

منذُ انتصار(الإسكندر المقدوني) على (داريوس الثالث) الفارسي؛ في معركة (أيسوس) عام(333) ق.م؛ بدأت المدن،والمناطق في سورية تسقط تحت سيطرته لتدخل البلاد مرحلة جديدةً؛ تحت الحكم اليوناني؛ وأصبحت سورية- بعد ذلك- العمود الفقري للإمبراطورية السلوقية؛ التي أسسها سلوقس الأول؛ بعد وفاة الإسكندر المقدوني[4].

1ـ فيصل عبدالله، عيد مرعي : المدخل إلى تاريخ الحضارات، ص155 .

2ـ فيصل عبدالله، عيد مرعي : ذاته.

3ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص245- 246 .

4ـ جباغ قابلو : تاريخ الحضارات...، ص271 .

هذا التطور السياسي الجديد في سورية؛ كان لابد أن ينعكس على الجانب الاقتصادي منها؛ ففيّ مجال الزراعة؛ ليس هناك شك في اهتمام السلوقيين بهذا الجانب الذي يُعد أهم موارد ذلك العصر؛ فمع استقرار أعداد كبيرة من الإغريقيين في سورية عرف الناس أنواعًا جديدة من النباتات، ودخلت البلاد خبرات، وأساليب زراعية؛ لم تكن معروفة لدى السكان المحليين، ولم يهمل السلوقيين المنتجات الزراعية؛ التي اشتهرت بها هذه المنطقة من إمبراطوريتهم؛ بل على العكس من ذلك؛ عملوا على تنميتها، وتحسينها، وزيادة إنتاجها؛ ومن أهم هذه المزروعات التي تحسَّن إنتاجها في هذا العصر: القمح؛ الذي زاد إنتاجه بشكل كبير؛ مما أدى إلى هبوط سعره مع زيادة الطلب عليه آنذاك، وكذلك زراعة الزيتون؛ الذي كان السلوقيون على علم بأهميته النفعية، والغذائية، والتجارية؛ لاسيما أن الزيتون السوري ذو جودة عالية، وكان مطلوبًا عالميًا آنذاك.

في الواقع؛ يمكن القول أن السلوقيين اهتموا بزراعة كل المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها أراضي سورية؛ وأهمها: القمح، والفواكه، والكروم، والنخل والزيتون، وغيرها من الأشجار؛ التي تعود عليهم بفوائد تجارية، وهناك إشارات لمحاولة بعض الملوك السلوقيين زراعة بعض المزروعات، والأشجار المعروفة في البلاد الشرقية، والجنوبية لإمبراطوريتهم؛ مثل (سلوقس الأول)؛ الذي حاول زراعة بعض نباتات شبه الجزيرة العربية، ونباتات الهند، وسيلان؛ التي كان الطلب شديدًا عليها داخل الإمبراطورية، وفي حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

حافظ الصنّاع، والحرفيون في هذا العهد على أهم الصناعات التي عرفتها سورية؛ بل شجّعهم اهتمام السلوقيين بها؛ على تحسينها، والإبداع في أساليب إنتاجها بما يتناسب مع أذواق مختلف الزبائن- التي تباينت، وتطورت مع الوارد الجديد (السلوقيين) إلى هذه المنطقة- فأنتجوا نماذج فنية رفيعة في مختلف الصناعات والحرف، ومن أهم الصناعات التي وجه السلوقيين عنايتهم نحوها: صناعة المنتجات الصوفية، والكتانية ذات اللون الأرجواني، وصناعة الخزف، والزجاج؛ إذ دخل إلى

---

[1]- مفيد رائف العابد : سورية في عهد السلوقيين(من الاسكندر إلى بومبيوس،333 قبل الميلاد- 64 قبل الميلاد) دار شمال للطباعة والنشر، دمشق 1993م، ص265-266.

سورية نوع من الخزف الأحمر؛ ذو بريق معدني، كما استمرت صيدا، وصور بإنتاج الزجاج؛ ذو الشهرة العالمية في ذلك الوقت؛ الذي أصبح غالي الثمن، بالإضافة إلى ذلك نشطت صناعة الخمر، وصناعة الزيت؛ نشاطًا ملحوظًا، واستمرت البلاد في إنتاجها الصناعات الخشبية؛ التي كانت معروفة منذُ القدم. أما فن صناعة المعدن؛ فقد تطور تطورًا ملحوظًا في هذا العصر؛ فكانوا يستخدمون خام المعدن الذي يتحصلون عليه محليًا؛ كالفضة، والحديد، والنحاس؛ إلى جانب ما يستوردونه من خام الذهب والفضة؛ الذي يجلبونه من بلاد العرب، وقد أبدع حرفيو المعادن في إنتاجهم لأدوات الزينة، والأدوات والآلات المعدنية الأخرى؛ بحيث اهتم الملوك بهم؛ فهناك إشارات لبعضهم؛ تؤكد اهتمامهم بزيارة أماكن صائغي الفضة، والذهب؛ والتحدث بأمور تتعلق بفنون الصياغة مع هؤلاء الصناع[1].

يمكن الإشارة إلى الإقبال الشديد للسلوقيين على معدن الحديد؛ الذي أضحى ذا أهمية بالغة؛إذ كانوا يحتاجون أليه في صناعة السفن، والأسلحة المختلفة، ولوازم الحرب؛ وبالتالي؛ ربما أصبحت صناعة الأسلحة متميزة عن غيرها من الصناعات المعدنية؛ وذلك للحصول على عتاد حربي متفوق، ومتطور؛عما كان عليه في السابق[2].

فيما يخص التجارة في العهد السلوقي؛ بالنسبة لسورية- كمورد اقتصادي مهم- فقد كانت ذات أهمية كبيرة في هذا الوقت، وهناك جملة من العوامل التي ساعدت على تنشيط التجارة؛ لتؤدي دورها في خلق علاقات متميزة لسكان هذه المنطقة؛ فيما بينهم من جهة، ومع غيرهم من الشعوب من جهة أخرى، وأهم هذه العوامل هو بناء السلوقيين مدنًا جديدة في مختلف مناطق سورية؛ بل وكل مناطق إمبراطوريتهم، ولم يكتفوا بذلك؛ وإنما عملوا على ربط هذه المدن بشبكة الطرق الرئيسة؛ بعد إضافتهم طرقًا جديدة؛ ساهمت- بشكل فعّال- في عملية الاتصال، والربط هذه[3]، كما اهتم السلوقيون بعملية سك النقود؛ وهي نقود ذهبية؛ سُكّت للنهوض بأعباء التجارة مع الهند بسبب اهتمام السلوقيين بمنتجات هذه البلاد، ونقود فضية- هي الأكثر تداولاً- وكذلك

1- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص303- 305.
2- مفيد رائف العابد : سورية في عهد السلوقيين، ص268 .
3- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص297.

نقود برونزية؛ لتسهيل القيام بالتجارة الداخلية[1]- بين أرجاء الإمبراطورية السلوقية- لهذا انتشرت سك العملة في المدن السورية المهمة؛ غير أن الحكومة السلوقية المركزية كانت تُمارس الرقابة الشديدة على إصدار هذه الورش للعملات؛ من خلال علامات مميزة لكل ورشة، ودار للسكة[2].

هذه العوامل، وغيرها؛ ساعدت في تطور التجارة- داخليًا، وخارجيًا- في سورية؛ في هذا العصر؛إذ اهتم السلوقيون بالتجارة مع الهند، غير أن الطرق التي كانت تسلكها بضائع الهند؛ كانت هي ذاتها الطرق التي تخرج من شبه الجزيرة العربية بعد أن تصل هذه البضائع لموانئ بلاد العرب الشرقية، والجنوبية[3]. كما كانت المنتجات المختلفة لشبه الجزيرة العربية- لاسيما الجنوبية- أكثر رواجًا في سورية السلوقية؛إذ يُستهلك جزء منها محليًا، ويُعاد تصدير الجزء الآخر إلى البلاد الغربية؛ إلى جانب منتجات سورية الزراعية، والصناعية، وما يصل إليها- أيضًا- من بضائع البلاد الشرقية؛ فتجارة سورية مع الغرب ساهمت- بشكل كبير- في ازدهار مدنها وارتفاع شأنها آنذاك؛ غير أن أهم ما يميز التجارة مع الغرب في هذا العهد؛ هو انتعاش تجارة الرقيق؛ التي أصبحت من العناصر المهمة في التجارة السورية مع المدن اليونانية؛ إذ تزايد الطلب على هذه البضاعة البشرية من قِبل هذه المناطق،وكان الحصول على الرقيق؛ إما عن طريق أسرى الحروب،أو ضحايا القرصنة المختَطفين[4].

1- بيكرمان : الدولة السلوقية (ملوك سورية السلوقيين)، ترجمة د. إحسان إسحاق، الأبجدية للنشر، الطبعة الأولى ، دمشق 1993م، ص178- 180 .
2- مفيد رائف العابد : سورية في عهد السلوقيين، ص255 .
3- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص297.
4- فيليب حتي : المرجع ذاته، الجزء الأول، ص301.





الفصل الثاني:

طرق التجارة في شبه الجزيرة العربية وسورية ومراكزها.

- المبحث الأول: الطرق التجارية البرية بين شبه الجزيرة العربية وسورية.
- المبحث الثاني: العلاقات التجارية الدولية لكلٍ من شبه الجزيرة العربية وسورية.
- المبحث الثالث: المراكز التجارية والأسواق في شبه الجزيرة العربية وسورية.





المبحث الأول: طرق التجارة البرية بين شبه الجزيرة العربية و سورية

اعتمدت التجارة بين شبه الجزيرة العربية، وسورية في الألف الأول قبل الميلاد على طرق برية ربطت بين الجانبين؛ لنقل البضائع والسلع التي كانت تسوق لديهما، ونشأة الطرق البرية لم تكن وليدة هذا العهد، بل أنها تعود إلى زمن قديم ربما قبل بدء عمليات التجارة.

قبل الخوض في تفاصيل هذه الطرق، ودروبها ، ومسالكها، لامناص من الحديث عن أمرين مهمين لهما أثر واضح في هذا الموضوع، الأول يتعلق بالشروط التي تحدد مسار الطرق وازدهارها، إذ لابد أن تتوفر جملة من الشروط والأسباب التي تساعد ليس على نشوء الطرق ومحطاتها فحسب، بل على بقائها مزدهرة، وحيوية والثاني يتعلق بالوسيلة التي بواسطتها تتم عملية المتاجرة، ونقل البضائع ، والسلع بين المنطقتين ومدى ملاءمتها للظروف المختلفة التي تحفُ بطرق التجارة .

أولاً: شروط مسار وازدهار طرق التجارة البرية:-

١- طبوغرافية المنطقة: -

تؤدي طبيعة سطح الأرض دور مهم في تحديد مسار الطرق البرية التي تحتاجها القوافل ؛ بحيث تتجنب هذه القوافل الطرق التي تجبرها على صعود الجبال بسبب عدم قدرة وسيلة النقل (الإبل) * على اجتيازها، كما أن البيئة الصخرية غير ملائمة لحركتها[١]، وتتجنب القوافل كذلك المنخفضات الساحلية الضحلة[٢] ؛ لأنها لا تتناسب مع طبيعة أقدام الإبل فهي لا تستطيع الحركة فيها بشكل طبيعي ، وبالتالي تعتمد القوافل على الأراضي الرملية؛ بسبب قدرة (الإبل) بما حباها الله من أقدام على أن تقطع مسافات طويلة في المناطق الرملية.

---

* الإبل ، اسم يطلق على الجمال والنوق ، بينما الإبل التي تحمل السلع يقال لها عير ، ومفردها بعير.

[١] - رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن(١٩)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٤م ص٢٠ .

[٢] - أسمهان سعيد الجرو:(طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة عدن ، المجلد الثاني، العدد الثالث، يناير- يوليو ١٩٩٩م، ص٢٧. كذلك يوسف محمد عبدالله :(طريق اللبان التجاري)، في كتاب أوراق...، ص٢٢١ .

٢ ـ مناهل المياه : ـ

للأودية دور خاص في تحديد طرق التجارة، وازدهارها بما يتوفر حولها من العشب، والكلأ الذي تعتمد عليه الحيوانات؛ كمصدر للغذاء، وبما توفره من مصادر للمياه تحتاجها القوافل في طريق رحلتها لقطع قفار، وصحاري المنطقة في ظل مناخ صحراوي حار ، ويضاف إلى ذلك الآبار التي تشكل نُزُل ، وأماكن راحة على طرق القوافل ؛ فتصبح مواضع الآبار محطات على الطريق[1]، الأمر الذي يؤدي في كثير من المواضع إلى نشوء المدن حول هذه الآبار[2] ، كما أن المسافات بين موطن ماء وآخر لها أهميتها في هذا الجانب بحيث لا تتعدى مدى قدرة الإبل على تحمل العطش والتي بمقدورها السير ٢٠٠ ـ ٣٠٠ كم قبل ورودها الماء ؛ بمعنى أنها تحتاج للماء كل يومين أو ثلاثة أيام[3] . ويجب التنويه هنا إلى أن نضوب الآبار وتغيير الأودية و السيول لمجاريها ومسالكها الدائمة يؤدي إلى تغيير مسار الطرق البرية .

٣ ـ توفر الأمن والحماية: ـ

بما أن القوافل التجارية تقطع طريق طويلة للوصول إلى هدفها؛ فهي تمر بكثير من المواضع في الصحاري، والبوادي ، ومناطق الحضر ـ أيضًا ـ فتحتاج لمرشدين ملمّين بمسالك الطرق، ومناهل المياه مبتعدين بها عن مناطق الخطر ـ أكان الخطر طبيعي في الصحراء، أو بشري (قطاع طرق مثلا) ـ الأمر الذي لزم مناطق آمنة ، أو حرّاس يعملون على تأمين سلامة طرق القوافل ، وكان هذا الدور مناط بسادة البوادي الذين يقومون به مقابل إتاوات تدفع لهم[4]، كسيادة القبائل ـ مثلاً ـ في المنطقة الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية بين بوادي العراق ،وسورية، كما تُرافق القوافل في

---

[1] ـ صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى بيروت ٢٠٠٠م ، ص٤٤.

[2] ـ استمهان الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية..)، <u>مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية</u>، ص٢٤.

[3] ـ رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب تجارة القوافل..، ص٢٠ ; كذلك أسمهان الجرو : المرجع ذاته ، ص٢٣ـ ٢٤ .

[4] ـ جواد علي: المفصل...، الجزء السابع ، ص٣٦٠ .

العادة حراسة مشددة لتأمين سلامتها ؛ حتى أصبحت البضائع تُنقل في القوافل الكبيرة القوية التي تعتمد على حماية نفسها بنفسها بالدرجة الأولى .

وفي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ؛ انتشرت الجاليات والمستوطنات السبئية على طول خط التجارة البري الممتد من الجنوب إلى الشمال - على نحو ما ذكر سلفا - وكان الغرض من ذلك هو تأمين قوافل التجارة، وجباية الضرائب .

وهكذا فإن الحماية- أيضًا- من الشروط المهمة لتحديد مسار الطريق التجاري البري، وازدهاره كذلك؛ فأصبحت تُعقد معاهدات، واتفاقيات تنص على التعاون في حماية القوافل التجارية [١].

٤ - الحالة السياسية :-

تتأثر طرق التجارة البرية بالحالة السياسية للمنطقة التي تمر بها؛ من استقرار، أو خلافه ؛ فتبتعد قوافل التجارة عن مواضع الصراع العسكري ؛ مما يجعلها تتجه نحو الصحاري المنعزلة، والبعيدة عن بؤر التوتر، وعدم الاستقرار [٢]، ومعروف أنه في حالة نشوب حرب في منطقة من المناطق ؛ تتأثر؛ بل وربما تتوقف معظم الأنشطة الإنسانية بما في ذلك التجارة، ومسالكها ، كما أن عدم توفر سلطة مستقرة - أيًا كان نوعها (دولة، حكومة، سيادة قبيلة، وغيرها) - يؤدي ذلك إلى عدم الاهتمام بطرق التجارة ، أو على الأقل إهمالها ، والعكس في حالة توفر هذه السلطة.

ثانيًا: وسيلة نقل التجارة البرية بين المنطقتين :-

إعتمد سكان بلاد العرب على الإبل؛ كوسيلة ركوب ونقل منذ أن ظهرت في المنطقة كحيوانات مستأنسة (مدجّنة)،وأقدم ذكر لاستخدام الجمل؛ كوسيلة نقل في المصادر المكتوبة جاء في التوراة ، وبالذات في زمن سليمان عليه السلام (٩٦٠ - ٩٢٥ ق.م)

---

[١] - نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي في جزيرة العرب (القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي)، دار الشواف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض ١٩٩٣م ، ص٢٠٧ .

[٢] - رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب تجارة القوافل، ص١٥ . كذلك نورة العلي : المرجع ذاته، ص٢١١ .

فهي الوسيلة التي نقلت ملكة سبأ بما حملته من هدايا إلى الملك سليمان ﷺ، وفي القرن الثامن قبل الميلاد تذكر التوراة أيضًا الجمل في مناسبة أخرى كوسيلة لنقل السلع إلى بلاد العبرانيين[١]، كما يذكر القرآن الكريم الجمل كوسيلة نقل،وتنقل في قوله تعالى : ﴿ولكُمْ فيها جَمَالٌ حينَ تُرِيحُونَ وحينَ تَسرَحُونَ ۞ وتَحمِلُ أثقالكُم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلاَّ بِشِقِّ الأنفسِ. وإنَّ ربَّكُمْ لرَءُوفٌ رحيمٌ﴾[٢].

بدأ استئناس الجمل في شبه الجزيرة العربية - بحسب اعتقاد العلماء - في العصر البرونزي؛ أي حوالي القرنين الثالث عشر، والثاني عشر قبل الميلاد[٣]، غير أن سيادة الجمل كوسيلة للنقل في بلاد العرب لا يبتعد كثيرا عن مطلع الألف الأول قبل الميلاد،وهو العهد التي بدأت معه تجارة بلاد العرب البرية بالازدهار مع غير ها من الأقطار؛ فيبرز العرب وتجارتهم على مسرح أحداث الشرق الأدنى القديم آنذاك[٤].

الجمل خصّه الله-جلّ جلاله-ببعض الخواص التي تميَّز بها عن غيره من الحيوانات جعلت منه سفينة يركب به الناس الصحراء في رحلاتهم، وسفراتهم الطويلة فأصبحت الصحاري المقفرة - بفضل مميزات الجمل - طرق سهلة (قياسًا بالعهود الماضية) ربطت مناطق شبه الجزيرة العربية بعضها ببعض ، وربطتها بمراكز الحضارة في المناطق المجاورة .

تصل قدرة الجمل إلى حمل (٥٠٠) كغم، ويستطيع السير بها على أرض رملية مسافة يومين إلى ثلاثة أيام، وربما أكثر، قبل أن يصل إلى مورد ماء يشرب منه كما أنه يتحمل الجوع ، ولا يحتاج إلى رعاية دائمة ، أو مكثفة كتلك التي تحتاجها حيوانات النقل، والركوب الأخرى[٥] ، وإلى جانب طبيعة خفية ؛ فإن هذه الخواص الجسمانية للجمل ؛ مكنته من احتمال المشقات الطبيعية لطرق القوافل البرية؛ من رمل ومناخ صعب، وندرة في المياه في بعض المناطق .

١ـ التوراة: سفر الملوك الأول ،الأصحاح العاشر، الآية٢ . سفر إشعيا ،الأصحاح الستون، الآية٦ .

٢ـ القرآن الكريم: سورة النحل ، الآيتان ٦ و٧ .

٣ـ يوسف محمد عبدالله :(طريق اللبان التجاري)، في كتاب أوراق...، ص٢٢٢ . كذلك أسمهان الجرو(١٩٩٩م): (طرق التجارة البرية والبحرية...)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص٢٣.

٤ـ رضا الهاشمي :(تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب تجارة القوافل...، ص١٠ .

٥ـ رضا الهاشمي: المرجع ذاته، ص ١١-١٢ .

ويبدو أن الإبل مع بداية استئناسها في شبه الجزيرة العربية كانت تنطلق شمالاً بأعداد قليلة[١]، غير أنه مع ازدهار التجارة في الألف الأول قبل الميلاد؛ زاد عدد الإبل في الرحلة الواحدة؛ كقوافل سبأ- مثلاً - (ألفين إلى أربعة ألف بعير)[٢]، وفي سبيل الحفاظ على التجارات بدأ الاعتماد على نظام القوافل* ، إذ أصبحت تُسيَّر الإبل في قوافل كبيرة وقوية تصحبها حراسة مشددة تحسُّبًا لأخطار الطريق وقطاعه[٣].

كما أن طريقة ركوب الجمل في المراحل الأولى لاستئناسه كانت بدائية؛إذ ركب العرب الجمل أولاً من خلف السنام ؛ معتمدين على وسادة ؛ مما يجعل حركته بطيئة ، ثم ما لبثوا أن تعلموا الركوب كما هو عليه اليوم ؛ فزادت سرعة الجمل؛ الأمر الذي مكّنه من السفر إلى المناطق البعيدة[٤].

ثالثًا: الطرق البرية : - (يُنظر خريطة ٤)

ليس هناك ما يشير إلى بداية نشأة الطرق البرية بين شبه الجزيرة العربية و سورية ، ولاشك أن ظهور هذه الطرق كان بالتدريج مع تدرّج العلاقات المختلفة بينهما وتطورها - العلاقات التجارية هي الأهم بالطبع - وقد تحدد مسار تلك الطرق وفقًا للشرط التي تم ذكرها سابقًا .

في الألف الأول قبل الميلاد كان هناك طريقان رئيسيان يشقان بلاد العرب باتجاه سورية؛ اعتمدت عليهما القوافل التجارية، وسارت خلالهما؛ فأصبحا ذا أهمية بالغة ليس فقط للتجارة، وإنما للتواصل الحضاري، والثقافي، وغيرهما من أشكال التواصل بين المنطقتين . الطريق الأول ينطلق من جنوب بلاد العرب مارًا بمناطق متعددة في شبه جزيرة العرب حتى يصل جنوب غرب سورية؛ ليرتبط بالطرق

---

[١] - أسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية ...)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ص٢٣.

[٢] - حسن صالح شهاب : أضواء ...، ص٨١ .

* للمزيد عن نظام القوافل يُنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

[٣] - جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع، ص٣١٩ .

[٤] - يوسف محمد عبدالله :(البداوة في اليمن القديم)، في كتاب أوراق...، ص٢٥٨ .

الداخلية لهذه المنطقة ، أما الطريق الآخر فيتجه من شرق شبه الجزيرة العربية باتجاه نهر الفرات ثم يتجه غربًا ليخترق البادية حتى يصل مدن، وأسواق سورية من خلال طرقها التجارية الداخلية أيضًا ، ويمكن التعرف على هذين الطريقين ومسالكهما من خلال الاستعراض الآتي :

١ـ الطريق بين جنوب شبه الجزيرة العربية وسورية:- (يُنظر خريطة ٤)

لهذا الطريق أهمية كبيرة ليس فقط لأهمية تجارة الجنوب، والبضائع، والسلع التي تمر خلاله ؛ وإنما لربطه مناطق كثيرة في بلاد العرب ؛ وما يتصل بذلك من نشوء للعلاقات المختلفة بين العرب في شبه جزيرتهم . وحتى تكون الصورة مكتملة حول هذا الطريق ، ومحطاته المتعددة ؛ لابد من الحديث -أولا- عن شبكة الطرق، والمسالك الداخلية التي ربطت مناطق الجنوب بعضها ببعض ، وكذلك الطرق التي ربطت هذا القسم بغيره من الأقسام الأخرى في شبه الجزيرة العربية .

تنطلق القوافل التجارية في جنوب بلاد العرب باتجاه الشمال في هذا الطريق من أسواق ميناءي قنا، وعدن، حيث تتجمع فيهما البضائع القادمة من الأسواق الداخلية، ومن الموانئ الأخرى في شبه الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى البضائع القادمة من الأقطار، والبلدان التي تاجرت مع هذين الميناءين ؛ كشرق أفريقيا، والهند وتجارات الصين[١] .

بما أن ظفار حضرموت مثلت المنطقة الرئيسية لإنتاج اللبان[٢] - أهم سلعة تجارية لدول الجنوب - فقد ارتبطت مع قنا بطريقين : (بحري، وبري) بالنسبة للطريق البحري ؛ يشحن اللبان (المعبأ في قِرب جلدية منفوخة) في قوارب مصنوعة من ألواح الخشب، تُبحر من قرى الاصطياد الساحلية القريبة من منطقة إنتاجه؛لاسيما ميناء سمهرم(خورروري)- بعد أن ظهر كميناء ثانٍ لحضرموت- لتصل إلى ميناء قنا مدفوعة بقوة الرياح الشمالية الشرقية . أما الطريق البري؛ فكان طريقٌ وعر تقطع فيه

١ـ نوره عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص٢١٢-٢١٣ .

٢ـ MULLER, Walter, "Notes on The use of Frankincense in South Arabia" ,The Ninth Seminar for Arabian Studies , London, ١٩٧٦,p١٢٥ .

القوافل مرتفعات جيرية صعبة بمحاذاة الساحل [١] ، وهناك طريق آخر ربط ظفار بوادي حضرموت من خلال الاتجاه شمالا بمحاذاة الجبل ، ثم المرور من صحراء حبروت (ظفار) ؛ ثم إلى وادي حضرموت [٢]. ومن (ميناء قنا) إلى نجران (٢٥٠ كم شمال مارب) المحطة التجارية الكبرى؛هناك عدة طرق يمكن أن تمر خلالها القوافل لتصل إلى هذه المحطة التجارية المهمة ، ومعظم هذه الطرق غير رسمية حيث تتجنب المرور ببعض عواصم دول العربية الجنوبية تهربًا من دفع الضرائب، أولاضطراب الحالة السياسية في بعض الأوقات[٣].

غير أن هناك طرق رسمية تبدأ من قنا وتمر بعواصم هذه الدول؛ وكان الملوك يشددون على ضرورة المرور من خلالها؛ لضمان جباية الضرائب التجارية لصالحهم، ولصالح معابدهم ، ولتنشيط أسواق مدنهم المهمة كانوا يعملون على تعبيد تلك الطرق، وتأمينها، وحمايتها لجذب تجَّار القوافل إليها، ومن يشذ عنها يتعرض للعقوبة التي تصل إلى حد الإعدام[٤].

من قنا إلى شبوة (عاصمة دولة حضرموت)؛ هناك طريقان تسلكه القوافل التجارية : الأول؛ يتجه صوب وادي حجر ، ومنه شمالا حتى وادي عرمة؛ ثم إلى (شبوة)،وهذا الطريق على الرغم من أنه طويل إلا أنه أكثر أمانًا ،والطريق الآخر؛ يمر بوادي ميفعة ، ثم ممر ضيق بين سلاسل جبلية حتى وادي (عماقين) ثم إلى وادي جردان ، وبعده يمر الطريق بأراضي رملية حتى يصل شبوة؛ إذ تدخل القوافل مدينة شبوة من باب واحد يظل مفتوحًا لغرض استقبالها، في شبوة يحصل المعبد على العُشر كيلاً، و يخصص للمصروفات العامة[٥].

---

[١] - أسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية...)مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص٢٤

[٢] - يوسف محمد عبدالله :(طريق اللبان التجاري)، في كتاب أوراق...، ص٢٢٠ . كذلك أسمهان الجرو: المرجع ذاته. ص٢٤.

[٣] - للمزيد حول الطرق يُنظر: محمد عبدالقادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم ، ص١٧٧. كذلك أسمهان الجرو: المرجع ذاته، ص٢٦ -٢٧.

[٤] - أسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته، ص٢٤- ٢٦

[٥] - محمد عبد القادر بافقية : تاريخ اليمن القديم ، ص١٨٣. كذلك أسمهان سعيد الجرو : المرجع ذاته، ص٢٦.

تواصل القوافل رحلتها صوب الشمال من شبوة إلى تمنع (عاصمة دولة قتبان)؛ خلال طريق يمر في الصحراء عبر وادي همام، تصل إلى تمنع ، وتقطع القوافل هذا الطريق في حوالي ٥ - ٦ أيام[١] .

من تمنع حتى مأرب (عاصمة دولة سبأ)؛ تسلك القوافل طريقين : طريق يمر بأطراف الجبل إلى (نجد مرقد) ومنها إلى مأرب ، والآخر يمر عبر (عقبة مبلقة) غرب هجر بن حميد؛ وهو طريق طويل ربما تعبُره القوافل للتهرب من الضرائب، أو في حالات اضطراب الأمن فتصل إلى مأرب .

أما حركة القوافل من مأرب حتى نجران ؛ فتكون أيضًا من خلال طريقين: أحدهما يربط مأرب بقرناو (عاصمة دولة معين) ثم نجران، والآخر يسلك وادي رغوان؛ ليمر بمراكز تجارية مهمة إلى براقش في جوف معين ، ثم تسير القوافل شرق جبل اللُوذ حتى تصل نجران[٢] .

أما القوافل التي تنطلق من ميناء عدن ؛ فإنها تتجه باتجاه الشمال الشرقي إلى لودر؛ فالبيضاء ثم تميل باتجاه وادي بيحان، وعبر عقبة مبلقة؛ نزولاً بوادي ريب تعبر القوافل بأطراف رملة السبعتين حتى تصل مأرب، ومن مأرب إلى نجران على نحو ما ذُكر سابقًا[٣] .

ومن محطة نجران التجارية الكبرى يتواصل الطريق شمالاً حتى يثرب (المدينة اليوم)؛ لتنطلق بعدها القوافل باتجاه واحة العُلا- حيث قامت مملكتي ديدان ولحيان، وقامت المستوطنات المعينية فيها- وبعد ذلك تستمر بالصعود باتجاه الشمال إلى الحجر (مدائن صالح)، ومنها تنطلق حتى أرض الأيدوميين- ثم الأنباط فيما بعد- وبالذات إلى العاصمة البتراء[٤]، التي شكلت ملتقى لطرق القوافل القادمة من جنوب وشرق شبه الجزيرة العربية؛ مع الطريق الدولي العظيم الذي يمتد من مصر غربًا

---

[١] - نوره عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص٢١٤ .

[٢] - للمزيد حول الطرق الداخلية يُنظر اسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية ...)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ص٢٤-٢٧.

[٣] - محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم، ص١٧٨ .

[٤] - رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل في التاريخ القديم)، في كتاب تجارة القوافل...، ص٢١ كذلك أسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية ...)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ص٢٧ .

ليصل إلى مواطن حضارات الشرق الأدنى القديم في سورية؛ بلاد الرافدين؛ فإيران حتى أواسط آسيا والصين .

من البتراء-المحطة المهمة على طرق القوافل- يخرج ثلاثة طرق ؛ الأول يتجه عبر صحراء سيناء إلى مصر ، والثاني يتجه إلى غزة-التي تنقل عبر مينائها التجارة إلى شعوب البحر المتوسط - بينما الطريق الثالث يتجه في خطٍ موازٍ للبحر المتوسط، ونهر الأردن صوب دمشق[1] ، ومن دمشق تخرج طُرق إلى مناطق مختلفة أهمها مدن ، وموانئ فينيقيا ، و فلسطين التي تطلّ على شرق البحر الأبيض المتوسط .

عُرف هذا الطريق-الممتد من جنوب بلاد العرب إلى سورية- فيما بعد بطريق اللُبان(البخور)؛ وذلك لشهرة، وأهمية تجارة اللُبان في ذلك العهد، علمًا أنه كانت تنقل عبره سلع وبضائع أخرى ثمينة ؛لا تقل أهمية عن اللُبان .

قبل الانتهاء من الحديث عن هذا الطريق؛ من المفيد الإشارة إلى الطُرق التي تتفرع منه؛ لتربط مناطق جنوب ، ووسط شبه الجزيرة العربية بشرقيها ، تنتقل خلاليا المحاصيل، والبضائع المهمة القادمة من الجنوب إلى الأسواق، والمدن الشرقية وأهمية هذه الإشارة؛ تأتي من أن الطريق الآخر-الذي يربط شبه الجزيرة العربية وسورية - ينطلق من شرق بلاد العرب باتجاه سورية ، وأهم هذه الطرق :

أ- طريق ظفار - جرها : طريق بري ربط بين حضرموت،والمدن المطلة على الخليج العربي ؛ ويصل إلى جرها[2]، التي تخرج منها القوافل نحو المنطقة المحاذية لنهر الفرات غربًا، ثم إلى سورية.

ب- طريق نجران - جرها: طريق يتفرع من محطة نجران باتجاه وادي الدواسر مارًا بقرية ذات كهل - قرية الفاو اليوم- ثم يتجه شرقا نحو الأفلاج؛ فاليمامة، ثم إلى واحة

---

[1] - رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب تجارة القوافل...، ص٢٢. كذلك يوسف محمد عبدالله :(طريق اللبان التجاري)، في كتاب أوراق ...، ص٢٢١ .

[2] - اسمهان سعيد الجرو:(طرق التجارة البرية والبحرية ...)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ص٢٤. كذلك نوره عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص٢١٧ .

الهفوف؛ حتى يصل إلى جرها على الساحل الشرقي لبلاد العرب[1] .

٢- الطريق بين شرق شبه الجزيرة العربية وسورية : - (يُنظر خريطة ٤)

وهو من الطرق المهمة؛ الذي ربط المدن المطلة على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية؛ وأطراف بلاد الرافدين، وسورية، حيث كانت الموانئ الشرقية نشطة ملاحيًا بفضل مصائد اللؤلؤ فيها، واعتماد سكانها على البحر ،وكذلك لارتباطها بالموانئ الأخرى في الأقطار المجاورة .

في هذه المدن، والموانئ تتجمع التجارات القادمة من الأسواق الداخلية لبلاد العرب؛أهمها سلع المناطق الجنوبية ، وأسواق اليمامة ، وأطراف نجد الشرقية، وكذلك البضائع القادمة من الأسواق الخارجية؛ كموانئ الهند، وما يأتي عبرها من منتجات الصين .

وهكذا فإن هذا الطريق يربط المدن الشرقية بعضها ببعض لتتجمع القوافل في جرها؛ ومنها يبدأ الطريق الشرقي باتجاه سورية؛ فيستمر بالصعود شمالاً في طريق محاذي، وموازي لنهر الفرات؛ حيث لا يبتعد عن الماء، والغذاء، وأهل الحضر[2]، مارًا ببعض مدن الأطراف لبلاد الرافدين حتى يصل بابل[3]، ثم يتجه الطريق غربًا؛ ليمر في أقصى شمال شبه الجزيرة العربية مخترقًا البادية السورية باتجاه دمشق - وبعد نشوء تدمر كمدينة تجارية؛ أصبح الطريق يمر بها ثم إلى دمشق[4] - ومن دمشق تتفرع عدة طرق: طريق باتجاه المنطقة الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض وطريق ثانٍ؛ يتجه شمالاً؛ ليصل حلب ، ومنها يخترق الممرات في جبال الأمانوس باتجاه آسيا الصغرى ، وطريق ثالث يتجه نحو الجنوب الغربي ليجتاز سهل مجدُو باتجاه مدن فلسطين حتى غزة . وهكذا فإن هذا الطريق يرتبط بالطريق

١ـ محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، ص١٣٥ ،كذلك نورة عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص٢١٧.
٢ـ جواد علي : المفصل...، الجزء السابع ، ص٣٣٢ .
٣ـ علي أكبر فياض: تاريخ شبه الجزيرة العربية، ترجمة عبد الوهاب علوي، مركز النشر لجامعة القاهرة CUP ب ت،ص١٦.
٤ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول ، ص٩٤-٩٥.

الدولي العظيم الذي يربط مصر في دلتا نيلها؛ ليمر بغزة ثم سورية؛على نحو ما تقدم حتى بلاد الرافدين ومنها إلى إيران حتى أواسط آسيا[1] .

هناك طريق آخر يخرج من جرها باتجاه البتراء؛ حيث يمر خلال واحة الهفوف؛ ليعبر شمال اليمامة؛ فيأخذ خطًا موازيًا لجبل طويق ، وبعدها يتجه غربًا إلى بريدة، ومنها إلى حائل؛ فتيماء ، ويتواصل حتى يصل البتراء؛ حيث يلتحق بالطريق القادم من جنوب بلاد العرب المتجه نحو سورية[2] .

وبعد هذا الاستعراض للطرق البرية- التي ربطت منطقتي الدراسة- يمكن الوقوف على جملة من الملاحظات في هذا الجانب : ـ

- الطرق البرية بين المنطقتين كانت مليئة بالمخاطر مع بداية هذا العهد، فهي لم تكن سهلة أو ممهدة ، وتطلبت الكثير من الاهتمام، والعناية بها ، وبمحطاتها المختلفة فأصبحت بعضها تشكل أسواقا مهمة للتجارة بعد أن توفر فيها ما تتطلبه الرحلة من تموين، وأمن، ومع ازدهار النشاط التجاري تحول الكثير من هذه الأسواق إلى مدن تجارية،وممالك[3] .

- اهتم الملوك، وزعماء القبائل بطرق القوافل البرية من خلال القيام بتعبيدها، وصيانتها ووضع العلامات على مسالكها، ودروبها ، وكذا شق الممرات، والأنفاق لها في بعض المواضع؛ خاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ كملوك حضرموت[4]، و قتبان[5]، كما **وفروا الإمكانيات التي من شأنها جذب تجار القوافل إلى الطرق التي تمر بدولهم ومدنهم؛ بغرض تحصيل ضرائب التجارات المختلفة ؛ على الرغم من وجود طرق**

---

[1] - نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص٢٢٠ .

[2] - محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، ص١٣٦ .

[3] - أسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م):(طرق التجارة البرية والبحرية ...)، <u>مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية</u> ص٢٤ .

[4] - أسمهان سعيد الجرو : ذاته.

[5] - جواد علي : المفصل...،الجزء الثاني، ص١٩٠ . كذلك نورة عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص٢٠٩.

أخرى غير رسمية في بعض المناطق ـ على نحو ما ذكر سابقا ـ كما أنهم اشتركوا في التجارة؛ فكانت لهم تجارتهم الخاصة [١] .

ـ ارتبطت الطرق الداخلية المختلفة في شبه الجزيرة العربية ، وكذلك في سورية بالطرق الدوليّة التي تقطع المنطقتين طوليًا، وعرضيًا ، فتشكلت شبكة طرق تربط المناطق المختلفة بعضها ببعض ؛ فكان لها دورًا مهمًا في النشاط التجاري ، وفي نمو العلاقات المختلفة؛ وازدهارها.

١ ـ جواد علي : المفصّل ...، الجزء السابع، ص٢٢٨.

المبحث الثاني:العلاقات التجارية الدولية لكلٍّ من شبه الجزيرة العربية وسورية.

أولاً: شبه الجزيرة العربية :

ارتبطت شبه الجزيرة العربية مع غيرها من الأقطار، والبلدان بعلاقات تجارية واسعة ؛ وذلك بسبب موقع بلاد العرب الوسط الذي يربط أقطار العالم القديم بحرًا، وبرًا؛ حيث كان للموانئ العربية دورًا كبيرًا في عبور تجارات الشرق، والغرب فشكلت محطات تجارية كبرى على طول خطوط التجارة البحرية ، وهو نفس الدور الذي أدته الطرق البرية التي تخترق شبه الجزيرة العربية طوليًا وعرضيًا ؛ فنتج عن ذلك نشوء العلاقات التجارية بين بلاد العرب، وغيرها من الأقطار؛ خاصة مع ممارسة العرب-ذاتهم- للتجارة البحرية والبرية .

وللوقوف على العلاقات التجارية التي نشأت بين شبه جزيرة العرب وشواطئ شرق أفريقيا، والهند، وفارس، وكذلك مصر، وبلاد الرافدين ، بالإضافة إلى سكان ما وراء البحر الأبيض المتوسط ؛ لابد من الحديث عن أهم موانئ بلاد العرب التي تطل على البحر من ثلاث جهات؛ إذ كانت التجارة تنطلق- أولاً- من هذه الموانئ التي ربما ازدهرت بفضل ازدهار العلاقات التجارية مع هذه الأقطار.

١- موانئ شبه الجزيرة العربية :- (يُنظر خريطة٣)

أ- ميناء أيلة (العقبة) :-

يعد من الموانئ القديمة ، شكل سوقًا تجاريًا منذ القدم ، يقع على رأس خليج العقبة ، ارتبط بعلاقات تجارية مع موانئ البحر الأحمر، ومراكز التجارة البرية التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية، وغربها، بالإضافة إلى مراكز التجارة في جنوب سورية. جاء ذكر هذا الميناء في التوراة؛ كمنطقة مجاورة لميناء(عصيون جابر)

هو الميناء الذي كان قاعدة للأسطول البحري الذي أنشأه الملك سليمان ﷺ (٩٦٠ - ٩٢٥ ق . م) في تل الخليفي[١] - .

كان ميناء أيلة أحد أهم موانئ الأدوميين[٢] ، ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أصبح خاضعًا للأنباط [٣] ، استغله تُجّارهم باعتباره البوابة التي أطلت منه منطق الأنباط، ومناطق جنوب سورية على موانئ البحر الأحمر، والمحيط الهندي، وشرق أفريقيا ؛ بالذات قبل ازدهار ميناء لويكي كومي النبطي .

ب - ميناء لويكي كومي (Leuke Kome) :-

اسمه يعني (القرية البيضاء)، يقع شمال الضفة الشرقية للبحر الأحمر[٥] هناك اختلاف حول موقعه[٤]، ولم يرد ذكره في الكتابات إلا في القرن الأخير قبل الميلاد ويبدو أنه ميناء صالح لرسو السفن؛ بدليل استخدامه من قبل جيوش القيصر (أغسطس) في حملة (أليوس جاليوس) الفاشلة سنة ٢٤ ق.م على بلاد العرب[٥]، كما يذكره كتاب الطواف حول البحر الأرتيري في الفصل التاسع عشر ، على أنه ميناء محصن يستقبل السفن الصغيرة؛ ومنه ينطلق طريق إلى البتراء؛ حيث تنقل إليها البضائع ، وبه يقيم (قائد المئة) الذي يحصل على ربع المتاجر المستوردة ، كما كان به قوة مسلحة تقوم بدور الحماية[٦] .

ج - ميناء موزا(موزع) :-

هو ميناء مهم على البحر الأحمر، كان له شهرة عالمية في القرن الأول الميلادي مما يدل على دوره النشط في العهود الأخيرة السابقة للميلاد، يذكره صاحب كتاب الطواف في الفصل الحادي والعشرين؛ كميناء دولي ترد له السفن من جهات عديدة

---

[١] - التوراة : سفر الملوك الأول،الأصحاح التاسع ، آية ٢٦ .

[٢] - جواد علي : المفصل ...، الجزء الأول ، ص١٤٢ .

[٣] - سيد أحمد الناصري :(الصراع حول البحر الأحمر في عصر البطالمة)، دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني (الجزيرة العربية قبل الإسلام) ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ١٩٨٤ ، ص٤١٠ .

[٥] - يعد الشريط الساحلي الشرقي الموازي لبلاد العرب وعرًا؛ وذلك لكثرة الصخور البارزة، والشعب المرجانية الكثيفة ، لذلك لم يكن به إلا عددًا محدودًا من الموانئ آنذاك .

[٤] - للتعرف على طبيعة الاختلاف يُنظر : نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص٢٥٣ .

[٥] - جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع ، ص٢٧٢ . كذلك نورة عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص٢٥٣.

[٦] - THE PERIPLUS OF THE ERYTHRAEAN SEA, Translated and Annotated by WILFER.H.SCHOFF, Distributed by Munshiram Manoharlal Publishers PVT. Ltd Second Edition ,New Delhi ١٩٧٤ , sce١٩ ,p٢٩ .

مثل مصر، والساحل الهندي، وكذا شرق أفريقيا ، وبه جاليات غير عربية تعمل بالتجارة، كما يذكر بان سفن التجار في هذا الميناء تنطلق منه إلى أماكن بعيدة ، وفي الفصل الرابع والعشرين يصف أهم السلع التي ترد إلى هذا الميناء ، بالإضافة إلى أهم ما يصدّره الميناء من منتجات بلاد العرب[١] ، وبالتالي فإلى جانب كونه ميناء هو سوقًا تجاريًا [٢].

د ـ ميناء عدن :-

يعد ميناء عدن من الموانئ القليلة المحمية طبيعيًا ، ويصلح لرسو السفن طوال العام[٣]، كما تتوفر فيه المياه العذبة[٤]. ورد ذكره في التوراة؛ كميناء تنطلق منه التجارات إلى بلاد العبرانيين في القرن السادس قبل الميلاد[٥] ، ويذكره الكتّاب الكلاسيكيون باعتباره مركز قديم لتبادل السلع الأفريقية، والهندية، والمصرية، وسلع بلاد العرب إذ تنطلق السفن من هذه المناطق إلى ميناء عدن ، ومنه- أيضًا- تعود إلى تلك المناطق[٦].

ظل هذا الميناء؛ ميناءًا رئيسًا للأوسانيين؛ حيث تخرج مراكبهم منه باتجاه شرق أفريقيا[٧]، ولأهمية هذا الميناء تعرّض في العهد السابق للميلاد، وما بعده لمحاولات الاستيلاء عليه من قبل اليونانيين، والرومانيين؛ بسبب دوره المهم على خط التجارة البحري ، يذكره صاحب كتاب الطواف في الفصل السادس والعشرين باسم (العربية اليوديمونية)(السعيدة)؛ فيصف ازدهاره سابقًا (قبل الميلاد)؛ بأنه ميناء تتجمع فيه متاجر الهند، ومصر .

أما الهمداني فقد ذكر مدينة عدن ((عدن جنوبية تهامية ، وهي أقدم أسواق العرب[٨])).

---

١ - The Periplus : Op-Cit, sec٢١-٢٤, p٣٠-٣١ .

٢ - نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي... ، ص٢٥٤

٣ - أسمهان سعيد الجرو(١٩٩٩م) (طرق التجارة البرية والبحري...)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص٣٠.

٤ - نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي... ، ص٢٥٥.

٥ - التوراة : سفر حزقيال، الأصحاح السابع والعشرين ، الآية ٢٣ .

٦ - The Periplus : Sec٢٦,p٣٢.

٧ - حسن صالح شهاب : أضواء... ، ص٢٤٢

٨ - أبو الحسن الهمداني : الصفة ... ، ص٩٤ .

هـ - ميناء قنا :-

يقع في موضع حصن الغراب؛ بالقرب من ميناء بيرعلي- اليوم- ، ورد ذكره إلى جانب عدن في التوراة في سفر حزقيال - المذكور سابقا - وهو الميناء الرئيس لدولة حضرموت ؛الذي تمّ الحديث عنه باعتباره الميناء الذي يستقبل اللّبان القادم من ظفار بحراً، وبرّا؛ ومنه تبدأ الطرق البرية إلى شبوة ؛إذ تصل إليه قوافل التجّار محمّلة ببضائع أهل الشمال ، ثمّ تعود شمالاً وهي تحمل البخور، والطيوب ، وتوابل الهند وسلع شرق أفريقيا التي تصل هذا الميناء على متن السفن[1]، ولم يغفل صاحب كتاب الطواف عن ذكر قنا في الفصل السابع والعشرين ؛إذ يذكره بأنه ميناء يتبع مملكة البخور(حضرموت)، وإلى الداخل من قنا توجد شباتا (شبوة) العاصمة، وأن هذا الميناء تاجر مع الموانئ الهندية، وعُمان، والموانئ القريبة من فارس ، وفي الفصل الثامن والعشرين يصف أنواع البضائع التي تصل الميناء، والبضائع التي تصدّر منه؛كأحد الأسواق الرائجة في ذلك الزمان [2] .

و- ميناء سمهرم:-

يقع في منطقة تُعرف اليوم باسم(خورروري)، ضمن إقليم ظفار،ويتبع مملكة حضرموت، كميناء لتصدير اللبان[3]، تمّ ذكره في نقوش تعود للقرن الثاني ق.م- تم العثور عليها حديثًا[4]- سمهرم مدينة حصينة محاطة بسور يقوم عليه برجان؛ أحدهما عند الطرف الجنوبي الشرقي للمدينة، والآخر عند طرفها الشمالي الغربي، وقد بُني السور في الجهتين الشرقية والجنوبية على صخرة شديدة الانحدار؛ فكان من الصعب اختراقه، بينما قلعة سمهرم بُنية في الناحيتين الشمالية والغربية منه؛ فأصبحت تشكّل حماية للمدينة في هذين الاتجاهين، كما أن مدخل الخور الذي قام عليه هذا الميناء يمتاز بحماية طبيعية تتمثل بالمرتفع الصخري الذي زاد من مناعة الموقع[5].

---

[1] - حسن صالح شهاب: أضواء...، ص٢٥٠ .

[2] - The Periplus : sec٢٧-٢٨, p٣٢-٣٣

[3] - عبد القادر الغساني: (ارض اللبان في سلطنة عُمان) في كتاب حصاد ندوة في الدراسات العُمانية(نوفمبر ١٩٨٠م)، أمون للتجليد والطباعة، المجلد الأول ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨١م، ص٢٤٥.

[4] - أشار بذلك المشرف العلمي للرسالة ، (الدكتور أحمد بن أحمد باطايع).

[5] - محمد عبد القادر بافقية : تاريخ اليمن القديم، ص٥٧.

جاء ذكر هذا الميناء في كتاب الطواف باسم (موشا)، وذلك في الفصل الثاني والثلاثين باعتباره ميناء يستقبل السفن القادمة من ميناء قنا، وكذا القادمة من موانئ الهند؛ فيقوم التجار بمبادلة بضائعهم هناك، ولايتم تحميل هذه السفن باللبان إلا بإذن الملك[1].

ز - ميناء جرها :-

جرها ميناء على ساحل الإحساء، يعد من الموانئ المهمة التي تاجرت مع الموانئ الشرقية للخليج العربي؛ الممتدة من فارس حتى الهند، كما ارتبط بموانئ بلاد العرب الجنوبية، وبلاد العراق؛ حيث تنتقل التجارة من جرها بحرًا؛ لتصل إلى بابل واشتهر سكان جرها بالتجارة، وصيد اللؤلؤ، وبالميل نحو السلم[2] . تخرج من جرها طرق برية باتجاه أطراف العراق؛ فسورية ، وباتجاه البتراء عبر تيماء، وإلى نجران. فهذا الميناء كان مؤهلاً لأداء دور الوسيط التجاري؛ لتجارة العالم القديم برًا، وبحرًا فأصبح يشكل سوقًا تجاريًا رائجًا ؛عمل حكامه على المحافظة على طبيعته التجارية وذلك من خلال مهادنة القوى التي تحاول إخضاعه. وصلت جرها إلى أوج ازدهارها في عهد السلوقيين الأوائل؛ الذين كانوا يتزودون بحاجاتهم من بضائع الهند، وجنوب بلاد العرب من هذه المدينة(الميناء)؛ خاصة عندما توغل البطالمة في جنوب سورية[3] .

ح - ميناء جزيرة فيلكا :

أطلق اليونانيون اسم (إيكاروس) على جزيرة فيلكا ، وهو أسم لأحد آلهتهم ويذكر المؤرخ اليوناني (أريان)*؛ أن الاسكندر المقدوني هو الذي أطلق عليها هذا الاسم، واهتم بها بعد أن وصلت إليه معلومات مهمة عنها، وعن أهمية موقعها في

---

[1] - The Periplus: Ses ٣٢,P٣٥.

[2] - جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص٢٧٥ .

[3] - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص٣٠٠ .

* - عاش في القرن الثاني الميلادي وتوفي عام ١٧٥م ، كتب عن الاسكندر المقدوني نقلاً عن كتابات أحد قادة الإسكندر، ومؤرخه؛ وهو (أرستو بولس) ، رضا جواد الهاشمي : آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ص٦٤ .

الخليج العربي ؛إذ كانت- آنذاك- لا تبعد عن مصب نهر الفرات أكثر من (١٢٠) ستاد أي حوال (٢٢ كم)[١] *.

أقدم مظاهر السُكنى في هذه الجزيرة - كما تشير البقايا الأثرية - تعود إلى عصور ما قبل التاريخ في هذه المنطقة ، وبالذات إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد[٢]، ويبدو أنها كانت تتبع دلمون؛إذ عثر بها على بقايا معبد للإله أنزاك (إله دلمون) ، كما وجد بها بقايا فخارية، وأختام تشبه تلك التي وجدت ضمن اللقى الأثرية في حاضرة دلمون ومعبد باربار في البحرين .

بلغت فيلكا قمة ازدهارها في العهد اليوناني، و الهلينستي؛ بسبب اهتمام الاسكندر،وخلفائه السلوقيين بها؛ بعد أن فطنوا لأهميتها العسكرية، والتجارية في شمال الخليج العربي[٣] ؛إذ كانت الجزيرة تمثل محطة تجارية؛ بما فيها من مرفأ آمن؛ ومياه عذبه[٤].

منطقة الخضر اليوم؛ يُعتقد أنها تمثل موقع الميناء القديم في جزيرة فيلكا والذي من خلاله كان يتم الاتصال التجاري، والحضاري مع وادي السند، وبلاد الرافدين[٥] .

وهكذا فقد شكلت هذه الموانئ نقاط الانطلاق في العلاقات التجارية التي نشأت بين شبه الجزيرة العربية، والأقطار الأخرى في العالم القديم .

٢- العلاقات التجارية الدولية لشبه الجزيرة العربية:

أ- العلاقة مع مصر:

ارتبطت شبه الجزيرة العربية بعلاقات تجارية قديمة مع بلاد وادي النيل (مصر) ؛ فكانت سفن المصريين منذ الألف الثالث قبل الميلاد تشق البحر الأحمر

١- رضا جواد الهاشمي : المرجع ذاته ، ص٦٥ - ٦٦.

* يعتقد البعض بأن ساحل الخليج العربي جنوب العراق لم يكن آنذاك في الموقع الذي عليه اليوم ، كما أن نهري دجلة والفرات كانا يصبان منفردان في مياه الخليج . رضا جواد الهاشمي : المرجع ذاته ، ص٣٨ .

٢- سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٤ م ، ص٣٠ .

٣- رضا الهاشمي : آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

٤- صالح عبد العزيز : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبه الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص١٣٠ .

٥- سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ،ص٢٩ .

باتجاه بلاد بونت ـ التي يُعتقد أنها تشمل مناطق جنوب البحر الأحمر (العربية والأفريقية) ـ لجلب السلع المقدسة (اللبان، والمر)؛ وغيرها من السلع النفيسة ؛ فأطلقوا على هذه الأرض تسميات لا تخلو من الدلالة على أهمية هذه المنطقة؛(أرض الآلهة) (الأرض المقدسة) ، وأشهر رحلات المصريين إلى بلاد بونت هي التي قامت بها الملكة حتشبسوت في النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ بصحبة خمس سفن شراعية كبيرة ، وسريّة من الجند ؛إذ سجلت وصف دقيق لهذه الرحلة على جدران معبد الدير البحري في طيبة[1]، وقد عادت إلى مصر وهي محملة ببضائع مختلفة؛ كالذهب، والعاج، وجلود الفهود والنمور، وأشجار البخور بجذورها .

غير أن ما يدل دلالة قاطعة على وجود علاقات تجارية وثيقة بين بلاد العرب ومصر-آنذاك- هو العثورعلى نقوش، وكتابات بالمسند في مواضع مختلفة في مصر وجنوب شبه الجزيرة العربية ، وربما كان أهمها النقش الذي عُثر عليه منحوت على تابوت خشبي لتاجر معيني هو(زيد إيل زيد) عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ؛إذ كان كاهنًا في معبد مصري، ووصوله إلى هذا المركز الديني؛ بسبب نشاطه التجاري الذي أمّن من خلاله للمعابد المصرية الحصول على السلع المقدسة بأسعار رخيصة ومن موطنها الأصلي مباشرة، ودون وسيط ، ويفيد نص النقش بأن التاجرقد أصيب بخسارة تجارية ؛ فهبّت المعابد لتقديم المساعدة له الأمر الذي مكّنه من الخروج من الأزمة ؛ فسدّد دينه، وجلب السلع التي تحتاجها المعابد، وكان ذلك في غضون شهر[2].

وعثر في مصر أيضًا على ثلاثة مخربشات كتبها تجّار يمنيون ، إحدى المخربشات وجدت في موقع على ضفة النيل الشرقي ، والثانية في منطقة(أدفو) والثالثة في وادي الحمامات[3].

أما في جنوب بلاد العرب فقد عُثر- أيضًا- على نقوش، وآثار تؤكد وجود علاقات تجارية مع مصر، وغيرها من المناطق، والبلدان[4]، وهي كالتالي:-

---

[1] - سيد توفيق :معالم تاريخ مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٨٤ م ص٢٣٨ .
[2] - جواد علي : المفصل... ، الجزء الثاني، ص٣٥-٣٧
[3] - أسمهان سعيد الجرو:(طرق التجارة البرية والبحرية...) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص٣٧.
[4] - أسمهان سعيد الجرو: المرجع ذاته ، ص٣٧-٣٨.

- نقش (RES ٢٧٧١) وجد في قلعة (يهر) إلى الشرق من (قرناو) معين، وهذا النقش كُتب في عهد الملك المعيني(إل يفع ريم، وابنه هوف عثت)أي حوالي ٣٦٥ ق.م فذكر ضمن ما ذكر القيام بالتجارة مع مصر، وغزة، وآشر(سورية) .

- نقش(MAFRAY-Ma'in.١٣) وجد على سور معين يعود إلى العام ٣٨٠ ق.م ، وأصحابه يشكرون الإله عثتر والملك المعيني (هوفف يثع)، وذلك للتوفيق الذي صاحب تجارتهم التي أقاموها مع (ددان) العُلا، ومصر، وصيدا .

- نقش(RES٣٠٢٢) يعود للقرن الرابع قبل الميلاد ، عُثر عليه على سور براقش ويذكر تجارة المعينيين مع مصر مباشرة، ويشير هذا النقش إلى معاودة غزو الفرس لمصر ؛إذ شاهدت قوافلهم التجارية الهجوم الذي شنه الفرس على مصر.

هذه النقوش تؤكد العلاقة التجارية التي ربطت مصر ببلاد العرب ؛ إذ أن السفن المصرية التي كانت تصل ميناء (لويكي كومي) النبطي؛ وهي محمّلة بالبضائع ، تعود منه بالمنتجات التي تسوّق في هذا الميناء ـ قد سبق الإشارة إلى الطريق الذي يمتد من هذا الميناء إلى البتراء ، ومن البتراء تتفرع عدة طرق مختلفة داخل الجزيرة، وإلى الشمال منها إلى سورية والعراق ـ بالإضافة إلى الطريق البري القادم من دلتا مصر الشرقي باتجاه سيناء؛ حيث يلتقي بالطريق القادم من جنوب بلاد العرب عبر البتراء، وبالتالي تكون شبه الجزيرة العربي قد ارتبطت مع مصر تجاريًا عن طريق البر، والبحر آنذاك.

ب ـ العلاقة مع شرق أفريقيا:ـ

لقرب سواحل العرب الغربية، والجنوبية من سواحل شرق أفريقيا ؛ كان لابد أن ترتبط المنطقتين بعلاقات مختلفة ـ أهمها العلاقات التجارية ـ فالمتاجرة مع الشاطئ الشرقي كان سهلاً ويسيرًا بالنسبة لتجار العربية الجنوبية ؛ فكانت سفنهم الشراعية تذهب إليها بحاصلات بلاد العرب، وتعود محمّلة بالبضائع الأفريقية الثمينة؛ كالذهب

والأخشاب -الأبنوس بالذات- والعاج ، وريش النعام ، وكذلك العبيد الذين يُستخدمون في الأعمال المنتجة، وفي أداء الخدمات التي يأنف العربي- عادةً- من القيام بها[١] .

وصل العرب الجنوبيون إلى كثير من مناطق شرق أفريقيا، وكوّنوا مستوطنات عربية على امتداد الساحل من (مقديشو) إلى (سفالة) جنوبًا[٢]، فالسبئيون كان لهم تواجد في الهضبة الأرتيرية في الألف الأول قبل الميلاد، حيث كوّنوا مستوطنات سبئية هناك ، ومع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد استقلت تلك المستوطنات عن الدولة السبئية[٣]، ولم يأتِ القرن الأول الميلادي إلاّ وقامت مملكة حبشية - متأثرة بالعرب الجنوبيين - عُروفت باسم (مملكة أكسوم) .

كلّ ذلك يدل على الصلات الوثيقة التي ربطت المنطقتين مما سمح لشبه الجزيرة العربية؛ بأن تكون منطقة عبور؛ تمر عبرها البضائع الأفريقية إلى الأقطار الأخرى في الشمال، وإلى القطر الهندي في الشرق .

ج- العلاقة مع الهند :-

ارتبطت شبه الجزيرة العربية بعلاقات تجارية مع موانئ الهند، ومدنها، وذلك بسبب ما تنتجه مناطق الهند من محاصيل، وسلع تحتاجها المنطقة العربية ، كما تحتاجها الأقطار الأخرى في الشمال والغرب كبلاد الرافدين، وسورية، ومصر، وبلاد ما وراء البحر الأبيض المتوسط . تاجر العرب مع الهند من خلال طريقين بحريين :-

- الموانئ الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، حيث كانت السفن القادمة من سواحل الهند تُفرغ حمولتها هناك؛ خاصة في ميناء (جرها) ، ثمّ تنتقل هذه البضائع؛ إمّا بحرًا إلى العراق ، أوبرًا إلى مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، وكذا إلى سورية ومصر، وبلاد ما وراء البحر الأبيض المتوسط .

١- جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع، ص٢٦٢ . وكذلك برهان الدين دلو:جزيرة العرب..ص١٢٧ .
٢- جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع،ص٢٦١ . وكذلك حسن صالح شهاب : أضواء...ص٥٧ .
٣- أسمهان سعيد الجرو : (طرق التجارة البرية والبحري...)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ص٣٦

- موانئ العربية الجنوبية ، خاصة في ميناني قنا وعدن، حيث تنتقل البضائع منهما إما عن طريق البحر بواسطة السفن الشراعية التي تعبر البحر الأحمر؛ لتصل بها إلى سورية، ومصر؛ ثم إلى بلاد ما وراء البحر الأبيض،أوعن طريق البر بواسطة القوافل التجارية التي تنطلق شمالاً إلى تلك المناطق[١].

بالتالي كانت شبه الجزيرة العربية هي حلقة الاتصال التجاري بين الهند والأقطار الأخرى الواقعة إلى الشمال منها آنذاك ؛ فكان من الضروري أن تتطور هذه العلاقة خاصة مع وصول السفن الشراعية للعرب إلى الشواطئ الغربية للهند ؛إذ احتفظوا لأنفسهم بأسرار معرفة اتجاهات الرياح الموسمية التي تساعدهم في على الإبحار إلى هذه المناطق [٢] ، وبالذات في الزمن الذي سبق الميلاد[٣] .

وأهم سلع الهند التي تصل بلاد العرب هي: (التوابل)؛ مثل الفلفل،والقرفة والزعفران ، كما استوردوا منها المسك، والعود[٤]، والحديد الجيد التي تصنع منه السيوف المنسوبة للهند (السيوف الهندوانية)، والخشب الصلد[٥]، بالإضافة إلى العاج والأحجار الكريمة،والحرير[٦] .

د- العلاقة مع العراق :-

لم تكن هناك صعوبة، أوعائق يمنع شبه الجزيرة العربية من إقامة علاقات تجارية مع سكان بلاد العراق، وحكوماته في الألف الأول قبل الميلاد، وذلك يعود إلى تداخل المنطقتين جغرافيًا؛ مع عدم وجود حدود تمنع انتقال التجّار بقوافلهم ، خاصة في ظل توفر طرق برية، وبحرية تربط الجانبين ، وتعود العلاقة بينهما إلى زمن أبعد -الألف الثالث قبل الميلاد- بسبب حاجة بلاد العراق لمواد تنتجها بلاد العرب، أو تأتي عبرها، خاصة المنطقة الشرقية[٧]؛ حيث كانت (دلمون)، و(عمان) بالنسبة لبلاد العراق مصدرًا مهمًا لمعدن النحاس، والأخشاب، وبعض أنواع الأحجار، بالإضافة إلى

---

[١] - برهان الدين دلو: جزيرة العرب...، الجزء الأول، ص١٢٦ .
[٢] - اسمهان سعيد الجرو:(طرق التجارة البرية والبحري...)مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص٣٦ .
[٣] - برهان الدين دلو: جزيرة العرب...، الجزء الأول ، ١٢٩ء.
[٤] - حسن صالح شهاب: أضواء...، ص١٦٩-١٧٠ .
[٥] - جواد علي:المفصل...،الجزء السابع ص٢٨٤ .
[٦] - جورجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص٢١٢ . كذلك نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي ...، ص٢٦٤- ٢٦٥ .
[٧] - عارف أحمد إسماعيل: العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية...ص٢٦ .

التمر[1]، ولقرب العراق من مناطق العربية الشرقية انتقلت التجارات بين الجانبين برًا وبحرًا - على نحو ما ذكر سابقا - حيث تصل إلى هناك كل منتجات بلاد العرب بالإضافة إلى منتجات الهند وشرق أفريقيا .

خلال الألف الأول قبل الميلاد تميزت العلاقة بين بلاد العراق، والمناطق الشرقية لبلاد العرب؛ وبالذات في العهد الآشوري الحديث(٩١١ -٦١٢) ق.م بمحاولات الملوك الآشوريين السيطرة على هذه المناطق ، إمّا سيطرة مباشرة عن طريق الغزو، والإخضاع، أو سيطرة غير مباشرة من خلال فرض الجزية عليها،وما يدل على أهمية هذه المناطق للآشوريين- باعتبارها بوابة مهمة للإطلال على موانئ الهند، وجنوب بلاد العرب ، وكونها مصدرًا لمواد يحتاجونها في عملية البناء الحضاري - هو إضافة أسماء مناطقها إلى ألقاب ملوكهم ؛ كسنحريب(٧٠٥-٦٨١) ق.م الذي أضاف إلى لقبه الملكي لقب(ملك دلمون) ، وأيضًا أسرحدون (٦٨١ -٦٢٦) ق.م الذي تلقب بلقبي (ملك دلمون)، و(ملك مجان) ، ورغم أن هذه الألقاب في بعض الأحيان تكون ألقابًا فخرية لا أكثر ؛ إلا أنها تدل على النفوذ غير المباشر للآشوريين هناك[2] ، ومن خلال الآثار التي تعود للملك الآشوري سنحاريب؛ عُثر على نص تجاري يعود إلى عهده؛ ويدل على وجود صلات تجارية بين العراق، ومجان باعتبارها تمول العراق بالخشب ؛إذ يُظن بان الجبل الأخضر في عُمان موردًا مهمًا للأخشاب[3] .

ثانيًا : سورية:

على الرغم من أن موقع سورية الوسط - الذي يربط قارات العالم الثلاث- كان سببًا رئيسيًا لمعاناة سكانها من ويلات الصراعات الدولية التي وجدت في أرضها ساحة مناسبة لنزالاتها الحربية ، ومعبرًا وحيدًا لجيوش أطراف هذا الصراع؛ من أجل الوصول إلى أراضي الأطراف الأخرى، إلى درجة أصبحت فيها المدن السورية

---

[1] - عارف أحمد إسماعيل :المرجع ذاته ص٨٤، ٨٦ :
[2] - سليمان سعدون البدر: الخليج العربي خلال الألفين ...، ص١٠٢ .
[3] - عارف أحمد إسماعيل : العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص[illegible]

عُرضة للغزو، والنهب، والدمار، وكذلك السيطرة من قبل كُبرى دول الشرق الأدنى في الألف الأول قبل الميلاد ، إلا أن هذا الموقع نفسه هو الذي هيأ لهذه البلاد ما جعلها تنفرد بعلاقات تجارية مميزة مع العالم الخارجي - مع الإقرار بأن الموقع ليس هو العامل الحاسم في ذلك ، مالم يؤخذ بعين الاعتبار منتجات هذه البلاد؛ المطلوبة خارجيًا بالإضافة إلى نشاط الإنسان، وسعيه المتواصل نحو المعرفة، واكتشاف المجهول في محاولة لجلب ما ينقصه من مستلزمات الحياة.

ولدراسة هذا النمط من العلاقات الذي نشأ بين سورية، وما أحاط بها من مدنيات، ومراكز حضارية ، لابد من الوقوف أمام تلك البوابات، والمحطات التي مرت من خلالها مختلف أشكال العلاقات التجارية، وموادها ؛ بما في ذلك الموانئ والمدن التجارية التي نشطت تجاريًا آنذاك .

١ - أهم الموانئ السورية في الألف الأول قبل الميلاد :- (يُنظر خريطة ٣)

أدّت مدن الساحل السوري التي ازدهرت في الألف الأول قبل الميلاد دورًا نشطًا في نمو العلاقات التجارية مع المناطق التي تطل على البحر الأبيض المتوسط كما شكلت جسورًا لتواصل هذه المناطق مع سكان سورية في الداخل، وما جاورها من شعوب؛ كالعراقيين، وسكان شبه الجزيرة العربية. ويمكن التعرف على أهم هذه المدن على النحو التالي :-

أ- أرواد :-

مملكة فينيقية مكونة من قسمين : قسم على الساحل- حيث مدينة **(طرطوس)** السورية اليوم - والقسم الآخر هو جزيرة صخرية **تقع في الجهة المقابلة؛ داخل البحر. ففي** البر كان الأرواديون يتاجرون، ويزرعون ، بينما **كانت جزيرتهم عبارة عن سجن وكذلك ملجأ لهم؛ إذا ما قدم الغزاة إليها من جهة البر عبر أراضي سورية الداخلية ؛إذ يلجأون لها، ويتحصنون بها مع سفنهم؛ في ظل عدم حصول الغزاة على مثل هذه السفن*** .

*- زار الباحث جزيرة أرواد التي تبعد مسافة عشر دقائق عن مدينة طرطوس بالزورق الذي يعتمد على الديزل وهي وسيلة النقل الوحيدة بينهما حاليًا ، وقد وجدها جزيرة صخرية يمكن التحصن بها من الأعداء خاصة الذين لا يملكون وسائل نقل بحرية في ظل ظروف ذلك الزمان -

كانت الجزيرة تعتمد على نبع ماء موجود تحت البحر، بالإضافة إلى ما تختزنه صهاريجها الموجودة على سطوح المنازل من مياه الأمطار[1] .اشتهر الأرواديون بمهاراتهم في فن الملاحة ، واشتغالهم بالتجارة حيث امتلكوا أسطولا بحريًا استفادوا منه في أغراض التجارة البحرية ، كما استخدموه أيضًا في الأغراض العسكرية[2]، وفي العصر السلوقي أصبحت أرواد من المدن التي أقيم فيها دار لسك النقود[3] .

ب - جُبيل:-

- ميناء ومركز حضاري برز منذ وقت مبكر، كان له دور واضح في تاريخ سورية خلال الألف الأول قبل الميلاد ، حكم مدينة جبيل مع بداية هذا الألف الملك(أحيرام)، ثم خلفه ابنه (إثوبعل) الذي صنع لوالده تابوتًا كتب فيه أطول نقش فينيقي عُثرعليه حتى الآن . خلال القرن العاشر قبل الميلاد حكم هذه المدينة حوالي ستة ملوك[4] ، واحتلها الفرس عام ٥٣٧ ق.م ، وسقطت بيد قوات الاسكندر المقدوني عام ٣٣٣ ق.م.

وُيذكر أن جبيل- كميناء تجاري- كانت له شهرته لدى المدن اليونانية، وازدادت أهميته لديهم منذ القرن السادس قبل الميلاد؛إذ أطلقوا على هذه المدينة اسم (بيبلوس) (Byblos)[5] ، فأصبحت المركز الرئيسي لتجارة أوراق البردي المصرية التي تصدّر إلى بلاد الإغريق؛ إلى حد جعلهم يطلقون اسم المدينة (Biblion) على مادة الكتابة بمعنى لغة كتاب، أوبمعنى كتاب، فاشتقت- بعد ذلك- اللغات الأوربية الحديثة منه بعض التسميات فيما يتعلق بالكتابة مثل : (ورقة) (مكتبة) (التوراة)[6].

---

[1] - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص٩٠-٩١ .

[2] - جباغ قابلو : تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي ، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٩٨-١٩٩٩م ص٢٣٧

[3] - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص٢٧٩ ، ٢٩٤ .

[4] - أحمد ارحيم هبو: تاريخ الشرق القديم ، الجزء الأول ، سورية، ص٢٥٣ .

[5] - أحمد ارحيم هبو: المرجع ذاته ، ص٢٦٢ .

[6] - عيد مرعي : التاريخ القديم، ص١٤٨ .

ج - صُور:-

معنى كلمة (صور) الفينيقية هو الصخرة [١] ، لم يأتِ القرن العاشر قبل الميلاد إلا وهي تشكل أهم مدن الساحل السوري المطلة على شرق البحر المتوسط[٢]، غير أن تاريخ نشأتها يعود إلى فترة أبعد من هذا العهد، وعلى مر العصور كان ازدهار مدينة صور يقوم على أساس اشتغالها بالتجارة[٣] . تتألف مدينة صور من قسمين - كأرواد - : قسم في جزيرة تبعد عن الشاطئ عدة كيلومترات ، وقسم آخر على الساحل ، وأثناء حصار الإسكندر المقدوني للمدينة قام ببناء جسر يصل بين القسمين ، الأمر الذي سهّل عليه احتلالها [٤] .

تذكر المصادر العبرية علاقة ملوك مدينة صور بالعبرانيين ، وهي علاقة قامت على ما يبدو على أساس تجاري، ومصالح مشتركة[٥] ، خاصة في عهد ملك صور (أحيرام)(٩٨٠ - ٩٣٠ ق.م)- الذي وصلت المدينة في عهده إلى قمة مجدها- فأصبحت من أقوى مدن، وموانئ ذلك الشريط الساحلي .

وقفت مدينة صور في وجه الغزاة على مر تاريخها القديم ، فلا تستطيع القوات الغازية دخولها إلا بصعوبة ، وبعد حصار طويل- كما حصل مع الآشوريين والكلدانيين، وكذلك قوات الاسكندر المقدوني[٦]- السبب في ذلك يعود إلى أنها بُنيت في موقع يسهل الدفاع عنه، وقسم منها على جزيرة صخرية ، وقد ساعدها ذلك في صد الهجمات التي كانت تتعرض لها[٧].

---

[١] - احمد ارحيم هبّو: تاريخ الشرق القديم، الجزء الأول ، سورية، ص٢٥٥ .
[٢] - جباغ قابلو : تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي،ص٢٣٨ .
[٣] - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص٩١ .
[٤] - جباغ قابلو : تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي،ص٢٣٨ .
[٥] - التوراة : سفر صموئيل الثاني ، الأصحاح ٥، الآية١١ . سفر الملوك الأول،الأصحاح ٥، الآيتين١١و١٢ والأصحاح ٩، الآية٢٧ والأصحاح ١٠ و الآية١١ . سفر الأيام الثاني، الأصحاح ٩،الآية١٠ .
[٦] - احمد ارحيم هبّو: تاريخ الشرق القديم، الجزء الأول ، سورية، ص٢٥٥ .
[٧] - عيد مرعي : التاريخ القديم، ص١٤٩ .

د- طرابلس :-

باليونانية (تريبولس)(Tri Polis) - أي المدينة الثلاثية- مدينة المدن الثلاث (أرواد، صيدا،صور)؛ حيث تألفت هذه المدينة من ثلاثة أحياء تُنسب لهذه المدن الثلاث ، ويبعد كل حي عن الآخر مسافة(١٩٢م)[١].

نشأت طرابلس في العهد الفارسي، وتزعّمت اتحاد المدن الفينيقية آنذاك لتصبح عاصمة للساحل الفينيقي؛ حيث يعقد بها الاجتماع السنوي لشيوخ المدن المذكورة سلفا ، والذي يبلغ عددهم نحو ثلاثمائة مندوب[٢]، ويبدو أن غرض المدن الفينيقية من إنشاء هذا الاتحاد؛ كان حماية مصالحهم التجارية، والتعاون في سبيل التحكم بمقاليد التجارة البحرية[٣].

هـ- غزّة :-

إحدى المدن الفلسطينية الخمس خلال هذا العهد، تحتل موقع ممتاز على طُرق التجارة الدولية ، حيث تستقبل قوافل بلاد العرب، والقوافل القادمة من مصر وسورية الداخلية[٤]، كما أنها كانت تُعد مستودع مهم على البحر الأبيض المتوسط لمنتجات شبه الجزيرة العربية، وما جاورها من بلاد. ولأهمية هذه المدينة أصبحت تتزعم غيرها من المدن الفلسطينية، وظلت مملكة قائمة بذاتها حتى سقطت- كغيرها من مدن سورية- تحت الحكم الفارسي ، ومع قدوم الإسكندر المقدوني قاومت هذه المدينة قواته ، إلا أنها خضعت له بعد حصار دام شهرين ؛إذ جُرح الإسكندر في معاركة ضد هذه المدينة؛ وذلك عام ٣٣٢ ق.م[٥]. ويذكر (هيرودوت)- الذي عاش في القرن الخامس ق.م- بأن غزة خلال هذا القرن كان يحكمها العرب[٦].

يُضاف إلى هذه الموانئ مجموعة أخرى نشأت، وازدهرت في العهد السلوقي وكان لها دور مهم في نمو العلاقات التجارية لسورية في هذا العهد؛أهمها : (سلوقية)

١- احمد لرحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، الجزء الاول ، سورية، ص٢٧١ .

٢- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الاول، ص٢٤٧ .

٣- احمد لرحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، الجزء الاول ، سورية، ص٢٧١ .

٤- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام ، الجزء الثاني ، ص٢٤٩ .

٥- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الاول، ص٢٥٥ .

٦- جواد علي: المفصل...، الجزء الاول ص٦٢٣ .

الساحلية التي كانت الميناء التجاري لمدينة (أنطاكيا) حاضرة السلوقيين - أسسها الملك (سلوقس الأول) عام ٣٠٧ ق.م[1] - وأيضًا مدينة (اللاذقية) التي أطلق عليها السلوقيون (لادوسيا) وغيرها من المدن .

وبهذا يمكن الحديث عن طبيعة العلاقات التجارية التي قامت بين سورية وغيرها من المناطق، والدول خلال الألف الأول قبل الميلاد .

٢ - العلاقات التجارية الدّولية السورية:

أ- العلاقة مع مصر :-

ارتبطت سورية بعلاقات تجارية مهمة مع مصر الفرعونية منذُ القِدم ؛إذ استغل التُجّار الطُرق التجارية البحرية، والبرية التي تربط المنطقتين في عملية التبادل التجاري التي نشأت بينهما ، وعلى الرغم من أن الزمن الذي تلا حكم الهكسوس لمصر وطردَهم منها، ومن سورية؛ قد شهد تغيُّر كبير في العلاقات بين المنطقتين ؛ وذلك بسبب نجاح المصريين في زمن الأسرة الثامنة عشر في السيطرة على سورية ووصولهم حتى الضفة الشرقية لنهر الفرات؛ أثناء حكم الفرعون تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦) ق.م ؛ إلا أن مصر ظلّت على علاقة تجارية مميزة مع أغلب مدن الساحل السوري؛ بما فيها المدن الفينيقية؛ جبيل، وصور- خاصةً-[2].

تاجر الفينيقيون مع البلاد المصرية في كثير من المنتجات ، أهمها الخشب الذي احتاج له المصريون؛ لقلة وجود الأخشاب الصالحة للبناء في مصر ، بالإضافة للأسلحة الثمينة، والثياب المزركشة ، والأواني، والأثاث، والمركبات ، وبالمقابل أرسلَ المصريون لسورية الكتّان، والذهب ، ويبدو أن معظم العلاقات التجارية بين مصر وسورية؛ كانت بيد التجار الفينيقيين[3].

---

[1] - سعد صائب : دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٩٤ ص٩٠ .

[2] - جباغ قابلو : تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي ص٢٤١ .

[3] - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ص٢٤٧-٢٤٨ .

تتجسد العلاقات التجارية بين مصر وسورية- آنذاك- وبالذات الساحل الفينيقي من خلال الإنجاز الملاحي غير المسبوق الذي قام به البحّارة الفينيقيون؛ بتكليف من الفرعون المصري نخاو الثاني (٦١٠ - ٥٩٥) ق.م، وذلك بالدوران حول أفريقيا[١]؛ إذ بدأت الرحلة من بحر القلزُم (البحر الأحمر) حتى جنوب أفريقيا، ثم الصعود شمالاً والعودة عبر طريق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وصولاً إلى مصر، وكان الهدف من هذه الرحلة هو اكتشاف القارة الأفريقية، واتخاذ المستوطنات فيها؛ بما يتيح لهم المجال لفتح أسواق جديدة ، والحصول على موارد إضافية من هذه المناطق .

وهكذا فالعلاقات التجارية بين مصر، ومنطقة الساحل السوري قديمة، غير أن الظروف هي التي كانت تتحكم في طبيعة؛ وتطور هذه العلاقة- ظروف السلم والحرب بين المنطقتين- ومع ذلك يمكن التأكيد بأنها كانت موجودة، ومستمرة طيلة التاريخ القديم تقريبًا[٢].

ب- العلاقة مع مناطق شمال البحر الأبيض المتوسط :- (يُنظر خريطة ٥)

كان للمدن الفينيقية الدور الرئيسي في إقامة، وتطور العلاقات التجارية بين سورية ، ومناطق شمال البحر الأبيض المتوسط ، وبالذات المدن اليونانية التي ارتبطت بصلات خاصة مع الفينيقيين في الألف الأول قبل الميلاد[٣]؛ وذلك بفضل موقع المدن الفينيقية المطل على البحر، وبفضل ما تمدهم به الطبيعة من أخشاب صالحة لبناء السفن التي أبدعوا في صنعها ، بالإضافة إلى مهارتهم في فن الملاحة ، خاصة بعد اكتشافهم لأهمية النجم القطبي في الملاحة الليلية التي تعتمد على النجوم ، وبالتالي أصبحوا يبحرون في الليل والنهار ؛ فساعدهم ذلك على إتباع طرق بحرية مرسومة اكتشفوها ، واحتكروها؛ وأصبحت تربطهم بكافة مناطق البحر المتوسط، خاصة بعد إقامتهم للمستوطنات الفينيقية في شمال وجنوب هذا البحر ، والتي غدت محطات تجارية مهمة للفينيقيين مكنتهم من احتكار التجارة مع هذه المناطق.

فبعد قبرص- القريبة لهم - وصلت السفن الفينيقية إلى (ليكيا) في آسيا

---

[١] - عيد مرعي : التاريخ القديم ، ص٢١٧.

[٢] - محمد حرب فرزات : موجز في تاريخ سوريا القديم ، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة التاسعة ، دمشق ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م ص١٦٣

[٣] - محمد حرب فرزات : المرجع ذاته، ص١٦٤ .

الصغرى وإلى جزر (رودس)، و(كريت)، و(كورسيرا) جنوب شرق ايطاليا ، و(صقلية) و(مالطة)، و(كورسيكا)، و(سردينيا) ، وسواحل أسبانيا ؛إذ كونوا لهم هناك مستوطنات تجارية جعلت من هذا البحر؛ بحرًا فينيقيًا خلال الألف الأول قبل الميلاد باستثناء القرون الثلاثة الأخيرة منه ، بل امتدّ تعامل الفينيقيين التجاري إلى أبعد من ذلك في غرب القارة الأوربية ؛إذ احتكروا- طويلاً- معرفة الطريق البحري الذي يصل مستوطنتهم (قادس)* في أسبانيا على ساحل الأطلسي؛ بجزر القصدير -التي جلبوا منها القصدير- جنوب غرب بريطانيا ، فقد كان الفينيقيون يبادلون سكانها بالخزف، والملح والأواني النحاسية مقابل الحصول على القصدير، والرصاص[1].

كان دافع الفينيقيين الأساسي من تكوين المحطات،والمستوطنات في البحر الأبيض المتوسط تجاريًا بحتًا ،وذلك بهدف حماية طرق التجارة البحرية، وتأمين الأعمال التجارية للمدن الفينيقية مع هذه المناطق، والبلدان[2]، وفتح أسواق جديدة والحصول على المواد الخام، والمواد الأولية ؛التي لا تتوفر في مناطقهم ، وتحتاجها صناعاتهم التي برعوا فيها .

تاجر الفينيقيون مع هذه المناطق بأهم المنتجات الطبيعية، والصناعية لسورية وهي الأخشاب ، والقمح ، والزيت، والخمر ، والأنسجة المصبوغة باللون الأرجواني بالإضافة إلى المصنوعات الزجاجية، والمعدنية، إلى جانب ذلك نقلوا- بل واحتكروا- المنتجات التي تأتي إلى المدن الفينيقية من شبه الجزيرة العربية؛ كالتوابل، والبخور والمواد العطرية الأخرى ، إلى مناطق شمال البحر البيض المتوسط ؛إذ كانت تنقلها إلى هناك السفن الفينيقية قبل أن يحاول اليونانيون، والرومانيون الوصول إلى مناطق إنتاجها في بلاد العرب، والهند، وشرق أفريقي[3]، هذا إلى جانب تجارة الرقيق التي انتشرت كثيرًا في الفترة السلوقية ؛إذ شهد القرنين الثالث،والثاني قبل الميلاد تدفق واسع للرقيق نحو المدن اليونانية نتيجة لما وفرته الحروب، والقرصنة من بضائع

---

* ـ أطلق الفينيقيون عليها اسم (جادير Gadir) بمعنى (الحصن ، القلعة) بينما سماها الرومان (جاد س)

[1] ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص ١١١ـ ١١٢.

[2] ـ عيد مرعي: التاريخ القديم ، ص ١٥٠ .

[3] ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص ١١٥.

بشرية زاد الطلب عليها هناك بشكل كبير[١] .

- وبالمقابل تمكن الفينيقيون من الحصول على أهم منتجات هذه المناطق ؛إذ جلبوا إلى الساحل الفينيقي- ومنه إلى مناطق سورية الأخرى- النحاس من قبرص والفضة من أسبانيا ، والرصاص والقصدير من جزر القصدير الإنجليزية ، بالإضافة إلى الذهب الذي تحصلوا عليه من المغرب على الساحل الشمالي لأفريقيا الذي أنشأوا عليه أهم مستوطناتهم وهي :(قرطاجة) و(أوتيكا) في تونس[٢] .

وهكذا قام التجار الفينيقيون آنذاك بدور الوسيط التجاري بين مناطق الشرق والغرب؛ بما نقلوه، وتاجروا به ، وبالتالي ساهموا من خلاله مساهمة فاعلة في نقل التأثيرات الحضارية - التي عادة ما تصاحب العلاقات التجارية - بين مناطق وحضارات العالم القديم .

ج- العلاقة مع العراق :-

رغم رفض البعض من المؤرخين، ودارسي التاريخ أن تكون هناك حدود واضحة بين سورية ، وبلاد الرافدين في التاريخ القديم[٣]، إلا أنه من الواضح أن الدول التي حكمت العراق خلال الألف الأول قبل الميلاد؛ دأبت-بإصرار- على محاولة فرض السيطرة على مناطق الآراميين، والفينيقيين، والعبرانيين في المناطق السورية ، ومع الإقرار بأهمية الدوافع السياسية لهذه المحاولات إلا أن الدوافع الاقتصادية لها أهميتها أيضًا في هذا الجانب ؛ فبلاد العراق كانت بحاجة لبعض منتجات سورية الزراعية والطبيعية ، التي يتحكم بها التجار الآراميين، والفينيقيين ، كما تطلع العراقيون لموانئ سورية على البحر الأبيض المتوسط، والتي تسيطر عليها الممالك الفينيقية، بالإضافة إلى تطلعهم للسيطرة على طرق المواصلات، والتجارة العالمية التي تقطع جزء كبير من سورية[٤].

---

١ - فيليب حتي : المرجع ذاته ، ٣٠١ .

٢ - عيد مرعي: التاريخ القديم ، ص١٥٠

٣ - محمد محفل(آذار حزيران ١٩٩٤) :(متى كان لسورية والعراق حدود مميزة خاصة ؟!) ، مجلة دراسات تاريخية ، ص١٢٥ .

٤ - فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص١٥٠.

ما يؤكد الدوافع الاقتصادية في محاولات العراقيين السيطرة على أرض سورية والقضاء على بعض ممالكها، هو ما كانوا يستولون عليه من ذهب ، وفضة، وخشب وعاج، وقصدير ، وغنم ، وخمر، وأوان ، وحمير ، وخيول ، وزيوت ، وغيرها من المواد التي ينقلونها إلى بلادهم[1].

أدّى التجّار الآراميون دورهم في التجارة بين المنطقتين - سورية والعراق- بعد أن احتكروا التجارة البرية في سورية آنذاك؛إذ كانت قوافلهم التجارية تصل إلى منابع نهر دجلة في الشمال ، بالإضافة إلى ما عُثر عليه من بقايا موازين برونزية تركها تجار آراميين في مدينة نينوى ، والتي وفرت الدلائل على مدى دورهم التجاري في هذه المناطق كما أنها دلّت على عمق، ومستوى التبادل التجاري بين المنطقتين[2].

١ـ محمد حرب فرزات : موجز في تاريخ سوريا القديم، ص١٦١ـ ١٦٢.
٢ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص١٨١.

لمسار طرق القوافل، والمواصلات دورًا مهمًا في نشوء، وظهور المراكز التجارية، والأسواق في كلّ من شبه الجزيرة العربية، وسورية؛بل وازدهارها في معظم أوقات الألف الأول ق.م، كماله دورًا أساسيًا في تطور بعض هذه المراكز إلى مدن عامرة؛ كان للتجارة، وأسواقها فضل كبير في نشوها، وعمرانها[1]؛بالإضافة إلى أن الموانئ الطبيعية الصالحة لرسو السفن ذات المواقع الممتازة،والتي تطل، وتشرف على سواحل ممتدة؛ ربطت هتين المنطقتين بمواطن الحضارات، والمدنيات الأخرى المحيطة بهما ، هي أيضًا أصبحت تشكل مراكز تجارية مهمة باعتبارها بداية، ونهاية لطرق التجارة الداخلية والدّولية.

المراكز التجارية هي تلك المدن التي تستقبل المواد التّجارية ، بما تحتويها من سلع، وبضائع مختلفة؛ ليتم تسويقها، وإعادة بيعها،وبالتالي فهي مدن ترتبط بهاحركة التّجارة الداخلية والخارجية ،حيث تصلها تلك البضائع، والسّلع من مناطق مختلفة ويؤمّها التجار المحليين والأجانب ،وتكون في العادة موضع مناسب لتسويق مختلف أنواع التجارات ،لهذا قد يحتوي المركز التجاري عدة أسواق تنسب إلى أنواع السلع المعروفة فيها؛ على نحو سوق الماشية، سوق الفخار ،سوق العطارة وغيرها.

لكي تصبح هذه المدينة، أو تلك مركزًا تجاريًا نشطًا، ومزدهرًا لابد أن يتوفر لها جملة من المميزات، والشروط حتى تتمكن من استقبال، واستيعاب القوافل التّجارية بأحجامها المختلفة ،وبضائعها المتنوعة، وأهم هذه المميزات هو: موقع المدينة المناسب على إحدى الطرق الرئيسية ؛وكلما كانت المدينة تربط عدّة طرق رئيسية، ويخرج منها طرق فرعية؛ كلما زاد ازدهارها، وانتعاشها؛ كمركز تجاري، كما يحبّذ أن يكون الموقع على مساحة منبسطة؛ تكفي لاستقبال القوافل التجارية بكل أحجامها ،وأن يتوفر في المدينة مصادر لمياه عذبة صالحه للشرب؛ وبكميات تكفي

---

[1]– محمد أحمد زيود :التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي والإسلامي،منشورات جامعة دمشق،دمشق 1993م–1994م،ص185 .كذلك صلاح الدين علي الشامي:الواقع الاقتصادي العربي قبل الإسلام،منشأة المعارف ، الإسكندرية 1983م، ص65.

لحاجة الناس ،وما لديهم من ماشية، ووسائل نقل ، وكلما تمكنت المدينة من إنتاج وتصنيع عدد من السلع بما يتوفر لديها من مواد خام،وما يأتي إليها عبر التجارة من مناطق أخرى كلما تعاظم مركزها، ومكانتها التجارية،وازدادت نشاطا، وحركة في هذا المجال[1]،بالإضافة إلى ذلك لابد أن يتوفر في المدينة الأمن، والحماية[2]؛ اللازمان حتى يطمئن التاجر على نفسه، وماله، وبضائعه ،وهذا الشرط لا يتحقق إلا في ظل وضع سياسي مستقر، وبالتالي المدينة التي تُعد مركز تجاري؛ هي التي تظهر في إطار كيان سياسي ثابت ،أو التي تتطور في ظل الشروط السالفة الذكر؛ لتصبح هي نفسها كيان سياسي مستقر قادر على حماية نفسه؛ أكان بشكل مباشر ،أو غير مباشر عن طريق دفع الجزية ،و إرضاء الممالك الكبرى بإرسال الهدايا لملوكها - كما كان يحدث في المدن الفينيقية ،ومراكز التجارة في شرق بلاد العرب- .

وهكذا فالمراكز التجارية توزّعت في مناطق مختلفة بداية من الموانئ المهمة في بلاد العرب، وسورية،وامتدادًا من المناطق الداخلية؛ متمثلة بعواصم الممالك ومناطق تقاطع الطرق التجارية الرئيسة فيها، التي توفرت لها هذه الشروط والمميزات لتصبح مدن تجارية و-أسواق مهمة أدّت أدوار متميزة في تاريخ التجارة لهاتين المنطقتين في معظم أوقات الألف الأول ق.م .

للتعريف بالمراكز التجارية التي ازدهرت في ذاك الزمان ،وتحمّلت عبئ التجارة في هتين المنطقتين؛ لابد أولاً من الإشارة إلى أنه قد سبق الحديث- في الفصل السابق- عن أهم الموانئ التي نشطت في شبة الجزيرة العربية، وسورية، وكان لها الفضل في إقامة علاقات تجارية واسعة مع الحضارات المجاورة لهما ،وسيتم الاكتفاء بذكرها على اعتبار أنها مراكز تجارية نشيطة في الألف الأول ق.م وهي : أرواد ،جُبيل ،صور ،طرابلس، غزة في سورية،وأيلة، ولويكي كومي ،وموزع،وعدن و قنا،وسمهرم ،وجرهاء،وجزيرة فيلكا في شبه الجزيرة العربية.ومن خلال هذا الاستعراض يتضح أن هذه الموانئ توزعت على سواحل شبه الجزيرة العربية(الشرقي

1- نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي ....ص221.

2- صلاح الدين الشامي :الواقع الاقتصادي العربي ....، ص66.

والجنوبي والغربي)،وهي السواحل التي ارتبطت ارتباط مباشربالمحيط الهندي،بينما الموانئ السورية تطل على الساحل الشرقي لحوض البحر الأبيض المتوسط،لهذا شكلت هذه الموانئ- مجتمعة-حلقات وصل بين عالم البحر المتوسط،والمحيط الهندي وفيما يلي عرض لأهم المراكز التجارية على طول خطوط القوافل البرية(يُنظرخريطة 3)؛التي تعامل معها التُجّار؛وربطت شبه الجزيرة العربية وسورية تجاريًا في الألف الأول ق.م:

1- جزيرة سقطرى:

هي جزيرة مأهولة بالسكان منذُ القدم ،تُعد أحد المراكز التجارية البحرية القديمة تقع في نهاية خليج عدن؛إلى الغرب من المحيط الهندي،وتشرف على القرن الأفريقي حيث تبعد (250كم) من راس التوابل (رأس جاردَ فوي) في شرق أفريقيا ،(380 كم)من رأس فرتك- أقرب نقطة في الساحل العربي- وتبلغ مساحتها (3650كم مربع)[1]، ساعد موقعها الاستراتيجي هذا في إكسابها أهميةً كبيرة ،فهي تقع وسط المسالك،والطرق البحرية ،الأمر الذي يجعل السفن المسافرة-بين الهند،والساحلين العربي،والأفريقي-تمر بها، وتتوقف عندها للراحة، والتزوّد، والمتاجرة .

بعض المصادر الكلاسيكية ذكرت جزيرة سقطرى ؛إذ أطلق عليها (أجاثا خيدس) اسم جزيرة السعادة [2] ، و ذكرها صاحب كتاب الطواف باسم (ديوزكوريدا) Dioscorida، ووصفها بأنها كبيرة جدًا؛ لكنها صحراوية ،وبها مستنقعات، وأنهار تعيش فيها التماسيح ،ورأى أن سكانها قليلون ، ويعيشون بالساحل الشمالي المواجه لبلاد العرب ،وهم خليط من العرب، واليونانيين، والهنود الذين هاجروا إليها بغرض التجارة هناك ، كما أشار إلى أن أهم منتجات الجزيرة هي: أغلفة السلاحف ،ودم الأخوين الذي يُجمع بعد انحداره من الشجر[3]،غير أن جزيرة سقطرى تنتج محاصيل أخرى مثل اللبان ،والصبر الذي اشتهر باسمها (الصبر السقطري).

1- مشروع البحوث الميدانية :جزيرة سقطرى ،تقرير البعثة العلمية-لقسمي الجغرافيا والأحياء في كلية التربية جامعة عدن،1986م، ص9.

2- أسمهان سعيد الجرو:(الحياة التجارية في اليمن القديم) ،دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،2003م ،ص75.

3- The Periplus: Sec30 p33-34

مما تقدّم يتضح أن جزيرة سقطرى؛ محطة تجارية بحرية مهمة ،يصل إليها التُجار من بلدان وأصقاع مختلفة ؛بل ويضطر البعض لاستيطانها للحفاظ على مصالحهم التجارية في الجزيرة، وفي المناطق المحيطة بها .

2- شبوة :

ساباتا (Sabata) وسبوتا(Sabota) عند الكلاسيكيين ، وفي النقوش ظهرت باسم (ش ب و ت) ،تقع على تل ملحي (ملح شبوة الصخري) ارتفاعه (50م)[1]،إلى الغرب من وادي عرمة (المعشار) أقصى غرب وادي حضرموت ،ورغم موقع المدينة إلى الشرق من مفازة صيهد بعيدًا عن مواطن الاستيطان، وفي منطقة صحراوية ، إلا أنها أصبحت مركزًا تجارًا مهمًا، وعاصمة لمملكة كبيرة هي (مملكة حضرموت) ؛وذلك بفضل سيطرتها على المياه في ظل وجود نظام دقيق للري تتحكم به شبكة من المنشآت؛ تعمل على تجميع، وحفظ مياه السيول، وتوزيعها على المساحات المُراد زراعتها[2]، بالإضافة إلى الموقع المتميز لمدينة شبوة على الطريق بين ميناء (قنا)، والمراكز التجارية الأخرى في المنطقة الأمر الذي ساعد على ازدهار مملكة حضرموت تجاريًا ، وربطها بالممالك اليمنية عبر طرق القوافل البرية[3].

أظهرت نتائج أعمال البعثة الفرنسية- اليمنية الآثارية التي أنهت أعمالها التنقيبية في ديسمبر عام 1989م بان أطلال مدينة شبوة، وآثارها؛ تحتوي على(112) قاعدة مبنى؛ تشكل قواعد لمباني مختلفة موزعة بين القصر الملكي،ومساكن الفئات العليا للمجتمع ومعابدالإضافة إلى مساكن الفئات الدنيا، ورش الحرفيين وغيرها،وبمقارنة عدد قواعد المباني في مدينة شبوة مع غيرها من المدن القديمة في جنوب الجزيرة

1- جان فرانسوا بريتون:(شبوة الموقع والمدينة) في كتاب عزة علي عقيل ، جان فرانسوا بريتون:شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية)،المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء) بيسان للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ، بيروت 1996م،ص45.

2- لمزيد من التفصيل يُنظر؛ بيار جالئيل :(نظام الري في شبوة) في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص35-44.

3- جاكلين بيرن :(الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها)، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة ص28 . كذلك يوسف محمد عبد الله :(شبوة وحضرموت)في كتاب أوراق...، ص243.

العربية التي تمت فيها أعمال التنقيبات الآثارية يتضح بأنها شبوة كانت من أكبر المدن، وأهمها آنذاك حتى القرون الأولى للميلاد[1].

ذُكرت في المصادر الكلاسيكية كمركز لتجارة اللبان الذي ينقل إليها على ظهر الجمال ،حيث تدخل القوافل من باب واحد تجنبًا لعملية التهريب، وهناك يستلم الكهنة عُشر البضاعة كيلاً-أي بالتقدير-وليس وزنًا؛ كضريبة للمعبد ،ولاتتم عملية المتاجرة بها-البيع الشراء- قبل دفع هذه الضريبة[2]،ويذكر صاحب كتاب الطواف في الفقرتين (السابعة والعشرين، والثامنة والعشرين) سابَاتا(Sabbatha) (شبوة) بأنها مكان ملك بلاد البخور (حضرموت)؛إذ يُحمل إلى الملك في شبوة البضائع الثمينة؛ كالذهب المشغول ،والفضة ،والخيول ،وتماثيل الآلهة، وأرقى أنواع الثياب ذات الصنع الحسن[3].

ومن خلال مكانة شبوة التجارية؛ تمكن ملوك دولة حضرموت من السيطرة على التجارة في هذه المنطقة؛ خاصة بعد سيطرتهم على مواطن إنتاج اللبان في المناطق الشرقية ،وإن كانت ترد إلى شبوة مختلف أنواع البضائع القادمة من مناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى، أومن الموانئ الهندية، والأفريقية عن طريق ميناء قنا الأمر الذي جعل من مدينة شبوة مركز تجاري دولي ،ومما يدل على أن هذا هو حالها آنذاك هو العثور على بعض النقوش بالخط غير الحضرمي؛كنقوش سبائية وقتبانية وأوسانية، بالإضافة إلى ذكر أسماء أجانب، وعرب من الهند، وتدمر وغيرهما،بمعنى تواجد لأجنبي في شبوة، وليس هناك غير التجارة التي يمكنها أن تجذب الأجانب إلى هذه المدينة ،ويُذكر أن دور شبوة التجاري استمر حتى القرن الرابع الميلادي[4].

---

[1]- جان فرانسوا بريتون (شبوة والحواضر اليمنية القديمة) ، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة ص170-171.

[2]- ج.م باوير ،أ.لوندن : تاريخ اليمن القديم، ترجمة أسامة أحمد ،دار الهمداني للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى عدن 1984م ،ص40.

[3]- The Periplus: sec27-28.p32-33.

[4]- نور عبدالله الطني :الوضع الاقتصادي..،ص222.

3- ميفعة(نقب الهجر):

ظهر اسم المدينة في النقوش باسم (م ي ف ع ت) ،تقع في موقع استراتيجي على وادي ميفعة ،تتحكم بطرق القوافل المتجهة من ميناء قنا إلى عاصمتي مملكة قتبان، ومملكة حضرموت (تمنع وشبوة)[1]،يرى البعض أن ميفعة هي العاصمة القديمة لمملكة حضرموت ،وإذا لم تكن ذلك؛ فهي تُعد من أهم مدن هذه المملكة وذلك لأسباب عدة أهمها :موقعها المتميز على طريق التجارة ،خصوبة أراضيها كثافة زراعتها؛ حيث كانت تموّل مدن المملكة؛ بمواد غذائية مزروعة ،وهي مصدر رئيس؛تخرج منه القوافل محمّلة بالسلع الغذائية؛متجهة صوب العاصمة شبوة[2].ومن خلال البقايا الأثرية للمدينة يتضح أنها كانت ذات مساحة واسعة وتحوي مباني ضخمة[3].

4- تمنع (هجر كحلان):

ظهر اسم المدينة في النقوش (ت م ن ع) ،تقع شمال وادي بيحان على ضفته اليسرى،إلى الجنوب الغربي من مفازة صيهد- التي تنتهي عندها رحلة هذا الوادي- ويُعرف موقع مدينة تمنع اليوم باسم (هجر كحلان)[4]،هي -تمنع- عاصمة مملكة قتبان ،ومن خلال الكشف عن آثار هذه المدينة أنها ثاني مدينة- بعد مأرب- من حيث المساحة في جنوب بلاد العرب ،يحيط بتمنع سور؛ تمّ التعرُّف فيه على بوابتين أهمهما (البوابة الجنوبية)، وتقع جنوب غرب المدينة ، على جانبيها برجين عاليين ،احتفظت هذه البوابة بنقوش قتبانية تذكر اسماء بعض الملوك القتبانيين[5] وتتمثل شهرة البوابة الجنوبية؛ باعتبارها المدخل الرئيس للمدينة؛الذي يؤدي إلى ساحة معبَّدة بالحجارة؛وهي سوق المدينة ،وتمر عبر هذه البوابة مختلف أنواع البضائع التي يتم تحصيل ضرائبها لصالح الملك، والمعبد.

1- أسمهان سعيد الجرو: موجز التاريخ السياسي ...،ص124.
2- نورة عبدالله العلي :الوضع الاقتصادي ...،ص222.
3- أسمهان سعيد الجرو :موجز التاريخ السياسي ...،ص124.
4- يوسف محمد عبدالله :(قتبان وتمنع"الدولة والعاصمة")،في كتاب أوراق ...، ص236.
5- أسمهان سعيد الجرو : موجز التاريخ السياسي ...،ص149.

تُعد تمنع مركزًا تجاريًا مهمًا على طريق التجارة المتجه شمالاً؛ حيث تصلها القوافل القادمة من شبوة محملة بمختلف أنواع البضائع؛أهمها: اللبان ،والمر وغيرهما وما يدل على أهمية هذه المدينة من الناحية التجارية -هو ذكر النقوش لوجود جاليات وأجانب فيها ، يقومون بممارسة العمل التجاري هناك ، وأهم هذه النقوش هي المسلة التي ترتفع في سوق المدينة المعروف بسوق (شمر) ، والتي نُقش على ثلاثة من جوانبها (قانون قتبان التجاري)؛ الذي أصدره أحد أشهر ملوك قتبان؛ وهو (شهر هلال بن يدع أب)، وذكر فيها حقوق التُجّار الأجانب، وواجباتهم والتزاماتهم، والعقوبات التي تفرض على المخالفين منهم لقوانين هذا السوق أثناء ممارسة العمل التجاري ،والحقيقة أن صدور هذا القانون لايعد دليلاً مهمًا على وجود التُجَّار الأجانب القادمون من ممالك، ومناطق أخرى فحسب ؛بل ويدلُ أيضًا على المستوى الذي وصل إليه القتبانيون في معاملاتهم التجارية، وحفاظهم على حقوق تُجارهم، ومواطنيهم، وكذا مدى سيطرتهم على التجارة ،واستفادتهم من كل جوانبها كما يتضح من خلاله الدور الذي تقوم به تمنع؛ كسوق، ومركز تجاري مهم تعتمد عليه المنطقة ، ومن خلال اللُقى الأثرية التي وجدت في تمنع واحتوت على الكثيرمن القطع المستوردة،يتّضح أن علاقتها التجارية مع غيرها، كانت واسعة جدًا تجاوزت مناطق شبه الجزيرة العربية إلى خارجها[1]،ومن القطع المستوردة التي عُثر عليها في المدينة: أواني فخارية ولوعية زجاجية تمّ جلبها من مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط[2].

5- مارب :

جاءت في النقوش باسم (م ر ي ب) ، تقع في الضفة اليسرى لوادي (أذنة) ،مساحتها واسعة تصل إلى كيلو متر مربع تقريبًا؛ مما يجعلها أكبر المدن الجنوبية مساحة-آنذاك- يحيط بها سور عُرضه حوالي متر؛ به ثمانية أبواب ، تتصل من خلالهم المدينة بما يحيط بها في

---

[1]- نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي ....ص223.

[2]- يوسف محمد عبدالله :(قتبان وتمنع الدولة والعاصمة) في كتاب أوراق....، ص239.

جهاتها الأربعة[1]. موقع المدينة-غرب مفازة صيهد- جعلها تتحكم في طرق القوافل الرئيسة القادمة من الجنوب باتجاه الشمال؛ حيث تلتقي هذه الطرق عندها ؛فأصبحت مأرب مركز تجاري تتجمع فيه القوافل التجارية؛ مما وفر للسبئيين مصدرًا اقتصاديًا مهمًا ، واتخذها ملوك سبأ عاصمة لدولتهم؛إذ يذكر (كرب ايل وتر) في أحد النقوش أنه شيّد سورًا حول مدينة مأرب مع بعض البوابات[2]،كما يذكر الهمداني إنه((كان بمأرب قصور سلحين والهجَر، والقشيب))[3].

اشتهرت مدينة مأرب بسدِّها؛ الذي ظل شاهدًا على حضارة عريقة ،وهو السد الذي كرّمه الله بذكره في القران االكريم((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ*)) [4]،و(العَرم) بلغة أهل اليمن هو السدّ، أو الحاجز[5]،ومن خلال الآيتين الكريمتين؛ يتضح بأن المدينة كانت محاطة بالحقول، والبساتين التي كانت ترويها مياه وادي أدنة ، فاشتغل بعض أهلها بالزراعة ، ويُذكر أن هذه المزارع ، والحقول ؛ كانت تنتج الذرة، والدخن، والشعير، والطهف، والسمسم، بالإضافة للكتّان، والعنب، والنخيل، وغير ذلك [6].

مأرب؛ عاصمة دولة كبيرة في جنوب شبه الجزيرة العربية ؛ تمكنت من السيطرة على مناطق واسعة هناك ، وبالتالي أصبحت المدينة سوق، ومركز تجاري رئيس تصلها منتجات هذه المناطق؛ الزراعية، والصناعية؛ ليعاد تصديرها إلى

1- يوسف محمد عبدالله :(حديث في حضارة سبأ)،في كتاب أوراق....ص203.كذلك أسمهان سعيد الجرو: موجز التاريخ السياسي ....ص95.

2- عارف أحمد إسماعيل :العلاقة بين العراق وشبه الجزيرة العربية....ص67.

3- أبو محمد الحسن الهمداني :الإكليل ،تحرير وتعليق نبيه أمين فارس ،دار الكلمة (صنعاء) ،دار العودة (بيروت) ب ت ،ص45.

4- القران الكريم : سورة سبأ، الآيتان 16،15.

5- يوسف محمد عبدالله:(حديث في حضارة سبأ)في كتاب أوراق.... ص205.

6- يوسف محمد عبد الله:(سد مأرب ،وأمر إعادة بنائه) في كتاب أوراق.... ص93-94.

الخارج الأمر الذي أكسبها شهرة تجارية عالمية[1]،وبقيت عاصمة حتى في ظل تنازع ملوك سبأ وحمير على اللقب الملكي -ملك سبأو ذي ريدان-أي إلى القرن الثاني الميلادي عندما انتقل الحكم منها نهائيًا إلى عاصمة جديدة هي (ظفار حمير) ، ويجب الإشارة إلى أن مارب تصدّت للحملة الرومانية عام 24 ق.م، التي أخفقت أمام أسوارها واضطرّت قواتها للانسحاب[2].

6- يثل (براقش) :

تقع مدينة يثل على تل ترابي؛ في منطقة وسط على طريق التجارة بين مارب ونجران - شمال غرب مارب ،إلى الجنوب من الجوف- في منطقة خصبة زراعيًا.ذكرها استرابو عند وصفه للحملة الرومانية عام24 ق.م باسم أثرولا (Athrula)[3].كما ذكرها (كرب ايل وتر) في نقش النصر(RES3945) ،كإحدى المدن السبئية ،غير أنه ما لبثت أن أصبحت ضمن مدن دولة معين بحلول عام 400 ق.م ،وذلك بعد أن قادت إلى جانب مدينة (نشق) ثورة ضد دولة سبأ[4]،على إثرها خرجت عن الكيان السبئي .

يثل (براقش اليوم) ثاني أهم المدن المعينية ، وذلك لموقعها التجاري المتميز على طريق القوافل (طريق البخور) ، كما أن أهميتها تأتي من كونها أصبحت مركزًا دينيًا للمعينيين ،فآثار المدينة المحاطة بسور ذي أبراج عالية ،تدل على أنها كانت تحتوي على الكثير من المعابد[5].

7- قرناو:

1- نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي ...ص225.

2- STRAPO: ((THE GEOGRAPHY OF. STRAPO)) .The English Tranlation by Horace Leonard Jones.Harvard University Press. Londo. BK16. Ch4. Sec24. P361.

3- Ibid.BK16. Ch4. Sec24.P361.

4- يوسف محمد عبد الله :(دولة معين هل هي أقدم من سبأ؟)في كتاب أوراق ....، ص215.

5- جواد علي :المفصل ....، الجزء الثاني ص116-117.وكذلك أسمهان سعيد الجرو:موجز التاريخ السياسي....ص186.

عاصمة الدولة المعينية ،جاءت في النقوش باسم (م ع ن) كما ذكرها بعض الكلاسيكيين باسمي : قرناء(Karna)، وقارناء(Karana)[1]، تقع في وادي الجوف في منطقة وسط بين جبلي (اللود،و يام) ،وهي مدينة ذات شكل مستطيل من الشرق إلى الغرب ، محاطة بسور منيع به مدخلين: أحدهما شرقي ،والآخر غربي تحميهما أبراج حجرية[2].

اشتهر المعينون بالتجارة ؛فصارت عاصمتهم قرناو مركز تجاري مهم على طريق القوافل .ظلت مستوطناتهم الشمالية مرتبطة بها ؛وبحكم موقع المدينة في شمال الممالك العربية الجنوبية؛ أصبحت (قرناو) أكثر اتصالاً بطرق التجارة المتجهة إلى شمال وشرق شبه الجزيرة العربية ؛الأمر الذي أكسب المعينيين، وعاصمتهم قرناو شهرةً تجارية عالمية،غير أنه في القرن الأول ق.م استولت مملكة سبأ على قرناو بعد أن دمّرتها، لتعود هذه المدينة مع بقيت المدن المعينية إلى الحظيرة السبئية[3].

8- نجران:

مدينة تجارية على طريق القوافل ،تطل على وادي نجران في منطقة خصبةً؛ وفيرة المياه الأمر الذي أهلها لان تكون محطة، ومركز تجاري مهم[4]، خاصة أنه؛ عندها يبدأ مفترق الطرق المتّجهة إلى شرق شبه الجزيرة العربية، وإلى شمالها- كما سبق ذكره عند الحديث عن طرق التجارة - « يخرج منها طريقان رئيسيان: أحدهما يتجه نحو الخليج العربي إلى العراق أو إلىَ شمال شبه الجزيرة العربية ، والآخر يتّجه نحو جنوب سورية» ، وبالتالي نجران شكلت العقدة التي ربطت الطرق البريةَ في شبه الجزيرة العربية القادمة من اتجاهاتها المختلفة ، وكان طبيعيًا أن تكون مدينةَ نجران

1- جواد علي :المفصل ....، الجزء الثاني ،ص116.

2- عبد العزيز صالح :تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ص81.

3- يوسف محمد عبد الله :(دولة معين هل هي أقدم من سبأ؟)في كتاب أوراق ....، ص216.كذلك عبد العزيز صالح: المرجع ذاته، ص84.

4- جواد علي : المفصل ....،الجزء الثاني ،ص507.

من المراكز، والأسواق التجارية المعروفة التي يأتيها التجار من كل المناطق كما عُرفت؛ كمدينة صناعية ؛لوجود العديد من الصناعات؛ كالتعدين ،وصناعة الزيت[1].

9- ذات كهل(قرية):

كهل إله المدينة الكبير ،تذكره النقوش المعينية التي تمّ العثور عليها ضمن آثار معبد قديم -هناك- وربما كان اسم المدينة مصدره اسم إلهها الأكبر. يطلق على المدينة اليوم اسم (قرية الفاو)، وتقع على طريق القوافل التجارية؛ الذي يربط نجران بشرق بلاد العرب، وبالتالي شكلت هذه المدينة محطة تجارية مهمة في عهد الدولة المعينية وما بعدها؛بما توفر لها من إمكانات جعلت منها مركزًا تجاريًا على طريق التجارة كالمساحة الواسعة ، والمياه الوفيرة ،ووسائل الدفاع ،والسوق، وغيرها ،ويبدو أن مكانتها التجارية الزاهرة مكنتها- فيما بعد- من سك عُملة خاصة بها[2].

10- ثاج:

مدينة في شرق بلاد العرب ، ازدهرت في العصر الهلينيستي، يمر بها ثلاثة طُرق تجارية رئيسة :الطريق الأول المتجه من ثاج إلى جرها ؛ ثم باتجاه ظفار حضرموت، ومنها إلى جنوب بلاد العرب ، أمّا الطريق الثاني؛ يتّجه من جرها نحو ثاج؛ ومنها إلى وسط بلاد العرب ، بينما الطريق الثالث؛ يصل جرها بثاج، ثم إلى العراق- بحاذاة نهر الفرات- باتجاه سورية.عُثر فيها على نقوش مكتوبة بالخط العربي الجنوبي ، وهو ما يدل على وجود علاقة ما؛ بينهما، كما عُثر فيها على عدد من العُملات المختلفة؛ التي سُكت في بعض المناطق؛ بعيدًا عن هذه المدينة؛ مما يدل على أنها كانت مركزًا تجاريًا تعامل معه التجّار الأجانب[3].

1- نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص226.

2- يوسف محمد عبدالله : (كاهل في دهرها الأول) في كتاب أوراق ...،ص283.

3- نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي...،ص226-227.

11- يثرب (المدينة):

يثرب مدينة قديمة ،ورد ذكرها في النقوش المعينية[1]، تقع على سهل بارز إلى الشمال من (مكة) ،يليها من جهة الشمال جبل (أحد)؛ ثم جبل (سلع) ،وفي جنوبها الغربي جبل عسير، ووادي العقيق؛ ذو المياه العذبة،تحيط بها أراضي زراعية ترويها الكثير من الوديان الجارية في جهاتها الأربعة[2]؛ فيثرب واحة خصبة يحيط بها العديد من الآبار، والعيون ، وبالإضافة إلى موقعها- المهم- على طريق التجارة الرئيس بين جنوب بلاد العرب، وجنوب سورية؛ فقد وفرت للقوافل، وأصحابها أسباب الراحة والتموين، فكانت هذه المدينة محطة، ومركز تجاري مهم تقصده القوافل التجارية القادمة من الشمال، والجنوب،ولاعجب أن حاول أخر ملوك الكلدانيين نبونيد(556-539) ق.م السيطرة عليها ؛ففي نص عُثر عليه في مدينة حرّان دوّنه هذا الملك؛ ينكر فيه المدينة باسم إتريبو (Ia-Tri-bu)؛ وهو نص سجّل فيه ما قام به من عمليات عسكرية على أرض الحجاز في محاولة للسيطرة على مراكز الطريق التجاري الغربي لشبه الجزيرة العربية؛ لضمان السيطرة الكاملة على المنطقة[3].

ويثرب-المدينة اليوم- رغم موقعها، ومكانتها على الخط التجاري الرئيس؛ إلا أنها اعتمدت الزراعة؛ كمورد اقتصادي مهم إلى جانب التجارة ،وذلك لما توفر لها من إمكانات طبيعية ساعدت سكانها على ممارسة الزراعة .

يثرب مدينة كغيرها من مراكز التجارة على طريق القوافل(طريق البخور) وجدت فيها جاليات جنوبية (سبئية ومعينية)، وكان الغرض من هذا التواجد تأمين القوافل التجارية، وضمان عمليات التجارة[4].

1- GROOM,NIGEL :(Frankincense and Myrrh) .Astudy of the ArabiansTtade,Longman London and New York Librairie du Liban.1981.p191 .

2- أحمد أرحيم هبو:تاريخ العرب قبل الإسلام ،ص174.

3- جواد علي:المفصل...، الجزء الأول، ص614-615.كذلك عبد العزيز صالح:تاريخ شبه الجزيرة العربية...،ص184.كذلك عارف أحمد إسماعيل:العلاقة بين العراق:..،ص156.

4- أحمد أرحيم هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام ،ص175.

12- تيماء:

ورد هذا الاسم في التوراة باعتباره اسم لأحد أبناء إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام؛إذ سُميت باسمه[1]، وتيماء واحة خصبة إلى الغرب من صحراء النفوذ؛ يصلها الطريق القادم من شرق شبه الجزيرة العربية، وتربطه بطريق القوافل الرئيس(طريق البخور) المتّجه من جنوب بلاد العرب إلى جنوب سورية- حيث يخرج من تيماء طريق بري نحو مدينة البتراء-.

شكلت هذه المنطقة مركزًا تجاريًا كبيرًا في شمال شبه الجزيرة العربية؛ لدورها البارزفي التجارة الدولية،وقد ذكرها الملك الآشوري تجلات بلازر الثالث(754-727) ق.م بأنها ضمن المدن التي دفعت له الجزية(ذهبًا،فضة،وإبلاً،وطيوبًا) وذلك بعد أن قهر ملكة عربية تدعى (شمسي)[2]، ومن خلال محتويات الجزية المدفوعة يتضح مدى رخاء هذه المدينة ،وكذلك السلع التي تتاجر بها،ولأهمية تيماء تجاريًا، وعسكريًا تخذها الملك الكلداني(نبونيد) مقرًا لحكمه بعد وصوله إلى بلاد العرب؛ ولمدة عشرة أعوام؛ كعاصمة ثانية بعد بابل[3].

13- دومة الجندل:

جاءت في التوراة باسم(دومة)[4]،تقع شمال صحراء النفوذ في المنطقة المعروفة اليوم باسم(الجوف)،وموقعها مهم على طريق القوافل الممتد بين شرق شبه الجزيرة العربية، وغربها،ومنذ أيام الآشوريين؛ كانت هذه المنطقة عُرضة لغزو جيوش الدول الكبرى التي تظهرفي بلاد العراق؛ وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي بالنسبة للطامعين

1- التوراة :سفر التكوين ،الأصحاح الخامس والعشرون، الآيتان 15-16. سفرأخبار الأيام الأول ،الأصحاح الأول، الآية 30.

2- جواد علي :المفصل ...،الجزء الأول ، ص579.

3- جواد علي :المرجع ذاته،ص610 . وكذلك عارف أحمد إسماعيل: العلاقة بين العراق...، ص154-155.

4- التوراة : سفر أخبار الأيام الأول، الأصحاح الأول، الآية 30.

بالاستيلاء على هذه المنطقة؛ حيث كان سقوطها يسهّل سقوط باقي المدن المجاورة[1] كما أن القبائل التي تحكم هذه المنطقة كانت في مشاكل دائمةمع حكومات العراق كقبيلة قيدار (Kedar) التي يرد ذكرها في المصادر العراقية القديمة[2].

أهم آثار دومة الجندل؛ قصرها المعروف باسم(قصرمارد) ،أو(قصر الأكيدر) الذي عُثر به على بعض الكتابات القديمة، ومنها كتابات معينية[3].

14- دِدان(العلا):

تقع دِدان (ديدان)في واحة (العلا) إلى الشمال من وادي القرى ، بين سلسلة من الجبال- تجاورها من الشرق، والغرب[4]- تمتاز واحة العلا بوفرة المياه، وخصوبة الأرض[5]،الأمر الذي ساعد سكان المدينة على ممارسة الزراعة.

اشتهرت هذه المدينة كمركز تجاري كبير على طريق البخور،وأهميتها التجارية هذه تأتي نتيجة وقوعها في ممر ضيق؛ يُجبر قوافل التجارة أن تسلكه بسبب المرتفعات، وكثرة الرمال والحرّات[6].

ذكرت النقوش المعينية دِدان كمركز تجاري تعامل معه التجار المعينيون كما وجدت نقوش معينية في دِدان تؤكد استيطان المعينيونِ هناك[7]،ونتيجة لأهمية هذه المدينة، ومكانتها –آنذاك- صارت عاصمة لمملكتين متتاليتين في المنطقة هما :(مملكة دِدان) و(مملكة لحيان)[8].

---

[1]- عارف أحمد إسماعيل:العلاقة بين العراق...، ص67.

[2]- جواد علي :المفصل...، الجزء الأول، ص577.

[3]- عارف أحمد إسماعيل:العلاقة بين العراق...ص76-77.

[4]- عارف أحمد إسماعيل : المرجع ذاته، ص77.

[5]- عبدالعزيزصالح :تاريخ شبه الجزيرة...ص143.كذلك نورة عبدالله العلي:الوضع الاقتصادي...ص229.

[6]- نورة عبدالله العلي :الوضع الاقتصادي ...ص229.

[7]- أسمهان سعيد الجرو:موجزالتاريخ السياسي...ص38-39.كذلك عارف أحمد إسماعيل:العلاقة بين العراق...ص77.

[8]- لمزيد من التفصيل يُنظر جواد علي :المفصل...،الجزء الثاني،ص241 ومابعدها.

15- البتراء:

منطقة استيطان قديمة، تقع في وادي موسى، والبتراء كلمة يونانية بمعنى الصخرة،يرى البعض بأنها(سالع) سلع الواردة في التوراة[1]،التي تذكرها باعتبارها عاصمة الإيدوميين ثم للمؤابيين، أطلق عليها العرب اسم (الرّقيم) التي ذُكرت في القرآن الكريم[2].

تحيط بالبتراء الصخور[3]،وتُعد ملتقى لطرق القوافل الدولية القادمة من تدمر وغزّة، ومصر، وجنوب بلاد العرب، وشرقها[4]،وبالتالي ربطت البتراء- تجاريًا- كلاً من العراق، وجنوب سورية ،وشبه الجزيرة العربية، ومصر.

نشأت مدينة البتراء؛ كمحطة تجارية على طرق القوافل شأنها في ذلك شأن كثير من المدن التجارية على هذه الطرق؛ أصبحت فيما بعد عاصمة لمملكة تجارية هي(مملكة الأنباط)،ومنذ القرن الثالث ق.م؛ أصبحت مركزًا تجاريًا؛ ذا شهرة عالمية تعجُّ بالتُجّار الأجانب،وكغيرها من مراكز التجارة؛ وفرت البتراء بعض المنتجات الصناعية التي تحتاجها قوافل التجارة؛ فشكلت بذلك سوقًا تجاريًا مهمًا،وليس مجرد محطة للقوافل فقط-لاسيما- في ظل وفرة المياه العذبة التي استفادوا منها بعد أن أقاموا مشاريع للري في مناطقهم الزراعية،بالإضافة إلى ذلك فقد تمكن الأنباط من السيطرة على المناطق المجاورة لهم ؛استثمروا مناجمها بالحصول على بعض الموارد المعدنية،الأمر الذي مكنهم من إقامة بعض الصناعات التي كانت تسوّق(تباع) في عاصمتهم البتراء، وأهم هذه الصناعات هي :صناعة الأواني التي تعبأ بها العطور

---

[1]- التوراة: سفر إشعيا،الأصحاح السادس عشر،الآية 1، والأصحاح الثاني والأربعون ،الآية 11،سفر الملوك الثاني ،الأصحاح الرابع عشر،الآية 7 . سفر أخبار الأيام الثاني ،الأصحاح الخامس والعشرون،الآية 12.

[2]- القرآن الكريم،سورة الكهف ،الآية8.

[3]- STRABO:BK16 ,Ch4,Sec21,p353.

[4]- جورجي زيدان،العرب قبل الإسلام ، ص92-93.

والطيوب،وصناعة الأسلحة، والسروج،وأكياس البضائع،بالإضافة إلى صناعة المر واللّبان، والبلسم[1].

أهم المنتجات التي كانت تصل إلى أسواق البتراء من خارجها؛ ويتعامل معها التّجار(بيعًا وشراءً) هي : البخور، واللّبان ،والتوابل من جنوب شبه الجزيرة العربية،والمنسوجات الحريرية الفاخرة من دمشق، وغزة ، والحناء من عسقلان (إحدى المدن الفلسطينية)،الأرجوان، والمقتنيات الزجاجية من مدن الساحل الفينيقي بالإضافة إلى اللؤلؤ من موانئ شرق بلاد العرب[2]،وغيرها من السلع.

16- دمشق:

من أقدم المدن السورية، شكلت في الألف الثاني قبل الميلاد مملكة أمورية قوية،وفي الألف الأول قبل الميلاد أصبحت مملكة آرامية تعرف باسم(أرام دمشق)؛حيث تأسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد،ولم يأتي القرن العاشر قبل الميلاد إلا ودمشق تُسيطر على منطقة واسعة في سورية؛لتصبح حاضرة الآراميين؛فكانت محطة تجارية مهمة، ورئيسة في الطّريق الدّولي العظيم؛ الذي يمر بسورية من الغرب إلى الشرق، والعكس.

دمشق مدينة تجارية-في أغلب عهودها- وهي محاطة بالمزارع، والبساتين التي تنتج محاصيل زراعية- ذات أهمية بالغة- يستفيد منها السكان،وفي العهد الفارسي أصبحت دمشق عاصمة للولايةِ الفارسية التي ضمّت كلاً من سورية و قبرص[3]،وبالتالي فأن هذه المدينة كانت من أهم المدن في سورية خلال هذا العهد؛وذلك لمكانتها السياسية، والتجارية؛ حيث يتفرّع منها مجموعة من الطّرق؛ تربط

1- صالح أحمد العلي :تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للتوزيع النشر،الطبعة الأولى،بيروت 2000م ص49.كذلك فيليب حتّي :تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول،ص418،كذلك نورة عبد العلي:الوضع الاقتصادي...،ص230.

2- فيليب حتّي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص425 [illegible]

3- جباغ قابلو:تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي،ص271 [illegible]

مناطق سورية- بعضها ببعض- و تربطها بالطريق الدّولي العظيم ؛فكان لابد أن تشكّل مركزًا تجاريًا مهمًا يصل إليه التُجّار من كل مكان ؛حتى أُطلق عليها(ميناء البادية).

17- تدمر:

اسمها باليوناني بالميرا(Palmyra)،تأثر العرب باسمها السامي ثادا مورا (Thadamora)؛ فاحتفظت لديهم باسم تدمر[1]،تقع أعلى بادية الشام شمالاً، وتتوسط المنطقة بين دمشق، والفرات،نشأت حول نبع ماء غزير؛ جعل منها واحة على حدود البادية،تُعد تدمر مدينة، ومركزًا تجاريًا مهمًا؛ على طُرق التجارة الدّولية التي تقطع سورية؛فتمر بها القوافل القادمة من مصر، وبلاد العرب، والعراق- كدمشق- محمّلة بمنتجات هذه المناطق.

أهمية تدمر التجارية قديمة؛ربما تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد[2]،وكان لها دور واضح؛ كمحطة تجارية منذ القرن السادس قبل الميلاد[3]،أقام بها السلوقيون حصنًا- كأحد الحصون التي أقاموها في المناطق الاستراتيجية التي استولوا عليها- وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد؛ لأهميتها على طرق القوافل،وفي القرن الأول قبل الميلاد برزت تدمر ؛كمدينة تجارية مهمة يأتي إليها التُجّار الأجانب؛ويظهر ذلك جليًا من خلال بقايا المنشآت التي أقيمت بغرض تسهيل العمل التجاري فيها؛ مثل: الخانات،والمحلات التجارية[4]؛فكانت تصلها المنتجات العالمية من مختلف مناطق العالم القديم؛كمنسوجات الصوف، والحرير،والأرجوان ،والعطور ،والزيوت والخمور،وغيرها[5].

---

[1]- فيليب حتّي :تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول،ص432.

[2]- عيد مرعي :(تدمر محطة هامة على طريق القوافل خلال الألف الثاني قبل الميلاد)،مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية،المديرية العامة للآثار والمتاحف،المجلد 42، دمشق 1996م، ص109، ومابعدها.

[3]- جورجي زيدان :العرب قبل الإسلام، ص113.

[4]- محمد بيومي مهران :تاريخ العرب القديم، ص535-536.

[5]- فيليب حتي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص433.

18- إنطاكية:

عاصمة الدولة السلوقية،أسسها سلوقس الأول عام307 ق.م[1]،تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي- شمال غرب سورية- وتبعد عن البحر بحوالي عشرين ميل،محاطة بالحدائق الجميلة،اهتم بها الملوك السلوقيين حتى صارت أعظم مدنهم في آسيا[2]؛حيث أخذت مكانة دمشق في سورية- التي كانت العاصمة في العهد الفارسي[3]-.

إلى جانب المكانة السياسية الرفيعة لإنطاكية خلال هذا العهد-العهد السلوقي- كانت لها أهمية تجارية كبيرة؛حيث أصبحت إنطاكية، وميناءها على البحر الأبيض المتوسط (مدينة سلوقية)؛ مركز الالتقاء لجميع القوافل القادمة من كل مكان-لاسيما- بعد اهتمام السلوقيين بإنشاء مدن جديدة، وربطها بالطرق البرية الرئيسة؛ عن طريق شبكة من الطرق الفرعية؛ فكانت القوافل التجارية القادمة من شرق شبه الجزيرة العربية؛ تصعد من جرها إلى(سلوقية دجلة)على نهر دجلة*،ثم تتجه نحو(دورا- أوروبس)**ومنها إلى إنطاكية،كما أن القوافل القادمة من الجنوب- من مصر أو البتراء- تتجه نحو اللاذقية، ومنها إلى(سلوقية) على ساحل البحر الأبيض المتوسط أو إلى إنطاكية[4]،ومن هنا كان لهذه المدينة شأن تجاري في العهد السلوقي.

---

[1]- سعد صائب (ترجمة وإعداد) :دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،الطبعة الأولى،دمشق1994م،ص90.

[2]- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول،ص276.

[3]- سعد صائب: دور سورية...،ص90.

*- سلوقية دجلة؛ مدينة، ومركز تجاري بناها سلوقس الأول على نهر دجلة- هي غير (سلوقية) الميناء الموجود على البحر الأبيض المتوسط- شكّلت مركز توزيع بضائع التجارة الشرقية، وحلّت محل بابل- من الناحية التجارية- لاسيما؛ في القرن الثالث قبل الميلاد.

**- دورا-أوروبس(الصالحية اليوم): مدينة أسسها سلوقس الأول عام300 ق.م؛ في موضع وسط بين عاصمتي سورية، وبلاد الرافدين؛ على هضبة صخرية تطل على نهر الفرات،وموقعها هذا يُعد حصناً قوياً ومنيعًا- طبيعياً- أصبحت بعد قيامها تشكّل سوقاً، ومركزاً تجارياً مهماً على طريق القوافل، نقلاً عن فيليب حتّي :تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص298-299.

[4]- فيليب حتّي:المرجع ذاته، الجزء الأول، ص298.



الفصل الثالث:

التعاملات التجارية بين شبه الجزيرة العربية وسورية.

-المبحث الأول: السلع المتداولة بين شبه الجزيرة العربية وسورية.

-المبحث الثاني: نقل السلع والتعامل التجاري بين شبه الجزيرة العربية وسورية.





المبحث الأول: السّلع المتداولة بين شبه الجزيرة العربية وسورية

نقلت قوافل التجارة أصناف مختلفة من السلع، والبضائع بين شبه الجزيرة العربية، و سورية خلال الألف الأول قبل الميلاد، وهي تلك السلع التي توفّرت في إحدى المنطقتين،وكانت المنطقة الأخرى سوقًا رائجًا لها، أو تحتاجها إما للاستهلاك المحلي، أو إعادة تصديرها، والمتاجرة بها مع مناطق أخرى .

على هذا؛ فإن الحديث عن هذه السلع لابد أن يتضمن تلك التي تُنتج محليًا في المنطقتين ، وكذلك السلع التي ترد إليهما من المناطق المجاورة؛ ليُعاد تصديرها مرة أخرى؛ فقد سبق الإشارة إلى موقع المنطقتين الاستراتيجي- وسط العالم القديم- الذي أهلهما لأداء دور الوسيط- المهم والرئيس- في تجارة العبور العالمية بين عالمي الشرق، والغرب؛ التي نشطت- بشكل ملحوظ- براً، وبحراً في الألف الأول قبل لميلاد؛ مع تزايد طلب السلع المرغوبة في مناطق الشرق الأدنى القديم، وبلاد الغرب وهي التي تتوفر فقط في المناطق الشرقية - شرق أفريقيا والهند وشرق أسيا - وبلاد العرب ،وأهم هذه السلع هي التي عُرفت بالسلع المقدسة (اللّبان والمر) بالإضافة للتوابل؛التي رآها البعض من الكماليات غير إنها كانت سلعًا أساسية تحتاجها تلك الشعوب بشدّة- آنذاك- وما يدل على ذلك هو أنه كان من بين أهم الأسباب التي أدّت إلى نشوب الصراع الدولي بين الدول الكبرى في المنطقة؛ هو محاولة السيطرة على المناطق التي تنتج، أو تتاجر بهذه السلع –لاسيما بعد الزمن الذي تغطيه هذه الدّراسة- وهذا بالطبع يؤكد على أنها لم تكن من الكماليات؛ بل ضروريات؛ يحتاجونها في معاشهم، وحياتهم اليومية[1]. وهكذا ؛ فمنطقتي شبه الجزيرة العربية، وسورية في ظل ازدهار طُرق التجارة البرية بينهما؛ شكلتا الممر الرئيس لتلك السلع بين هذه المناطق آنذاك. ويمكن استعراض أهم السلع التي تبادلتها المنطقتين فيما يلي :

1- الدكتور سحاب : الإيلافات ، ص 40-41.

أولاً:صادرات شبه الجزيرة العربية إلى سورية :-

1- السلع المحلية:-

أ- اللُبان والمُـر والصَبِّـر :-

يُعد اللُبان من أهم صادرات شبه الجزيرة العربية نحو سورية،عُرف باليونانية باسم (libanos)و(libanotos)، وبالإنجليزية باسم(frankincense)، وهو مادة صمغيه تفرزه أنواع الشجرِ المعروفة باسم (boswellia) بوسوليا - معروف من هذه الشجرة حوالي خمسة عشر نوعًا- وهذه الأشجار بأنواعها تواجدت- فقط- في الجزء الأوسط لساحل بلاد العرب الجنوبي - منطقة ظفار حضرموت آنذاك- وفي جزيرة سقطرى، والصومال، ومنطقة كورومانديل(koromandel) على ساحل الهند حيث توفرت في هذه المناطق من العالم- فقط -العوامل الطبيعية المناسبة لنمو هذه الأشجار؛ كمعدل مطر مناسب،وحرارة، وتربة صالحة ملائمة لنمو شجر اللُبان[1] غير أن اللُبان الذيِ تنتجه منطقة ظفار حضرموت يُعد أفضل جودةً، وأغلى ثمنًا من اللُبان الهندي، والصومالي[2].

توصف أشجار اللُبان؛ بأنها شجرة شوكية صغيرة؛ ترتفع حوالي عشرة أقدام[3]،غير أنه عندما تتوفر لها ظروف أكثر ملائمة؛ قد ترتفع إلىَ خمسة عشرةَ قدم وتنمو عليها أعداد كثيرة من الأغصان[4]، ومن أهم أنواع اللُبان؛ ما عُرف بـ(الكُندُر) الذي استخدِم كبخور[1]، كما أنه يُعلك ، وينفع طبيًا لعلاج البلغم[2].

=

1- Muller: ((Note on the use of Frankincense in South Arabia)) Op-Cit,p124.

2- فكتور سحاب : الإيلاف ، ص240.

3- يوسف محمد عبد الله :(طريق اللُبان التجاري)في كتاب أوراق...، ص 224.

4- Van.beek: ((FRANKINCENSE AND MYRRH))The Biblical Archaeologist Pubished by The Amreican Schools of Oriental Researh.Vol 23,No3 September,1960; P71.

أما المُر (Myrrh) ،هو أيضًا مادة صمغية ،تنتجه أشجار من فصيلة (Gumresien of genus commiparau)[3]،ويبدو أن أشجار المُر؛ قد انتشرت في مناطق كثيرة في بلاد العرب على عكس اللبان ؛إذ كان يُجمع محصول المُر في مناطق أكثر بكثير من المناطق التي يُجمع منها محصول اللبانِ في بلاد العرب[4] فإلى جانب ظفار؛ كانت أشجار المر تنمو في منطقة تمتد من الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية حتى منطقة جيزان (اليوم)، وفي جبال (شرى)، وجبال (كرا) شمال عسير في جوف اليمن ، وفي السفوح الغربية بجبال السروات[5] .

شجرة المُر لها جذع؛ قُطره حوالي قدم، ويتراوح طولها مابين أربعة إلى خمسة عشر قدم ،أغصانها تنمو لتغطي الجذع ،كما يمكن أن تُغطي مساحة يصل قُطرها إلى حوالي عشرين قدم ، تظهر أوراقها، وتزهر بعد وقت قصير من هطول المطر[6].

يمكن الحصول على مادتي اللبان، والمُر من خلال عملية نقر، أو خدش الشجرة بآلة حادة ؛إذ يُقشر، ويُقطع لحاء الشجرة إلى عُمق خمسة أنش؛ في مواضع مختلفة منها؛ بحيث تفرز مادة صمغية؛ تتصلب بمجرد ملامستها للهواء؛ مكوّنة كُرات صغيرة غير منتظمة الشكل، وبأحجام مختلفة- في بعض الأحيان تأخذ هذه الكرت شكل الدمعة - وتتساقط بعضها إلى الأرض ، بينما يظل بعضها الآخر على الشجرة ؛ فيتم جمع ما تساقط؛ بينما يُحصد الباقي مباشرةً من الشجرة ،ويُذكر أن موسم نقر الشجر هو فصل الصيف ،غير أن المؤرخين الكلاسيكيين يشيرون إلى انه مع تزايد الطلب على اللبان والمُر- لاسيما- في العهد الروماني ؛ كانت الأشجار تنقر في فصل الربيع كدورة ثانية- وفي فصل الخريف تُجمع المادة الصمغية من الأشجار وتخزن في مخازن بُنيت خصيصًا لها؛ وفي موقع استراتيجي في مناطق اللبان؛ مثل المخازن التي عُثر عليها

1- جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع، ص 239-240.

2- فكتور سحاب : الإيلاف، ص 245.

3- نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص234.

4- Groom,Nigal: ((Frankincense and Myrrh)), p115.

5- نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي...، ص235

6- Van.beek:Op-Cit,p71.

في هنون (Hanun)على بُعد ثلاثين ميلاً من صلالة في عُمان[1]، ثم تُنقل هذه المواد الصمغية للتصدير بواسطة أوعيّة خاصة ، فاللبان يعبّا في أقفاص خشبية؛ مغطاة بالحصير المصنوع من السعف؛ حتى لا يتعرض للجفاف ومن ثم التهشيم،بينما المُر يعبّا بأكياس من الجلد لأنه يحتوى على كمية عالية من الزيت فيخشى أن يجف ويتسرب دهنه[2] ،أما طُرق نقل اللبان إلى مناطق التصدير فقد سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند الحديث عن موضوع طُرق التجارة البرية بين شبه الجزيرة العربية، وسورية .

غير أنه لابد من الإشارة إلى أنواع المر الخمسة؛ التي عرفها المؤرخون الكلاسيكيون؛ وهي كالتالي :

1- المر (تروقلودتيك) (Troglodytique) ويجلب من سبأ .
2- المر المعيني الذي تاجر به المعينيون .
3- المر الجبانيتي (القتباني) .
4- المر الحضرمي .
5- المر الأوساريتي (نسبة إلى منطقة أوسن) ضمن مناطق الأوسانيين[3].

أما الصبر (Aloe)؛ فهو نبات من فصيلة الزنبقيات يشبه السوسن ويختلف عنها بأن أوراقه أطول، وأعرض، وأثخن ، ومن هذه الأوراق يستخرج سائل صمغي طعمه مُر؛ يستعمل في الأغراض الطبية لعلاج بعض الأمراض ، كما يدخل في تركيب بعض الأدوية . ينمو نبات الصبر في مناطق عديدة ؛غير أن أجود أنواعه؛ ذلك الذي ينمو في جزيرة سقطرى؛ واشتهر باسمها (الصبرَ السقطري) ذو اللون الأحمر،وهو من السلع المهمة التي تاجرَ بهَا العرب الجنوبيون[4].

1- Van.beek:Op-Cit,p72.

2- نورة عبد العلي: الوضع الاقتصادي...،ص236.

3- أسمهان سعيد الجرو:(الحياة التجارية في اليمن القديم)في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص57 .

4- حسن صالح شهاب :أضواء ...،ص140.كذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...،ص238.

تُعد هذه المواد (اللبان، والمر، والصبر) من أهم السلع التي تاجر بها العرب مع سورية، لِما لها من قدسية، وأهمية دينية، ودنيوية، استعملتها كل شعوبُ العالم القديمة - تقريبًا- منذُ فجر التاريخ، وتعددت أسباب استعمالاتها ،فاللُبان كان يُحرق ليعطي رائحةَ طيبة، ويتم التقرب به للآلهة ،كما كان جزءًا أساسيًا للطقوس الدينية التي تتم في المعابد لدى كل الشعوب ، وفي الطقوس الجنائزية ، كما استُعمِل كذلك في المناسبات والأعياد؛كحفلات تكريم الأحياء، بالإضافة إلى تحضير بعض الأدوية الطبية [1].

أما المر؛ فبجانب استخدامه في الطقوس الدينية ، كان مادة أساسية ضمن المواد التي تُستخدم في عملية التحنيط عند قدماء المصريين ، ويدخل كذلك في صناعة العطور، وصناعة بعض الأدوية؛إذ ينفع في علاج السُعال، ولسع العقرب،وعلاج ديدان الأمعاء[2].

ما يؤكد متاجرة العرب بهذه السلع مع سورية؛هواستخدامها بشكل كبيرلدى ديانات ومعابد هذه المنطقة-كما كان في معابد العبرانيين مثلاً-بالإضافةإلى استخدامه المكثف من قبل شعوب شمال البحر الأبيض المتوسط ؛فالتوراة تذكر اللُبان والبخور والمر في مواضع عدة؛ فاللُبان يُحرق في خيمة الاجتماع المقدّسة ليخفي حضور الإله فيها ،كما ذُكر المُر الصافي ضمن المواد التي يصنع منها الدُهن المقدّس [3].

أما شعوب شمال البحر الأبيض المتوسط؛ فقد استخدموا هذه المواد بكثرة؛ إذ ذُكرت في أدبيات الإغريق(شعرًا،ونثرًا) منذُ القرن السادس قبل الميلاد[4]؛ وهو القرن

1- Muller: ((ARABIN FRANKINCENSE IN ANTIQUITY ACCORDING TO CLASS ICAL SOURCE)),ALYAMAN JOURNAL,Issued By Center for Yamani Researches and Studies, University of Aden,1996, No.6,P3.

2- حسين صالح شهاب :أضواء...ص139.

3- التوراة: سفر الخروج،الأصحاح الثلاثون،والآيات1،8،9،23: سفر العدد،الأصحاح الرابع،الآية 16 والأصحاح السابع، الآيات14،26،38 وغيرهم. سفر إرميا ،الأصحاح 6،الآية 20، أما الدُهن المقدّس فيتكون من مرّ قاطر ،قرفة عطرة ، قصب الذريرة ، سليخة،زيت الزيتون.

4- Muller:(Arabin Frankincense...),p4.

الذي حلّ فيه اللبان محل الأضاحي لديهم[1]، وكانوا يحصلون على هذه المواد من الساحل الفينيقي ، لأن تجارتها بالنسبة لهم تركزت بيد الفينيقيين؛إلى درجة أنهم كانوا يعتقدون بأنها ضمن منتجات سورية- آنذاك- غير أن أول كاتب، ومؤرخ إغريقي ذكر حقيقة البلد الأصلي المنتج لهذه السلع؛ هو (هيرودوت)الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد[2]؛ فهذه المواد كانت على راس السلع الأساسية التي تحملها القوافل التجارية من بلاد العرب إلى أسواق سورية؛ ليستهلك ما يستهلك منها محليًا ويصدّر جزء كبير منها - مرة أخرى- إلى بلاد اليونان، والرومان[3]،وبسبب ارتفاع أسعارها ، فقد كانت تدر أرباحًا كبيرةً على تُجّارها .

ب- الذهب و الفضة والأحجار الكريمة :-

لهذه المواد مكانة مهمة في تجارة العرب مع سورية في الألف الأول قبل الميلاد وما بعدّه فالذهب، و الفضة كانا يستعملان-آنذاك- في تقييم السلع أثناء عملية التجارة[4] وبعد اختراع النقود أصبحا من أهم المعادن التي تُسك بها النقود ، كما أنهما من أفضل وأثمن المعادن لعمل أدوات الزينة، وعروش الملوك، ومقتنياتهم وقد ذكر الكتّاب والمؤرخون العرب والكلاسيكيون(اليونان والرومان)؛الكثير من المواضع التي يستخرج منها الذهب، و الفضة في شبه الجزيرة العربية[5]، وإن كان البعض قد شكك في أن الكمية المستخرجة من هذه المواضع كافية للتصدير آنذاك غير أنه من المؤكد أن العرب قد تاجروا مع سورية بهذين المعدنين بشكل كبير ومنذ بداية الألف الأول قبل الميلاد ،وليس أدل على ذلك من ذكر التوراة لكميات الذهب التي تصل بلاط ملوك

1- فكتور سحاب: الإيلاف، ص41.

2- Muller:(Arabin Frankincense...) P4-5.

3- لطفي عبد الوهاب يحيى :العرب في العصور القديمة، ص111.

4- جواد علي : المفصل...،الجزء السابع، ص 416.

5- جواد علي :المفصل ...،الجزء الأول، ص 192-193.كذلك يُنظر الفصل الأول من هذه الدراسة الخاص باقتصاد شبه الجزيرة العربية.

العبرانيين في أكثر من موضع[1] ،(ذهب سبأ)، و(ذهب أوفير)- الذي اعتقد البعض أنها منطقة ما في شبه الجزيرة العربية[2]- وإذا كانت الكمية المستخرجة غير كافية فأنهُ يمكن إضافة كمية الذهب، وترابه (التبر)التي تصل إلى موانئ بلاد العرب من الهند، وشرق أفريقيا، وكذلك الفضة التي كانت تُجلب من أفريقيا[3]، و ما يؤكد وفرة الذهب، و الفضة وبكميات كبيرة في شبه الجزيرة العربية هو ما ذكره المؤرخ الإغريقي أجثارشيدس (Agathar chides) (200-120) ق.م؛ عندما أشار إلى أن العرب كانوا يُقايضون بالذهب، و الفضة للحصول على معادن أخرى؛ فللحصول على البرونز يدفعون ثلاثة أضعافه؛ ذهبًا وللحصول على الحديد يدفعون الضعفين من الذهب[4]،كما ذكر أيضًا أن السبئيين وأهل جرها أغنوا بلاد الشام بالذهب ، وكانوا السبب في إثراء الفينيقيين[5]، ومع أن ثراء الفينيقيين؛لم يكن سببه الوحيد هم العرب، وذهبهم ، إلا أن ذلك؛يُعد دليلاً على متاجرة العرب بالذهب مع سورية في ذلك العهد .

أما الأحجار الكريمة؛ فقد سبق الحديث عن مناطق إنتاجها في شبه الجزيرة العربية ،وكذلك تم ذكر أنواعها، و أفضلها في هذه الدراسة - يُنظرالفصل الأول الأوضاع الاقتصادية لهذه المنطقة- غير أنها كانت من السلع المهمة التي تاجر بها العرب مع سورية-آنذاك- فالتوراة تذكرالأحجار الكريمة بشدّة؛ وفي مواضع كثيرة[6] ،وتشير فيها إلى وصول كميات كبيرة منها من بلاد العرب ، كما أن الغرب كان

1- التوراة: سفر الملوك الأول ،الأصحاح التاسع، الآية 28، والأصحاح العاشر، الآية 2 . سفر الأيام الثاني الأصحاح الثامن ،الآية 18، والأصحاح التاسع، الآيات 1،10،14. سفر المزامير، الأصحاح الثاني والسبعون الآية 15 . سفر حزقيال، الأصحاح السابع والعشرون ، الآية 22.

2- جواد علي : المفصل...،الجزء الأول، ص192.

3- فكتورسحاب :الإيلاف ، ص239-240. كذلك حسن صالح شهاب ، ص148-149.

4- Groom,Nijal: ((Frankincense and Myrrh)) Op-Cit,p69-70.

5- برهان الدين دلو:جزيرة العرب...،الجزء الأول، ص128.

6- التوراة: سفر الملوك الأول ،الأصحاح العاشر،الآية 2. سفر الأيام الثاني ،الأصحاح التاسع،الآيتان 1,10 سفر حزقيال، الأصحاح السابع والعشرون ،الآية 22.

يقبل على شرائها [1]؛ ولابد أن وصولها إلى هناك كان عبر الأسواق والمراكز التجارية في الساحل الفينيقي.

إلى جانب الأحجار الكريمة؛ تاجر العرب- كذلك- باللؤلؤ؛ الذي كان محصول بعض سواحل بلاد العرب الشرقية،والجنوبية؛ إذ اشتهرت به البحري، وعُمان[2] وعدن[3]، ويُذكر أن التُجّار الآراميين تاجروا بمحصول اللؤلؤ الذي كان يأتيهم عن طريق الخليج العربي [4].

وهكذا ؛ ظلت شبه الجزيرة العربية؛ تصدّر هذه السلع إلى سورية خلال هذا العهد، وما بعده في التاريخ الميلادي؛لاسيما مع زيادة الطلب عليها من الغرب في العهد الروماني[5] ، فساد الاعتقاد لدى البعض؛ بأن شبه الجزيرة العربية، وما جاورها من بلاد الشرق؛كانت مصدر هذه السلع ، بينما الغرب كان مُستوردًا لها [6].

ج- الطيوب والعطور ومواد صناعتها:-

تكررت في التوراة- كثيرًا-العبارات التي تدل على أن الطيوب،والعطور من السلع الرئيسة التي كانت تصل أسواق العبرانيين؛ وبكميات كبيرة؛ على نحو(أطياب كثيرة ،أفخر الأطياب ،وغيرها)[7]،ولمّا كانت الطيوب، والعطور، وأغلب المواد التي يُصنعان منها؛ من أهم منتجات شبه الجزيرة العربية -لاسيما- في جنوبها فلاريب أنها كانت ضمن السلع التي تاجر بها العرب في أسواق سورية آنذاك ؛ ففي بلاد العرب

---

[1]- أحمد حسين شرف الدين : **مسالك القوافل في شمال الجزيرة العربية وجنوبها ،دراسات تاريخ الجزيرة العربية**(الكتاب الثاني)، جامعة الملك سعود ،الطبعة الأولى،الرياض 1984م ،ص251.

[2]- نورة عبد الله العلي:الوضع الاقتصادي...، ص243.

[3]- حسن صالح شهاب :أضواء...، ص153.

[4]- فيليب حتى:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ،الجزء الأول، ص182.

[5]- فكتور سحاب:الإيلاف ، ص241، وكذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...، ص242.

[6]- فكتور سحاب:المرجع ذاته ، ص239.

[7]- التوراة:سفر الخروج،الأصحاح الثلاثون،الاية23.سفر العدد،الأصحاح الرابع،الاية16/سفر الملوك الأول، الأصحاح العاشر،الأيتان 2,10.سفر الأيام الثاني،الأصحاح التاسع،الأيتان1,9.سفر حزقيال،الأصحاح السابع والعشرون،الأية 22.

كانت تنبت أشجار؛ يُستخلص منها المواد التي تدخل في صناعة الطيوب والعطور كما كانت تصل إليها - مثل هذه المواد- من الهند، وأفريقيا[1]- كما سيأتي لاحقًا. وقبل بداية استعراض هذه المواد، والسلع؛ لابد من الإشارة إلى أن بعضها استخدِم- أيضًا- في الأغراض الطبية- كعلاج- أو لتحضير الأدوية ، وهي كالتالي:-

- قصب الذريرة :

يسمى (قصب الطيب)،جاء في المسند (قليمتن) (القليمة) وباللاتينية(Calamus)[2] تاجر به العرب الجنوبيون مع سورية،جاء ذكره بالتوراة ضمن المواد التي يُصنع منها الدُهن المقدّس[3]،وذكره من الكلاسيكيين المؤرخ (ثيوفراستوس)، والمؤرخ (بليني) وإلى جانب أنه ينبت في شبه الجزيرة العربية يصل إليها أيضًا من الهند[4].

وما يؤكد متاجرة العرب الجنوبيين بهذه المادة العطرية؛هو ذكرها في نقش التاجر المعيني (زيد إل بن زيد)،الذي نُحت على تابوته الخشبي في حوالي (263) ق.م؛ وعُثر عليه-التابوت- في (سقارة)، يُعرف هذا النقش بـ(RES3427)؛إذ كُتبت في هذا النقش كلمة قليمتن (القليمة) موزّعة بين السطرين؛الأول، والثاني باعتبارها ضمن المواد التي جلبها هذا التاجر للمعبد؛ وفاءًا للدين الذي عليه[5].

- الزُباد(Civet) :

تاجر العرب بمادة الزبد التي يتم الحصول عليها من حيوان السّنور المعروف باسم (قط الزّباد) (Civet cat)، يشبه القط؛ غير أنه متوحش ويعيش في جزيرة سقطرى، والحبشة . يمكن الحصول على الزّباد من نفس الحيوان أكثر من مرة[6] ويُباع

1- جواد علي: المفصّل...،الجزء السابع، ص237.

2- جواد علي: المرجع ذاته، ص239 وص263، و الهامش ص263.

3- التوراة: سفر الخروج، الأصحاح ثلاثون،الآية23.

4- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع ،ص239، وكذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...،ص239.

5- جواد علي :المرجع ذاته، ص263. كذلك محمد عبد القادر بافقيه(وآخرون): مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1985م ،ص 293.

6- حسن صالح شهاب : أضواء...،ص47.

هذا الطيب بأسعار غالية؛ كونه يدخل في صناعة العطور الفاخرة، ويُعد من أفضل الطيوب التي تاجر بها العرب الجنوبيون.

- العنبر :

من أشهر أنواع الطيوب ، لكن هناك اختلاف حول مصدر هذه المادة العطرية[1] ومع ذلك فالاتفاق قائم على أنها تُلتقط، وتُجمع من على السواحل. أجود أنواع العنبر ما يعرف بالعنبر الشحري؛ فالساحل الجنوبي لبلاد العرب من أهم السواحل التي تنتج هذه المادة ،والدول التي تسيطر على هذا الساحل كانت تكلف بعض الناس من ذوي الخبرة؛ بالتقاط العنبر، وجمعه مقابل جزء مما يجمعوه؛ يُدفع لهم شهريًا ؛ وبالتالي .شكل العنبر موردًا مهمًا لهذه الدول، إلى جانب ضرائبه[2]، وكان ضمن السلع التي اشتهرت بتجارتها بلاد العرب، بالإضافة إلى استخدامه في صناعة الطيوب والعطور يُستخدم - أيضًا- في الأغراض الطبية - على سبيل المثال لتقوية عمل القلب[3]-.

- اللاذن:

يدخل في صناعة العطور، وجد اسم هذا الطيب منقوش على واجهات بعض المجامر المكعبة الشكل؛ باعتباره أحد أنواع الطيوب التي حُرقت في تلك المجامر في جنوب بلادالعرب[4]،يتم الحصول عليه من نبات يسمى (قلسوس)، ذكره هيرودوت ضمن النباتات التي تنمو في شبه الجزيرة العربية في الكتاب الثالث ، فقرة (107) ؛إذ أشار إلى أنه من المحاصيل النباتية التي يحتاج جمعها جهدًا كبيرًا[5]، كما ذكره بليني؛فأشار إلى نموه في بلاد الأنباط [6].

1- جواد علي :المفصل ....،الجزء السابع، ص238.

2- حسن صالح شهاب : أضواء ....،ص145.

3- أسمهان سعيد الجرو:(الحياة التجارية ...) في كتاب دراسات في تاريخ الحضاري لليمن القديم، ص58.

4- Muller:((Notes on the use of Frankincense...)),Op- Cit,p126. And A.Bataya ,Les autls à encens au Yémen Antique,(mémoire de DEA) École des Hautes Études en Sciences Sociales Paris 1983,Catologue Nو3,4.

5- حميد مطيع العواضي وعبد اللطيف الأدهم (جمع وترجمة)بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية(دراسة مختارات) وزارة الثقافة والسياحة (سلسلة كتاب الثقافة)،الطبعة الأولى ، صنعاء 2001م، ص104،كذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي،... ص237.

6- نورة عبد الله العلي [illegible]

- الضرو والكَمكَام:-

نبات طبيعي ينمو في شبة الجزيرة العربية،ويفرز مادة صمغية،يُعد أحد أنواع الطيب[1]، غير أن هناك اختلاف بين العلماء، والمؤرخين المسلمين حول هذا الاسم - ضرو- الذي يراه البعض، اسم الشجرة بينما؛ صمغها يدعى(الكمكام)، والسبب في هذا الاختلاف؛ هو استخدام الشجرة، و صمغها كبخور وطيب[2]. نُقِش الضرو والكَمكَام -أيضًا- على واجهات بعض المجامر؛ باعتبارهما من أنواع الطيوب، والبخور في جنوب بلاد العرب [3].

في جانب الطيوب والعطور؛بقي الإشارة إلى نوع من أنواع العطور؛ ورد ذكره لدى المؤرخ الكلاسيكي استرابو(63ق.م_24م)؛ وهو عطرَ (Larimum) باعتباره من أعظم مواد التجارة لدى السبئيين[4]. كما أن افضل أنواع العطور واشهرها عُرف في فترة ما قبل الإسلام. ، هو العطر المسمى (غالية)، وهو خليط من العنبر،والمسك ودُهن شجر البان[5]، يُصنع هذا العطر في(عدن)،وهي المدينة التي اشتهرت بصناعة وتسويق أفضل أنواع الطيوب، والعطور[6].

د- المحاصيل الطبيّة :-

- البلسم Balsam :

نبات ينمو في مواضع متعددة من شبه الجزيرة العربية ويُعرف بنوعيه : نوع ينمو في جنوب شبه الجزيرة العربية، والحجاز، وهو بلسم (البشام) (Basham (Balsam)- كما يسمى في جنوب بلاد العرب- وهو الذي يُطلق عليه في حضرموت(المر الحضرمي)، به نسبة من زيت، وطعمه مثل طعم الليمون ، يمضغ

---

1 – بيستون وآخرون:(المعجم السبئي) ؛ دار نشريات بيترز لوفان الجديدة ومكتبة لبنان (بيروت)، الطبعة الأولى 1982م ، ص42.

2 – فكتورسحاب :الإيلاف ص243. كذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...، ص237.

3 –.A.Bataya,Cat.No.3,4,5,et.100 Groom,Nigel:((Frankincense and Myrrh)),Op-Cit,p126 . And

4 – جواد علي: المفصل...،الجزء السابع، ص234، كذلك حسن صالح شهاب:أضواء...ص143.

5 – جواد علي : المرجع ذاته، ص240.كذلك حسن صالح شهاب : المرجع ذاته ، ص144.

6 – سعيد الأفغاني :أسواق العرب (في الجاهلية والإسلام)، المطبعة الهاشمية، دمشق 1937م ، ص233.

كاللبان [1]، والنوع الآخر؛ يُعرف باسم (البلسم المكي)، سيطر الأنباط على إنتاجه وتصنيعه، وتجارته[2]. يُستخدم البلسم في صناعة الأدوية ، وقد اشتهرت به اليمن وأصبح البلسم اسم مرادف لكل دواء؛ ربما بسبب فعاليته؛ كمادة طبية علاجية ، أو بسبب شدة انتشاره [3] . يدخل البلسم -أيضًا- في صناعة عطور،كما يُستاك بنوع البشام[4]. و يستخدم كبخور يُحرق في المباخر[5].

- دم الأخوين (العندم) :-

يُستخرج من شجرة تحمل نفس الاسم (دم الأخوين)،لا تنمو إلا في جزيرة سقطرى، وتُعد من غرائب الأشجار، يبلغ ارتفاع هذه الشجرة فيما بين ستة إلى تسعةأمتار، وشكلها يشبه المظلة،وتتواجد في أعالي جبال سقطرى،اشهرها جبال (حجهر)،يتم الحصول على مادة دم الأخوين من خلال شق الساق بالة حادة، فتسيل منه مادة لزجة؛ حمراء اللون تتجمد حتى تصير فصوصًا حمراء داكنة هشة[6]، ذكر صاحب كتاب الطواف هذه المادة بأنها من منتجات جزيرة سقطرى ،وتدعى هندي (Indian) ؛إذ تُجمع على هيئة قطرات (فصوص) تتحدر من الشجر[7] .

يُستخدم دم الأخوين طبيًا على نطاق واسع لمعالجة الجروح، وتطهير الجلد ولوقف الدم ، كما أنه مُعقم للثة والأسنان ، وهو أيضًا من أنواع الأصباغ؛ إذ يُلون به الأواني الفخارية[8]، وكان يصدر إلى ميناء قنا؛ ليعاد تصديره، والمتاجرة به خارج شبه الجزيرة العربية مع المواد العطرية الأخرى[9].

1- Groom,Nigel:(Frankincense and Myrrh) P126 .

2- نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي ....ص238، وكذلك Ibid,p126.

3- فكتور سحاب: الإيلاف، ص245.

4- جواد علي: المفصل ....، الجزء السابع، ص96.

5- A.Bataya , Op-Cit,p64.

6- حسن صالح شهاب :أضواء ....ص164.

7- The Periplus:sec30, P34 .

8- حسن صالح شهاب :أضواء....ص164.

9- نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي....ص238.

هـ- العسل :-

العسل نّتاج النحل، جاء في النقوش باسم (د ب س م)(الدبس)،كما يُوضّح المعجم السبئي[1]،و (د ب س م) العسل في النقوش ورد -على سبيل المثال- في النقش الموسوم بـ(CIH548) ضمن المواد التي تُدفع؛ كغرامة لمن يُخالف نص قانوني؛ لا يسمح بمجاورة المعبد، أو دخوله بالسلاح-لاسيما- إذا كان ملطّخ بالدماء، على اعتبار أن الدم نجاسة؛ فكان ذكر العسل (دبسم)؛ موزّعًا فيما بين السطرين الثاني عشر والثالث عشر من النقش[2]، كما ورد العسل في نقش أخر موسوم بـ(إرياني70) وجِد في مأرب ، ويُذكر فيه؛ أن أصحاب النقش تقرّبوا للإله المقه؛ بصنم ذهبي (أو مطلي بالذهب)؛ لأنه منّ عليهم بغلات وافرة ، وكان العسل ضمن هذه الغلات[3].

يذكر استربو إنتاج العسل، والشمع؛ بأنة من المميزات الخاصة التي اشتهرت بها مناطق جنوب بلاد العرب ، بينما بليني؛ جعل العسل أحد أسباب غِنى السبئيين[4].

للعسل فوائد واسعة، ومعروفة لِما فيه من عناصر غذائية، ودوائية كثيرة -لاداعي لذكرها في هذه الدراسة- غير أن القران قد أشار لأماكن تواجد النحل ومأتأكله، وفوائد ما تُخرجه من بطونها-إي العسل- إذ قال الله تعالى في كتابة العزيز

((وأوحى ربُّك إلى النّحلِ أن اتخذي من الجبالِ بيوتًا ومن الشّجرِ ومما يعرِشُون* ثم كُلي من كُلِّ الثّمراتِ فاسلكي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ من بُطُونِها شرابٌ مُختلِفٌ ألوانُهُ فيه شِفاءٌ للنّاسِ إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرُون*))[5].

أهم مركز إنتاج العسل قديمًا؛ كان في بعض الأودية الخصبة جنوب بلاد العرب ففي كهوف بعض المرتفعات المطلة على أودية؛ تمّ الكشف عن بقايا مناحل بُنيت هناك

1- (المعجم السبئي): ص35.

2- محمد عبد القادر بافقيه (و آخرون):مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص155.

3- مطهرعلي الإرياني :نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثانية 1990م ص281.

4- جواد علي:المفصل....،الجزء السابع،ص235.كذلك Groom,Nigeli (Frankincense and Myrrh) Op-Cit, P81-82.

5- القران الكريم: سورة النحل، الأيتان 69,68.

ومن أمثلة هذه الكهوف ماعُثر عليه في (وادي دهر)- بين مدينة شبوة ووادي حضرموت- ويثوف في وادي (جردان)- يوجد اليوم نوع ممتاز من العسل يسمى باسمه (عسل جرداني)- وادي (دوعن)، ووادي (عمد) من الروافد الجنوبية لوادي حضرموت[1]، ويذكر المؤرخون العرب، والمسلمون أن العسل كان يُنتج في الطائف بكثرة في العهد السابق للإسلام كما كان لبني سليم- في الجاهلية- نحل عظيم؛ الأمر الذي جعل جبالهم تشتهر بتصدير العسل حتى بعض ظهور الإسلام[2].

بقيت اليمن على شهرتها بإنتاج أفضل أنواع العسل حتى اليوم، ويوجد له أسواق لدى الدول المجاورة بفضل جودته، وفائدته.

و- الملح:-

تاجر العرب بالملح منذ القدم؛ حيث تواجد في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية؛ لاسيما في جنوبها وشرقها، وهي ذاتها مناطق إنتاجه، وصناعته- وقد تمّ الحديث عن هذه المناطق سابقًا[3]-.

والملح بنوعيه الصخري، والبحري شكل سلعة تجارية نقلته قوافل التجارة إلى مختلف الأسواق؛إذ يُعتقد أن طُرق التجارة البرية- السابقة الذكر- في جنوب بلاد العرب؛ كانت في أول ظهورها؛ طُرقاً لنقل الملح [4]، وما يعطي انطباعًا على أهمية هذه المادة تجاريًا، ومدى كثرة استخراجها، وصناعتها ، هو ذكر النقوش لجماعة تخصصت بكيل الملح، وتعبئته، وتهيئته للمتاجرة به ، عُرفت هذه الجماعة في لغة المسند- باسم (زلا) أو (سلا)،كما جاء في نقش (GL 1571)[5].

لم يرد ذكر الملح لدى الكتاب الكلاسيكيين (اليونانيون والرومانيون) ضمن السلع التي تصدّرها شبه الجزيرة العربية ، وربّما كان السبب؛ أنهم لم يروها سلعة مهمة

---

[1]- أسمهان سعيد الجرو:(الحياة التجارية...) في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، ص33.

[2]- برهان الدين دلّو:جزيرة العرب...، الجزء الأول، ص110-111.

[3]- يُنظر فقرة(الحرف والتعدين) في الفصل الأول من هذه الدراسة(الأوضاع الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية).

[4]- نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...،ص241-242.

[5]- جواد علي: المفصّل...،الجزء السابع ، ص323 [illegible]

أومقدسة(دينيه)، أو سلعة دوائية، وما إلى ذلك ، غيرأن الملح ورد ضمن قوائم السلع التي فُرضت عليها الضرائب في مدينة تدمر[1].

2- السّلع الأجنبية:-

هي تلك السّلع التي كانت ترد إلى موانئ شبه الجزيرة العربية من شرق أفريقيا، وكذا سواحل الهند، وسيلان، ومن البلاد التي تقع خلفهما؛ كأندونيسيا، والصين والتي تعامل معها التُجّار العرب، وهي سلع؛ إما للاستهلاك المحلي،أو لأعادة تصديرها- وهو الأهم- إلى سورية، وغيرها خلال الألف الأول قبل الميلاد.

احتلّت هذه السلع، والمواد؛ مكانة مهمة في تجارة العرب مع سورية- آنذاك- حيث تنقلها قوافل التجارة إلى هذه المنطقة؛ وهناك- أيضًا- يتم الاستفادة من بعضها محليًا، والبعض الآخر يُعاد تصديره إلى السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط. تتميّز هذه السلع بشدّة الطلب عليها من قبل الشعوب التي تقطن هذه المناطق ورغبتهم الدائمة لاقتنائها؛ بسبب حاجتهم المستمرة لها ، ويمكن استعراض أهم هذه السلع على النحو التالي:-

أ- التوابل :-

كان للتوابل أهمية خاصة - ربما لاتقل عن أهمية اللُبان، والمُر- في حياة سكان مناطق البحر الأبيض المتوسط الشمالية ، وذلك لاستخدامها- بكثرةٍ- في تتبيل وتزيين طعامهم؛ حتى أصبحت من الضروريات التي لاغنى عنها ، كما أن أطباءهم ابتكروا عقاقير طبيةً؛ تعتمد على بعض التوابل كأساس لصناعتها،و فعّاليتها ، وهذا الأمر جعل الطلب عليها يتزايد هناك ؛ مما ساعد التُجّار العرب السوريون على أن يؤدوا دورًا فاعلاً في جلبها من مواطنها الشرقية؛ لإيصالها إلى العالم الغربي ، فكان ذلك سببًا في التعامل التجاري بين شبه الجزيرة العربية وسورية آنذاك، وأهم هذه التوابل هي :-

[1]- نورة عبد الله العلي:الوضع الاقتصادي...،ص242.

- الفلفل :-

من أشهر التوابل التي نقلها التجّار العرب ؛إذ كان الفلفل يرد إلى الموانئ العربية من بلاد المليبار على الساحل الغربي للهند[1]، ومن موزروي في جنوب غرب الهند، وكذلك باتيلا جنوب الهند، وقد عرفته الشعوب الغربية منذ القرن الربع قبل الميلاد[2].

الفلفل نوعان:أسود معروف،ومشهور، وأبيض نادر،وغالي الثمن؛ يُستخدَم الفلفل في تتبيل الطعام،ويدخل النوع الأبيض منه في صناعة بعض الأدوية .

- القِرفة (Cinnamo):-

أجمع الكتّاب الكلاسيكيون (اليونانيون والرومانيون)- فيما عدا بليني- بأن القرفة تنمو في شبه الجزيرة العربية، وهناك دراسات حديثه للنبات؛ أكدت عدم نموها في هذه المنطقة، وأن أصلها هندي ، وهناك نوع صيني[3]، يُستعمل؛ كنوع من التوابل ،ويدخل في صناعة الطيوب،كما يُستخدم؛ كدواء، ومن أهم أنواع القرفة مايعرف بالدارصيني (السّنا)(Cassia)، والذي أشهره (سنا مكة)، تنمو السّنا في سيلان [4]،وفي شبه جزيرة العرب، والصومال[5].

ناقش بليني في مؤلفه (التاريخ الطبيعي)-لاسيما الكتاب الثاني عشر باستفاضة - مايتعلق بالقرفة،فذكر- ضمن ماذكر عنها- أنها تنمو في أثيوبيا (Ethiopia) ويشتريها من هناك الصوماليون الذين ينقلونها بالمراكب عبر البحر إلى مرفأ الجبّانيتيين (القتبانيين)(Harbour of Gebbanitae) وهو ميناء (Ocilia)

1- حسّن صالح شهاب : أضواء ...، ص169.

2- نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي ...، ص266.

3- نورة عبد الله العلي: المرجع ذاته، ص246.

4- جواد علي :المفصل ...، الجزء السابع ص238.

5- دكتور سحاب:الإيلاف، ص244.

أوكيليا[1]، و يُذكر أنه كان لملك الجبانتيين وحده؛ حق بيع القرفة[2]، الأمر الذي لابد أنه سمح له بالتحكم بسعرها ؛لاسيما مع اشتداد الطلب عليها ، كما عدّد صاحب كتاب الطواف أنواع من القرفة؛ وجدت في زمانه في سوق مدينة- في شرق أفريقيا- وهذه الأنواع هي: جزير(Gizir)، أسيفا (Asypha)، إربو(Arebo)، ماجلا(Magla) موتو(Moto)[3].

- الزنجبيل :-

ذكر الكتاب الكلاسيكيون زراعته في شبه الجزيرة العربية ، لكن على ما يبدو أن الكمية الأكبر؛ كانت تصل إلى بلاد العرب من الخارج؛ كالهند، وشرق أفريقيا[4]؛ ليعاد تصديره إلى أسواق سورية، وذكر بليني أن من عيوبها سرعة التسوّس ؛ لذلك يُعتقد أن ماكان يصل منه إلى سورية، وحوض البحر الأبيض المتوسط طريًا ؛هو من منتجات شبه الجزيرة العربية، وما يصل إلى هذه المناطق في جرار فخارية؛ تحتوي أنواع مجففة من الزنجبيل، وقد كان التُجّار العرب يستوردونه من موطنه في الهند، وشرق أفريقيا[5].

- القرنفل :-

جلب العرب القرنفل من الهند، ومايليها من بلاد . يُستعمل في تطييب الطعام كما يُستخدم طبيًا، ويُدخل- كذلك - في صناعة بعض العقاقير العلاجية[6].

هناك مواد أُخرى تاجر بها العرب في إطار تجارة العبور مع سورية في الألف الأول قبل الميلاد؛ أهمها:

ب- المسك والعود:-

1- Groom,Nigel: (Frankincense and Myrrh) p84.

2- حسن صالح شهاب :أضواء...،ص139.

3- The Periplus: sec12,p26.

4- دكتور شهاب :الإيلاف، ص245 .كذلك نورةعبد الله العلي :الوضع الاقتصادي...، ص240.

5- نورةعبد الله العلي :المرجع ذاته، ص265.

6- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص219.

يُعد المسك من الطيوب الشهيرة التي عرفتها، واستعملتها شعوب العالم القديم ورد ذكره في القرآن الكريم[1] ، كما ورد في الحديث الشريف((أطيب الطيب المسك)) تاجر به العرب ؛إذ يرد إلى بلادهم من الهند، وبلاد التبت ، ومن فارس وسيلان يدخل في تركيب أفخر أنواع الطيوب، والعطور[2] ، كما تم استعماله طبيًا[3].

أما العود؛ فهو أخشاب يتم حرقها؛ لتنتج رائحة بخور. استخدم العود- كذلك- في صناعة العطور، والأدوية ؛ فهو معطّر للفم، كما يُستعمل كدهان مُعطر. يتم استيراده إلى شبه الجزيرة العربية من الهند، وشرق آسيا[4].

ج- العاج:-

شكل العاج سلعة تجارية مهمة للتجار العرب الذين استوردوه من شرق أفريقيا - لاسيما- من مينائي رهابتا (Rhapta)، وأودليس(Adulis)[5]. كما كانوا يتحصلون عليها من الهند ؛ليُستهلك جزء منه محليًا في شبه الجزيرة العربية؛ بينما يُعاد تصدير الجزء الآخر وبالذات إلى سورية آنذاك[6]؛ وبالتالي كانت بلاد العرب هي الممر التجاري التي تمر عبره هذه السلعة من مواطنها في الهند، وأفريقيا إلى سورية.

مجالات استخدام العاج-آنذاك- كانت واسعة، ومتعددة ؛إذ يُصنع منه أدوات الزينة، والأمشاط، وعُلب المجوهرات، والأبواق، كما يدخل في صناعة بعض الأثاث والعروش[7].

العاج ضمن السلع التي تاجر بها الآراميون[1]، ولابد أنهم كانوا يحصلون عليه عن طريق تُجّار شبه الجزيرة العربية ، وما يؤكد وصول العاج بكميات تجارية كبيرة

1- القرآن الكريم:-سورة المطففين ،الآية 26.

2- فكتور السحاب : الإيلاف ، ص233. كذلك حسن صالح شهاب : أضواء ... ، ص170.

3- جواد علي :المفصل...،الجزء السابع، ص238.

4- فكتور سحاب :الإيلاف ،ص243. كذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي ...،ص265.

5- The Periplus: sec16-17,P28-29.

6- نورة عبد الله العلي:الوضع الاقتصادي ...، ص264.

7- للمزيد يُنظرجورج كونتنو:الحضارة الفينيقية، ترجمة د.محمد عبد الهادي شعيرة، ومراجعة د.طه حسين الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997م، ص271-279.

إلى سورية؛ هو ما ذكرته بعض النصوص الآشورية التي تعود لبعض الملوك الآشوريين الذين كانت لهم سيطرة على مناطق الآراميين، والفينيقيين في عهد السيادة الآشورية؛ فهناك نص للملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني) (884-859) ق.م - أحد ملوك الإمبراطورية الآشورية الأولى- يذكر فيه أنه استلم العاج وأثاث مصنوعة منه (موائد وأسرّه) ضمن الجزية التي أخذها من مملكة بيت عديني الآرامية[2]. وفي نص آشوري آخر يعود للملك أدد- نيراري الثالث (809-782) ق.م- ابن الملكة (سميراميس)(شمورامات)- ألزم ابن حدد الثالث ملك مملكة دمشق الآرامية بدفع جزية؛ كان ضمن موادها أثاث، واسرّة من العاج، أو محلاة بالعاج[3].

د- الحرير:

هو محصول دودة القز؛ الذي اشتهرت به الصين منذُ وقت مبكّر، وأصبح أهم سلع الطريق الدولي العظيم؛ الذي يربط المناطق- برّا- من الصين إلى مصر وهو الطريق الذي عُرف- فيما بعد- بطريق الحرير- مثلما أُطلق على الطريق الممتد من جنوب بلاد العرب إلى سورية اسم (طريق البخور) نسبةً لتجارة البخور- غير أن الحرير؛ هذا المنتج الذي شغف به العالم القديم –لاسيما- سورية ومناطق شمال البحر الأبيض المتوسط؛ كان يصل إلى هذه المناطق آنذاك -أيضاً- عبر الطُرق البرية لشبه الجزيرة العربية؛ التي تبدأ من موانئ بلاد العرب الجنوبية، والشرقية[4]. إذ يتحصل عليه التجار العرب عن طريق الهند، وسيلان[5]، فيصل الحرير إلى موانئ جرها، وقنا، وعدن؛ ليعاد تصديره باتجاه سورية.

1- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص182.

2- جماع للبلو : تاريخ الحضارة ....، ص266.

3- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص274.

4- فوزية عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي ....، ص265.

5- نيكولو سكالي: الإيلاف، ص238.

ومن الحرير يتم صناعة أفخر المنسوجات، وأجمل أنواع الملابس التي كان يرتديها الملوك، وكبار رجال الدين، وكبار التُجّار[1] ، فضلاً عن نسائهم فكان من الطبيعي أن يكون الحرير غالي الثمن -لاسيما- عند اشتداد الطلب عليه .

هـ - الأرز:-

يصل الأرز إلى موانئ بلاد العرب قادمًا من سواحل الهند؛ ليعاد تصديره مع السلع الأخرى إلى سورية، وعالم البحر الأبيض المتوسط ؛ والتي يبدو أنه كان مطلوبًا هناك[2].

ثانيًا : صادرات سورية إلى شبه الجزيرة العربية:-

كانت المراكز التي التجارية في سورية في الألف الأول قبل الميلاد-هي الأخرى- مصدرًا لعداد من السلع؛ التي تتجه نحو شبه الجزيرة العربية، وهي التي حملتها قوافل التجارة؛ لترويجها، وبيعها في أسواق بلاد العرب آنذاك ، وهذه السلع في أغلبها من المنتجات المحلية التي اشتهرت بها سورية؛ وكان لها صداها في العالم القديم -لاسيما- المنتجات التي تُصنع أو يُعاد تصنيعها؛ من خلال استغلال حاصلات البلاد الطبيعية والزراعية، أو استغلال ما يأتيها- من الخارج- من مواد خام يعملون على تصنيعها، وتجهيزها محليًا .

على الرغم من إن معظم هذه السلع لم تكن حكرًا على سورية- كما هو حال اللبان الجيد الذي كان حكرًا على جنوب بلاد العرب، أو التوابل القادمة من الهند وأفريقيا، أو دم الأخوين سقطرى - غير أنها- على ما يبدو- كانت من الجودة والإتقان؛ بحيث يكون الطلب متزايد على ما تنتجه سورية- بالذات- من هذه السلع فربما كانت بلاد العرب

1- جواد علي : المفصل...، الجزء السابع، ص281.

2- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص309. كذلك توزة عبد الله الكلي: الوضع الاقتصادي...، ص264.

تنتج معظم السلع التي تأتيها من سورية؛ لكن لتميّز المنتجات السورية- آنذاك- كانت تجد لها طلب في أسواق بلاد العرب .

أهم السلع الصادرة من سورية إلى شبه الجزيرة العربية هي كالتالي :-

أ- زيت الزيتون :-

يُستخرج هذا الزيت من محصول شجرة تحمل نفس الاسم (شجرة الزيتون) وهي من الأشجار المثمرة المقاومة للجفاف؛ التي لا تتطلب عناية كبيرة ،غير أن إنتاجها وفير، زُرعت في سورية بشكل واسع. يُستخدم محصول الزيتون لأغراض عدّة، فهو مصدر للغذاء، وزيته يدخل ضمن مواد إعداد الطعام (كالزبدة) ، كما يُستعمل لإنارة المصابيح، ويستفاد منه طبيًا، وفي صناعة بعض الروائح[1]، وقد استخدمه العبرانيون -كذلك- ضمن المواد التي صنعوا منها الدُهن المقدّس[2].

كان للزيتون أهمية واسعة، فشكل مادة للتجارة مع المناطق المجاورة والبعيدة؛ ومنها شبه الجزيرة العربية - على الرغم من أن بعض الكتاب الكلاسيكيين قد ذكروا زراعته هناك مثل(استرابو و بليني)؛ اللذان ذكرا زراعته في بلاد الأنباط وجزيرة البحرين-[3].

اشتهرت المناطق الفينيقية بإنتاج زيت الزيتون،فمن خلال العدد الكبيرمن الأحجار المثقوبة التي وجدت في مواقع متعددة من المدن الفينيقية؛ يتبيّن كيف أنهم كانوا يعصرون الزيتون والعنب[4]، وبالتالي يُستخلص هذا الزيت، ويُعد للاستعمال والمتاجرة، ويذكر أن الزيت كان على رأس السلع التي يشتريها أهل الحجاز من بلاد الشام قبيل الإسلام لنقائه وجودته[5].

---

[1]- فيليب حتّي:تاريخ سورية لبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص53.

[2]- التوراة: سفر الخروج، الأصحاح الثلاثون، الآية 24.

[3]- نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي ....، ص140.

[4]- [illegible]:تاريخ الحضارة..، ص245.

[5]- جواد علي:المفصل... الجزء السابع، ص293. كذلك الدكتور سحاب :الإيلاف..، ص235.

ب- الأقمشة والمنسوجات الأرجوانية والمطرزات:-

كان للمدن الفينيقية شهرة فائقة في إنتاج الصبغة الأرجوانية- كما سبق ذكره عند الحديث عن اقتصاد الفينيقيين- وهي الصبغة الأغلى، والأكثر شهرة ، ومع توفر المنسوجات التي كانت نتاج صناعة الغزل، والنسيج؛ وهي صناعة قديمة في سورية - ربما تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد- تمكن السوريون من إنتاج لفخر أنواع الأقمشة،والمنسوجات؛ولعلىأهمها، وأقدمها المنسوجات الصوفية؛ كالصوف الكنعاني الذي يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وكذا المنسوجات القطنية -لاسيما- بعد أن أدخل الآشوريون زراعة القطن في القرن السابع قبل الميلاد إلى البلاد الآشورية- العراق وسورية-[1]، بالإضافة إلى المنسوجات الكتانية- إذ ظهر زراعة الكتّان هناك؛ منذ القرن العاشر قبل الميلاد[2]، وقد ورد ذكره في التوراة[3]- أما الحرير فيبدو أن منسوجاته قد أحيكت منذ القرن السادس قبل الميلاد؛ وذلك بعد معرفتهم به[4] غير أن البعض يرى بأن سورية أنتجت الحرير من خلال دود الحرير البري، ولن الحرير الصيني الحقيقي تمّ استيراده بعد عام115 ق.م[5] ، غير أن ذلك يظل رأيًا لا تأكده الأدلة؛ على اعتبار أن المنسوجات الحريرية- هناك- ظهرت قبل هذا التاريخ.

يصل خام الحرير إلى سورية من الصين، والهند؛ إما عبر الطريق الدولي العظيم من الصين،أو عن طريق موانئ شبه الجزيرة العربية، وطرقها البرية-وهو الأقصر،والأسهل- وقد اشتهرت دمشق بالمنسوجات الحر يريه الفاخرة؛ التي تاجر بها تُجّار الأنباط[6].

هكذا؛ في ظل صناعة الغزل، والنسيج السورية ، ومع توفر الصبغة الأرجوانية الحمراء، تمّ إنتاج المنسوجات، والأقمشة الأرجوانية آنذاك، والتي أصبحت من السلع

---

[1]- طه باقر: مقدمة ....، الجزء الثاني،ص246-247.كذلك فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الأول، ص99.

[2]- فيليب حتّي:ذاته.

[3]- التوراة: سفر حزقيال،الأصحاح السادس عشر،الآيتان10و13.

[4]- طه باقر:مقدمة....،الجزء الثاني، ص247.

[5]- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول ، ص303.

[6]- فيليب حتّي: المرجع ذاته، الجزء الأول،ص425.

المهمة التي تاجر بها السوريون مع العالم القديم[1]، وكان ثمنها مرتفع ، فلا يقتنيها إلا الملوك، وكبار التجار، ورجال الدين[2]، ويبدو أن التجارة بها استمرت إلى زمن تجارة الإيلاف ؛إذ كان التُجّار العرب يحملون المنسوجات القطنية، والصوفية من الشام[3]، أما المطرزات؛ فقد اشتهرت بها النساء الفينيقيات؛لاسيما نساء صيدا؛ اللاتي أنتجن أفخر أنواع المطرزات؛ والتي ذاع صيتها في الشرق، والغرب ، والثياب المطرّزة التي استعملها الملوك، وكبار رجال ممالكهم؛ كانت أحيانًا تحتوي على كمية كبيرة من التطريز؛ حتى تصبح قريبة من كونها دروع حقيقية؛ كتلك التي يلبسها المحاربون في ميدان المعركة[4]، وفي كتاب الطواف حول البحر الإرتيري يذكر صاحبه أن ميناء موزا(المدينة السوق)؛ كان يستقبل ضمن السلع التجارية التي ترد إليه ؛ الأقمشة الأرجوانية الناعمة، والخشنة، والثياب العادية، والمطرزة[5].

ج- الزجاج والمصنوعات الزجاجية :-

توفرت في رمال سواحل سورية المادة الخام التي مكنت سكان هذه المناطق من إتقان صناعة الزجاج، والإبداع فيه، وعلى الرغم من أن بليني اعتقد بأن الفينيقيين هم من لخترعوا الزجاج، وأول من صنعوه ؛ إلا أن الإجماع -الان- على أن شرف هذه البداية، والاختراع؛ إنما يعود لمصر في تاريخها القديم[6]، ومع ذلك هناك إجماع آخر حول إبداع الفينيقيين في صناعة الزجاج، والمصنوعات الزجاجية وربما أهم إبداعاتهم في هذا المجال؛ هو صنعهم للزجاج الشفاف الذي لم يكن معروف في أي منطقة أخرى

1- فيصل عبد الله ،عيد مرعي: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص135.

2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول ، ص102.

3- فكتور سحاب :الإيلاف، ص233، وص235.

4- جورج كونتو: الحضارة الفينيقية، ص364.

5- The Periplus: Sec.24,P.31.

6- جورج كونتو: الحضارة الفينيقية، ص268. كذلك طه باقر: مقدمة...، الجزء الثاني ،ص246.كذلك [illegible] مدنية وادي [illegible] ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص99. [illegible]

غير الساحل الفينيقي ؛ والذي انفرد في صناعة هذا النوع من الزجاج؛ بينما كانت المناطق الأخرى - آنذاك- تنتج زجاج من النوع المعتم غير الشفاف[1].

أهم المدن الفينيقية التي اشتهرت بإنتاج الزجاج، ومصنوعاته؛ هما: (صور وصيدا)؛واللتان ذاع صيتهما في هذا المجال - وغيره من المجالات- فكان زجاجهما ذات قيمة عالية، والطلب علية متزايد[2]؛ حتى أن الصنّاع في هتين المدينتين؛ أصبحوا يضعون إمضاءاتهم على مصنوعاتهم الزجاجية،مثل الصانع (أرتاس)، والصانع (حازون)؛ وكلاهما من صيدا[3].

كانت صناعة الزجاج هناك- في بادئ الأمر- تقوم على أساس الصب؛فأنتجوا الأواني من الزجاج المصبوب؛ التي -عادةً- تكون سميكة ، غير أنه في عهود متاخرة تعلّم الصنّاع فن صناعة الزجاج بطريقة النفخ؛ فتمكنوا من إنتاج أواني وزهريات من الزجاج الرقيق؛ والتي أتحفوا بها العالم القديم[4].

أهم المقتنيات، والمصنوعات الزجاجية التي أنتجتها هذه المنطقة هي : الكؤوس والزهريات ، والأكواب الرقيقة، والقنينات؛ التي تستعمل لحفظ السوائل،و قد استفادوا من بعض أكاسيد المعادن؛ لتلوين منتجاتهم الزجاجية، كما ألصقوا ببعضها كالأكواب - مثلا- حُبيبات من عجين الزجاج على شكل أسماك، ومحار، وأعشاب اشتهرت بها مناطقهم ، ويضاف إلى هذه المنتجات الزجاجية ؛ منتج زجاجي آخر صنعوه من خام الزجاج؛ وهو ما يعرف بـ(لؤلؤ الزجاج)؛وهو منتج شبيه باللؤلؤ الطبيعي؛إلا أنه مصنوع من مادة الزجاج ، ويكون إما شفافا ملونا، أو يكون قاتمًا؛ وقد استفاد منه صنّاع الحُلي في صُنع القلائد ، أو في ترصيع الحلي المصنوعة من الذهب[5]. أما فيما يتعلق بالفخار؛ يجدر الإشارة إلى أنه وجدت بعض المصنوعات الفخارية السورية،في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية؛ لكنها ليست بكميات تجارية.

1- جورج كونتنو:الحضارة الفينيقية، ص268 . كذلك جماع فابلو:تاريخ الحضارة،... ص245-246.

2- فيليب حتي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الأول،ص304.

3- جورج كونتنو:الحضارة الفينيقية ، ص269.

4- فيليب حتي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الأول، ص304.

5- للمزيد حول منتجات الزجاج يُنظر جورج كونتنو:الحضارة الفينيقية، ص268-271.

مع قدَم الصناعات الزجاجية في سورية، استمر تصدير منتجاتها إلى بلاد العرب حتى قبيل الإسلام؛ فتُجّار الإيلاف كانوا يجلبون- بكثرة- المقتنيات الزجاجية من بلاد الشام إلى شبه الجزيرة العربية؛ في ظل حاجة المنطقة لهذه المنتجات[1].

د- الخمور:-

توفّرت في سورية المواد التي ساعدت على إنتاج أجود أنواع الخمور في هذا العهد، والتي اشتهرت بها الكثير من مناطقها ؛ كمدن الساحل الفينيقي؛ وربما أهمها مدينة أرواد، فالفرعون المصري تحتمس الثالث (1490-1436) ق.م- الذي استولى في حملته الخامسة في آسيا على هذا المدينة- ذكر في البيان الحربي الرسمي الذي أعلن فيه سقوط أرواد أهم ما تنتجه هذه المدينة من الخمر؛ حين قال (خمرهم كانت في معاصرهم؛ كالمياه الجارية) وفي عبارة أخر(أن جيش جلالته؛ كان يسكر ويمسح بالزيت كل يوم)[2]، كما كانت صيدا أيضًا تنتج أنواع جيدة من الخمور[3]، وتُعد غزة من المدن الفلسطينية؛ التي اشتهرت بهذا المنتج[4]، وقد استمرت المدن السورية هذه على شهرتها الفائقة بإنتاج الخمور في العهد السلوقي؛ لتبرز أيضًا مدن أخرى تفوقت على غيرها بهذه الصناعة؛ كأنطاكيا، وجبيل، وطرابلس، وبيروت، وحوران وصور، وغزة، وعسقلان، وأفاميا[5].

على الرغم من أن شبه الجزيرة العربية؛ كانت هي الأخرى تنتج الخمور بمختلف أنواعه؛ وفي مناطق متعددة ؛ أهمها مدن الأنباط وجنوب بلاد العرب؛إلاّ أن استيرادها للخمور من سورية- ربما- كان بسبب جودته؛ وشهرته ،وأيضًا لارتباطه بتجارة العبور[6].

1- الدكتور سحاب:الإيلاف، ص234.

2- فيليب حتى :تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول ، ص141.

3- جورج كونتنو:الحضارة الفينيقية، ص364.

4- الدكتور سحاب:الإيلاف،ص232.

5- فيليب حتي:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ،الجزء الأول ، ص327.

6- [illegible] :الوضع الاقتصادي [illegible] ص243.

هـ- الطحين:-

استورد العرب الطحين من سورية[1]؛إذ كانت الحبوب تُطحن بطواحين بدائية يدوية مصنوعة من الحجر[2]، وهي ؛إما عجلة ثقيلة من الحجر تدور حول حجرة أخرى،وإما حجرتان تنطبق إحداهما على الأخرى، وهناك نوع أخر من الطواحين البدائية؛ التي استعمل فيها السوريون حجرةً مستوية؛ توضع عليها الحبوب ، ويتم دقها بحجرة من نفس النوع؛ إلا إنها أصغر حجمًا[3].

و- الرقيق:-

صدّرت سورية في الألف الأول قبل الميلاد السّلعة البشرية هذه إلى شبه الجزيرة العربية[4]؛ ففي التوراة إشارة إلى تعامل العرب مع هذه البضاعة في أسواق سورية[5] - غالبًا تتكون من الرجال، والنساء- والرقيق في بلاد العرب؛ يُستخدَمون في كثير من الأعمال المرتبطة بالزراعة، والرعي ، والصناعة، والتجارة، والخدمة في البيوت وفي الحرب - أيضًا- مع أنهم لا يملكون حق الاحتفاظ بما يحققونه من مكاسب من وراء هذه الأعمال؛ ولهذا كانت تجارة الرقيق التي نشط فيها التّجار العرب، والسوريون من التجارات الناجحة التي درّت عليهم ربحًا وفيرًا[6].

و أخر ما يمكن الحديث عنه فيما يتعلق بالسلع الصادرة من سورية إلى شبه الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد؛هو ما ذكره هيرودوت(484-425)ق.م في مؤلفه المعروف باسم (الاستطلاع)-لاسيما-في الكتاب الثالث،الفقرة(107)،عندما تحدث عن صعوبة الحصول على البخور، والمر، وغيرهما من المحاصيل الزراعية

1- فكتور سحاب:الإيلاف ، ص233، وص235.

2- فيليب حتّى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص93.

3- جورج كونتنو:الحضارة الفينيقية، ص343.

4- جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع، ص454.كذلك فكتور سحّاب :الإيلاف، ص232.كذلك نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص244-245.

5- التوراة: سفر يوئيل،الأصحاح الثالث ،الأيتان7و8.

6- جواد علي: المفصل ،...،الجزء السابع، ص454، [illegible]

التي يتاجر بها عرب جنوب شبه الجزيرة العربية؛ وذلك بسبب وجود ثعابين صغيرة مجنحة؛ يتم التخلص منها عن طريق اللجوء لحرق الاصنطرك (Styrax)؛وهو نوع من الصمغ طيب الرائحة؛ يفرزه نبات يحمل نفس الاسم (الاصطرك)؛ وله اسم أخر هو اللبنى ، ينمو في جبال سورية، وتاجر به الفينيقيون[1].

1- حميد مطيع العواضي وعبد اللطيف الأدهم :بلاد اليمن في ...ص103-104. كذلك يُنظر هامش (5) فيص111 من المرجع ذاته.

المبحث الثاني: نقل السلع والتعامل التجاري بين شبه الجزيرة العربية وسورية

تُنقل السلع التجارية بين شبه الجزيرة العربية، وسورية بواسطة الإبل؛ غير أنّ المسافة الطويلة التي تجتازها متنقلة بين المنطقتين، وكمية البضائع الكبيرة التي تنقلها دفع التُجّار إلى إرسال أعداد كبيرة من الإبل في الرحلة الواحدة؛ وفي سبيل الحفاظ على هذه البضائع، والأموال؛ تمّ الاعتماد على ما يُعرف بـ (نظام القوافل)، وكانت تلك القوافل ضخمةً؛ بحيث تحوي القافلة الواحدة عددًا كبيرًا من الإبل، والرجال؛ حتى أنّ أسترابو لاحظ بأنّ القافلة لا تختلف في حجمها عن الجيش؛ بعد أن رأى قافلة عائدة من (البتراء)- عاصمة الأنباط- إلى ميناء لويكي كومي، وذلك عندما كانت حملة (إليوس جالوس) قد وصلت إلى هذا الميناء[١].

أولاً: نظام القوافل :

هو نظام لنقل التجارات، نشأ بسبب توسع التجارة، وحاجة التُجّار للتأمين على حياتهم، وأموالهم، ولا يُعرف متى بدأ الاعتماد على هذا النظام بالتحديد؟ غير أنّه نظام عُرف في شبه الجزيرة العربية، وسورية في الألف الأول قبل الميلاد- زمن هذه الدراسة- ولابد أن استخدامه أحدث تقدمًا كبيرًا في مجال التبادل التجاري، والاتصال الحضاري العالمي، وزاد من أواصر الصلة، والعَلاقة بين مناطق شبه الجزيرة العربية من جهة، ومن جهة أخرى بينها، وبين أقطار الشرق الأدنى- آنذاك- وكان أحد العوامل التي أدت إلى رفع شأن العرب، وإلى شهرة قبائلهم، وممالكهم، وعزز من تواجدهم الحضاري بين الأمم[٢].

١- Strabo : The Geography, , BK١٦,Ch٤,sec ٢٣,P٣٥٧.

٢- رضا جواد الهاشمي:(تجارة القوافل...)،في كتاب تجارة القوافل ودورها حتى نهاية القرن(١٩)الميلادي ص ١١.

يعتمد نظام القوافل على مجموعة من المقومات التي لابد من وجودها لتستقيم القافلة، وتتحقق معها الأهداف التي قامت من أجلها، ويجب توافرها منذ انعقاد القافلة وانطلاقها، وتستمر معها حتى تعود؛ بعد تأدية المهام التي خرجت لتنفيذها، وهي تلك المقومات، والشروط التي يلتزم مُلاك القافلة بتأمينها، والحرص على اكتمالها قدر الإمكان؛ لأنها كفيلة بتحقيق مردود طيب، ووفير لهم، والقافلة قد تكون ملكًا لشخص واحد؛ كالملك، أو شيخ القبيلة، أو أحد كبار التُجار، كما أنها قد تكون لعددٍ من التجار الذين يساهمون في إقامتها[١].

ويمكن استعراض هذه المقومات والشروط بالآتي:

١- **رئاسة القافلة**: تكون القافلة برئاسة إحدى الشخصيات المعروفة بشجاعتها، وقوتها وبمعرفتها الجيدة للطُرق، ويشترط أن يكون الرئيس ذا نسب معروف، وينتمي إلى قبيلة مشهود لها؛ فرئيس القافلة (زعيم القافلة) يتحمّل كامل المسؤولية فيها، وهو الذي يقرر كل ما يتعلق بها أثناء سيرها، وفي مراحل توقفها للاستراحة حتى دخولها السوق المتجهة إليه، والعودة مرة أخرى إلى مكان انطلاقها، وعلى هذا النحو يجب أن تتوافر فيه صفات القائد العسكري المحنك، والمُلم بشؤون الطريق، وأخطاره حتى يجنب القافلة كلّ ما يمكن أن تتعرض له أثناء سيرها من مخاطر؛ فلا تقع فريسة سهلة بأيدي قطّاع الطرق، واللصوص، ويجنبها- أيضًا- المرور عبر مناطق الأعداء؛ فلا تُنهب أموال المساهمين فيها، ويتعرضون للخسارة الفادحة[٢]، وفي هذا المجال يمكن أن يكون التُجار- ذاتهم- رؤساء قوافل؛ يتولون شؤون القافلة، ويقودونها كما كان يحدث مع تُجار تدمر على سبيل المثال[٣].

٢- **حراسة القافلة وحمايتها**: يتولى حراسة القافلة مجموعة من الرجال الأشدّاء الذين يستعدون بالسلاح، والعتاد؛ تحسبًا لمخاطر قطّاع الطرق، والمعتدين. تكون هذه

[illegible] عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي... ص ٢٠٨.

[illegible] علي: المفصل... الجزء السابع، ص ٣٢٢.

[illegible] الإيلاف، ص ٧٢.

المجموعة تحت قيادة رئيس القافلة، وتخرج مع القافلة منذ انطلاقها، وفي الغالب تتبع الدولة، أو المدينة التي خرجت منها، وعادةً يتناسب عدد أفراد هذه المجموعة مع حجم القافلة؛ غير أنّ حماية القافلة لا تتوقف على هذه المجموعة فقط؛ بل يتولاها- أيضًا- أفراد من القبيلة التي تمر بأراضيها؛ حتى تصل إلى أراضي القبيلة التالية، وهكذا إلى أن تصل إلى هدفها المنشود[١]، مقابل ذلك يتم دفع الأجر لهذه القبائل؛ نظير ما توفره من حماية للقافلة؛ بموجب اتفاق سابق[٢]؛ وبالتالي يحتاج التُجّار إلى استرضاء زعماء القبائل لتأمين الحماية لقوافلهم، كما أنّ حماية القافلة لا تكون في عُهدة البشر فحسب بل يُعهد بها قبلهم للآلهة ؛إذ يُقدّم التُجّار، ورؤساء القوافل لها القرابين عند خروجهم في سبيل الحفاظ عليها، ويفعلون ذلك عند عودتها سالمة، غانمة؛ وفاءًا لنذور أو كشكر، وعرفان لحمايتها، والمحافظة عليها[٣].

٣- الأدلاء (المرشدون) : تحتاج القافلة إلى مجموعة من المرشدين، والمستكشفين الذين يكونون على رأس القافلة[٤]، ويتعيّن عليهم أن يكونوا من أصحاب الخبرة بطرق ومسالك البوادي، والصحاري، وعلى معرفة بمواقع الآبار، ومحطات الراحة ويعملون على استشعار مكامن الخطر؛ فيمدّون رئيس القافلة بالمعلومات التي تساعده على سلوك أقصر الطرق، وأفضلها، وأسلمها للوصول بالقافلة إلى بر الأمان.

٤- تأمين شؤون القافلة وخدمتها: تحتاج القافلة أثناء سيرها، وفي مراحل توقفها إلى مجموعة من الناس تنوط بهم بعض المهام المتعلقة بشؤونها، يعملون على تأمين خدمة القافلة (برجالها، وحيواناتها، والبضائع التي تحملها)؛ فمع ضخامة حجم القافلة، وكمية البضائع التي تنقلها؛ تحتاج إلى من يقوم برعاية الإبل، والخيل فيها، ويقوم بهذا العمل مجموعة من الناس؛ يخرجون مع القافلة، وهم- غالبًا- من فئة العبيد، كما أنّ رؤساء القوافل، وسادتها؛ يحتاجون لمن يقومون بخدمتهم في ظل رحلة القافلة الطويلة، ناهيك

١- جورجي زيدان : العرب قبل الإسلام، ص ٢١٣ - ٢١٤.

٢- Van Beek (Frankincense and Myrrh), Vol ٢٣,P٩١

٣- جواد علي :المفصل:... الجزء السابع،ص ٣٢٢ كذلك نورة عبد الله العلي :الوضع الاقتصادي ...صفحة ٢٠٨.

٤- نورة عبد الله العلي: المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

عن أن مسألة تحميل، وتفريغ البضائع من على ظهور الإبل في أماكن انطلاقها ومحطات الراحة، والأسواق الذاهبة إليها؛ تحتاج - أيضًا- إلى مجموعة من الناس تقوم بهذا العمل ويكون هؤلاء من الفئات الدنيا في المجتمع، ولا يشترط في هذه المجموعة - مجموعة التحميل، والتفريغ- ملازمة القافلة منذ انطلاقها؛ لأنه بالإمكان الحصول على هذه الخدمة في المحطات، والأسواق التي تقصدها القافلة- كما هو اليوم - فتتقلص بذلك نفقات القافلة.

٥- **محطات الراحة**: بما أنّ القافلة قد تستمر في رحلتها شهورًا- ذهابًا وإيابًا - فكل أعضائها من بشر، وحيوان بحاجة إلى التوقف، والراحة بكل ما تعنيه كلمة الراحة من معنى؛ بما في ذلك الحاجة إلى النوم، والطعام، والشراب، وإراحة الدواب من تعب المسير، وتزويدها بما تحتاج من أعلافٍ، وماء، وهذه المحطات عبارة عن منازل ينزل بها المسافرون من التجار، وغيرهم، وهي لا تبعد عن بعضها كثيرًا - رغم أنّ المسافة بين المحطات غير متساوية - إلا أنها قامت في أغلبها حول مواضع المياه من آبار، وأودية؛ وبالتالي المسافة بين هذه النُزل؛ تتحدد بحسب أماكن توافر الماء[١]، وقد ذكر بليني، أنّ بين تمنع وغزة - على طريق البخور- توجد (٦٥) مرحلة[٢]؛ أعدّها البعض محطات لاستراحة القوافل[٣].

"لا يقتصر دور هذه المحطات على ذلك فقط؛ بل أنّ نظام القوافل وفّر لها مهمة أخرى؛ هي استبدال الإبل المتعبة بغيرها نشيطة؛إذ يتم ذلك كل عشرة إلى عشرين يومًا-لاسيما- على الطرق الطويلة؛ من خلال استئجار الإبل من الجمّالين الموجودين في المدينة، أو المحطة التي تتوقف فيها القافلة[٤].

١- جوادعلي : المفصل...، الجزء السابع، ص ٣٢٤.

٢- Pliny: Natural History, Translated by H.Rackham, loeb Clasical Library, London, ١٩٦٩ BK١٢, P٤٧.

٣- لوزة عبد الله العليي : الترشيع الاقتصادي...، ص ٢٠٨.

٤- Groom,Nigal: Frankincense and myrrh, P٢١١.

وهكذا فإنّ نظام القوافل الذي كان متبعًا في المدن، والمراكز التجارية؛ لم يوفر الحماية للتاجر، وأمواله فقط؛ بل جعل من هذه المراكز، والمحطات؛ كتلة من النشاط والحيوية، والعمل الدؤوب، ووفر العمل لعدد واسع من الناس، كما كان اليوم الذي تصل فيه القافلة؛يُعد يومًا مشهودًا؛ تتهيأ فيه المدينة كلها لاستقبالها؛ فتغطى الأسواق بأنواع السلع التي تجلبها، وتدب الحركة في كل أركانها- وعلى المرء في وقتنا الحاضر أنْ يتخيل هذا اليوم؛ الذي يُعد يومًا احتفاليًا بكل أبعاده-

ثانيًا- التعاملات التجارية وأساليب البيع والشراء في المنطقتين :

استخدم تُجّار شبه الجزيرة العربية، وسورية أساليب مختلفة في تعاملاتهم التجارية؛ بغرض تحقيق عمليات البيع، والشراء في أسواق، ومراكز التجارة في المنطقتين؛ إلا أنّ هذه الأساليب مرّت بمراحل متتابعة من التطور، ولم يتم الاعتماد عليها دفعة واحدة؛ فحاجة الإنسان لتسهيل عمليات التجارة، وتحقيق الربح العادل برضى الطرفين- البائع والمشتري- جعله يبتكر لها وسائل، ووسائط، عمِلَ على تطويرها بمرور الزمن بما يتناسب مع تطور الحياة آنذاك.

كانت الوسيلة السائدة مع بداية الألف الأول قبل الميلاد في أسواق البيع، والشراء في هاتين المنطقتين؛ هي المقايضة، ثمّ اعتمد الناس-هناك- على المعادن الثمينة (الذهب والفضة)؛ في تقدير قيمة البضائع، والسلع، وفي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد تمّت الاستفادة من ابتكار الإنسان للنقود؛ كأسلوبٍ متقدم في التعامل التجاري[1]، وعلى الرغم من أنّ النقود أصبحت الوسيلة الأكثر تطورًا في العملية التجارية ؛ إلا أنّ أسلوب المقايضة ظل التعامل به قائمًا في وجود النقود[2].

١- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٤.

٢- جواد أحمد مطر: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، جامعة عدن، وعلوم - الثقافة العربية (الشارقة)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٥٠٩.

الاستعراض التالي يوضح هذه الأساليب، والأنظمة التي تعامل بها التُجّار في المنطقتين:-

١- أسلوب المقايضة:

هي من أقدم وسائل البيع، والشراء المستخدمة في أسواق بلاد العرب[١]، وسورية[٢] فكانت أساسًا للتعامل التجاري؛ منذُ ظهور بوادر التجارة، واستمر العمل بها مدة زمنية طويلة؛إذ بدأ العمل بها من خلال تبادل فائض الإنتاج في المجتمعات المنتجة؛ الأمر الذي شكّل بداية للتجارة الداخلية؛ لكنها ما لبثت أن أصبحت وسيلة للتعامل التجاري مع ظهور التجارة الخارجية؛ فكل صادرات ،وواردات شبه الجزيرة العربية ،وسورية مع بداية الألف الأول قبل الميلاد كانت تتم عن طريق المقايضة، وهي عملية تتحقق من خلال مبادلة سلعة بأخرى- لا زالت هذه العملية قائمة، ومعروفة حتى اليوم، توفّر بها الدول النقود؛ وفي الوقت ذاته تعمل على تصريف الفائض من منتجاتها-[٣].

وبما أنّ السلع تختلف من حيث أهميتها، ومكانتها، وحاجة الناس لها لا يتم تبادلها - مقايضتها - على أساس وزنها- كأن تقايض الرطل اللُبان؛ بالرطل من الطحين - بل يتم التبادل بما يعادل قيمة، وأهمية السلع.

٢- أسلوب تثمين البضائع بأوزان المعادن الثمينة (الذهب والفضة) :

هو أسلوب تعامل به التجار في أسواق المنطقتين إلى جانب المقايضة- تعاملت به كل مناطق العالم القديم- ويُعد تطورًا مهمًا لأساليب التعامل التجاري-لاسيما- أنه كان السبب الذي انطلقت منه فكرة اختراع العملة، والتعامل بالنقود، ويقوم هذا الأسلوب على أساس تقدير السلع بوزن من معدن ثمين؛ كالذهب، أو الفضة[٤]؛ كأن يدفع التاجر قيراطًا من الذهب؛مقابل سلعة معيّنة،أو مثقال مِنْ فضةٍ؛ لشراء بضاعة ما.

١- جواد علي :المفصل ....، الجزء السابع، ص ٢٢٩، كذلك نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي ... ص ٢٦٨.

٢- جورجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٣، كذلك ج. كونتينو، الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٤.

٣- جواد علي :المفصل ....، الجزء السابع، ص ٢٢٩ومن أمثلة استخدام أسلوب المقايضة دوليًا- اليوم- قرار مجلس الأمن الدولي الشهير بخصوص العراق (النفط مقابل الغذاء).

٤- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٤.

بهذه الطريقة في التعامل التجاري استطاع الإنسان تسهيل عمليات البيع والشراء،فكانت وزنات الذهب، والفضة تقوم مقام النقود - التي تم ابتكارها فيما بعد[١] - إلا أنها لم تكن محددة بوزن معين، أو سعر ثابت تحدده الممالك، والدول في الأسواق بل أن التجّار يتفقون على مبدأ شراء السلعة؛ مقابل وزن من سبائك أحد هذين المعدنين برضى الطرفين، وبهذا تمّ تسهيل الكثير من التعقيدات التي عادة ما تصاحب عمليات المقاضية في الأسواق[٢].

يذكر أنّ النسبة بين الذهب، والفضة؛ فيما بين القرنين التاسع، والسابع قبل الميلاد في بلاد أشور، وفينيقيا؛ كانت ١ إلى ١٣ [٣].

٣- أسلوب التعامل بالنقود :

كان لاستخدام الذهب، والفضة؛ كوسيلة، ونظام في التعامل التجاري فضل كبير في اختراع النقود؛ فأسلوب التعامل بالنقود يُعد امتدادًا، وتطورًا لأسلوب البيع والشراء بتقدير السلع بأوزان المعادن الثمينة، والمعروف أن بشائر النقود ظهرت في آسيا الصغرى؛ في المنطقة المعروفة باسم (ليديا)[٤]، وفي زمن لا يتعدى القرن السابع قبل الميلاد؛إذ لاحظ الليديون أنه بالإمكان تسهيل البيع، والشراء من خلال تفادي عملية وزن المعدن الثمين؛ التي تُقاس به قيمة البضائع؛ وذلك بصنع قطع من الذهب ذات حجم، ووزن واحد، ومحدد بمعيار ثابت، ثم عَمِدَ ملكهم إلى طبع خاتم خاص، ومميز على هذه القطع؛ فكان بذلك أول من أنشأ العمْلة[٥].

لم يلبث النظام النقدي أن انتشر في مختلف أنحاء العالم القديم- رغم أن زمن استخدام النقود يختلف من منطقة إلى أخرى؛ فسورية مثلاً عرفت هذا النظام مع نهاية القرن السادس ق.م؛أي قبل شبه الجزيرة العربية- فشكل- آنذاك- تطورًا كبيرًا، وأثر

١- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص ٩٥.

٢- جواد علي: المفصل....، الجزء السابع، ص ٤٨٨.

٣- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٤.

٤- سير روس هولوي : موسوعة العملة (العملة في الحضارة الإغريقية)، ترجمة ملاذ الحفار، ومأمون عابدين، دار المعرفة، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٩٣م، ص ٥.

٥- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٤، كذلك انظر المنونين المؤلفين: مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، البنك العربي، الأردن ١٩٩١م، ص ١١.

تأثيرًا بالغًا في الحياة الاقتصادية عامة، والتجارة خاصة ؛ إذ تطورت من خلاله أساليب التجارة، وامتدّ التبادل التجاري الخارجي إلى آفاق بعيدة.

تُعد النقود من أهم المبتكرات الحضارية لإنسان ذلك الزمان، وإذا كانت أهميتها - آنذاك- تكمن في قيمتها المادية،و يستطيع المرء أن يقتني بها حاجياته، أو يحقق بها الأرباح؛ بما يعود عليه بالفائدة، والخير ونحوه؛ فإنّ ما تمّ العثور عليه اليوم من نقود ذلك الزمان- قطعًا-له أهمية واسعة؛ فإلى جانب كونها تمثل قيمة فنية تعكس إبداع الفنان بما رسمه، ونحته، ونقشه عليها؛ فهي تعطي معلومات صادقة، وواضحة عن طبيعة الحياة في تلك المجتمعات- بمختلف جوانبها- وبالتالي تعد النقود وثائق تاريخية مضمونة تساعد في قراءة تاريخ الشعوب؛ بما تُبرزه من صور، وأسماء الملوك وعائلاتهم، وكذاالآلهة، وشعارات الممالك، والدول والمونوجرامات المختلفة، يضاف إلى ذلك تاريخ الإصدار.

أ- النقود في سورية حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد :

عرفت سورية النقود قبل الكثير من مناطق الشرق الأدنى القديم؛إذ استولى الفرس الأخمينيون على سورية؛ بعد أن تمكنوا من إسقاط مملكة ليديا في آسيا الصغرى سنة ٥٤٦ ق. م، التي عرفوا منها استعمال النقود في تعاملاتهم؛ وإن كان في بادئ الأمر على نطاق خاص، ومحدود؛ غير أنّهم لم يلبثوا أن استعملوها على نطاق واسع في أرجاء إمبراطوريتهم، وضربوا نقودًا خاصة بهم، وسمحوا للمدن السورية -الفينيقية خاصة- بسك العملة؛ وهي التي كانت تدفع الجزية لهم باعتبارها ضمن الولايات الفارسية[1].

أولى العملات التي استخدمت في سورية في ظل السيادة الفارسية؛ هي تلك التي سكها الملك دارا (داريوس) الأول (Darius I) (٥٢١- ٤٨٦) ق. م، وسميت

---

[1]- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٣٦٤، كذلك نائف القسوس، علف الطراونة: مسكوكات العالمين... ص ١١- ١٣.

(الداريق)، وهي عملة من الذهب، والفضة[١]، وفي العهد الفارسي سكت المدن الفينيقية النقود، أظهرت بعضها صورة ملك الفرس؛ كنقوذ مدينة صيدا، كما أظهرت النشاط البحري للفينيقيين؛ على هيئة سفينة شراعية مزوّدة بالمجاديف، وبعض نقود هذه المدن -آنذاك- كان لا يخلو من تصوير لآلهتهم، وفيها محاكاة للنقود اليونانية؛ لاسيما إظهارها للبوم المرسوم على العملات الأثينية[٢].

بعد سيطرة الإسكندر المقدوني على سورية؛ ضمن حملته المشهورة على بلاد الشرق الأدنى في ٣٣٣ ق. م؛ دخلت سورية تحت الحكم اليوناني، وفي هذا العهد عرفت نظام النقد بشكل أوسع؛إذ سُكّت النقود من معادن مختلفة؛ كالذهب، والفضة والبرونز، والنحاس[٣]، غير أنّ إصدار سورية السلوقية للعملة الذهبية؛ كان وفيراً في مستهل العهد السلوقي؛ بسبب الكنوز الفارسية التي استولى عليها الإسكندر، وتركها لخلفائه، وكانت تلك العملة مُعدّة لتلبية حاجة الإمبراطورية في تغطية نفقات التجارة الخارجية ؛لاسيما مع الهند، إلا أن إصدار العملة الذهبية بشكل منتظم في سورية توقف مع تولي سلوقس الثاني (٢٤٦ـ ٢٢٦) ق. م الحكم في ا لدولة السلوقية؛ ربما كان السبب في ذلك خسارة السلوقيين لممتلكاتهم في المقاطعات الشرقية المتاخمة للهند[٤]، ومع هذا التراجع في إصدار العملة الذهبية؛ كانت هناك مناسبات عديدة - غير منتظمة- أصدر فيها الحُكّام السلوقيون في سورية هذه العملة- بعد ذلك- لكنها بكمية أقل[٥].

أن المعيار الذي سُكّت به النقود في العهد السلوقي؛ **هو المعيار الأتيكي الذي كان** معتمداً منذُ زمن الإسكندر المقدوني، وفي المعيار الأتيكي **يكون وزن الدراخما** (٤,٣٠)غ مع العلم أنّ مدن الساحل السوري **الفينيقية في زمن سيادة البطالمة؛ اعتمدت**

١- فيصل عبد الله ، عيد مرعي: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص ١٥٥.

٢- نائف القسوس، خلف الطراونة : مسكوكات العالمين ....، ص١٣.

٣- بيكرمان:الدولة السلوقية(ملوك سورية السلوقيون)،ص١٧٨.كذلك مفيد رائف العابد:سورية في عهد السلوقيين،ص٢٤٥.

٤- مفيد رائف العابد: المرجع ذاته، ص ٢٤٥.

٥- للمزيد من التفصيل حول هذه الإصدارات، والملابسات يُنظر، بيكرمان :الدولة السلوقية(ملوك سورية السلوقيون)، ص١٧٨- ١٨٠. كذلك مفيد رائف العابد: المرجع ذاته، ص٢٤٦- ٢٤٧.

النظام، والمعيار المعروف في مصر؛ وهو الذي يُطلق عليه (المعيار الفينيقي)، أو (المعيار البطلمي)، وفيه يكون وزن الدراخما (٣,٦٠) غ.

سكّ السلوقيون قطعًا نقدية من الفضة؛ لكنها استخدمت على نطاق واسع في التعامل الداخلي، والتجارة المحلية بين أجزاء الإمبراطورية؛ لاسيما في الجزء السوري، وكانت العملة المسماة (تترادراخما)- مصنوعة من الفضة؛ تساوي أربع دراخما؛أي حوالي (١٧) غ - هي العملة الأكثر تداولاً في أرجاء الإمبراطورية السلوقية؛ على عكس (الدراخما الفضية) التي كان التعامل بها قليلاً، أما (الديدراخما الفضية) - تساوي ٢ دراخما فضية- كانت نادرة، ويتم التعامل بها بصورة استثنائية.

تجدر الإشارة إلى أنّ وزن القطع النقدية الفضية السلوقية؛ كان على الوزن ذاته للقطع الأتيكية؛ غير أنّ التقيُّد بهذا الوزن بدأ يتراجع بعد عهد الملك ديمتريو (ديمتريوس) الأول (١٦٢ـ ١٥٠) ق. م.، كما أنّ نسبة الفضة في النقود تراجعت بعد هذا العهد أيضًا؛ فبعد أن كانت نسبة الفضة في النقود التي أصدرها كل من أنطيوخ (أنطيوخس) الأول (٢٨٠ـ ٢٦١) ق. م، وأنطيوخ (أنطيوخس) الثالث الكبير (٢٢٣ـ ١٧٨) ق. م؛ تقدر بـ (٩٥%)، أصبحت في نقود الإسكندر الأول (بالاس) (١٥٠ـ ١٤٦) ق. م؛ حوالي (٩١%)؛ لتتراجع هذه النسبة إلى مستويات متدنية قُدرت بـ (٦٥%) في النقود التي أصدرت في القرن الأول قبل الميلاد، ومع ذلك فإنّ النقود التي سُكت في مدن الساحل الفينيقي؛ فيما بين عامي ١٥٠ ق. م، و١١٢ ق. م- على أساس المعيار البطلمي- حافظت على وزنها المقدّر بحوالي (١٤,٢٠) للتترادراخما الفضية.

- العملات الصغيرة - أقسام الدراخما- كانت تُسك من معدني البرونز، والنحاس باستثناء بعض القطع الفضية، وكانت هي الأخرى تستخدم فقط محليًا[1].

- كان حق سك النقود في سورية بيد السلطة الحاكمة المطلق؛إذ تُسك باسم الملك أو الحاكم - كالملك الفارسي، أو السلوقي- ويتم تداولها بحيوية في عهده؛ وفي ظل

---

[1]- بيكرمان: الدولة السلوقية(ملوك سورية السلوقيون)، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

سلطته؛ وسلطة خلفائه، وبالتالي تُعد النقود هناك رمزًا للسيادة[١]، غير أنّ عددًا من الملوك السلوقيين أعطوا حق سك العملة لبعض حكام المدن، بحيث سمحوا لهم بسك عملة محلية بأسمائهم؛ يتم تداولها في مدنهم، وكانت من الفئات الصغيرة،وأغلبها من البرونز، وليس لها قيمة تبادلية خارجيًا. هذا التراجع من قبل الملوك السلوقيين عن حق إصدار العملة لصالح الحكام المحليين في بعض المدن؛ لم يكن إلا في وقت متأخر من العهد السلوقي في سورية- يرى البعض أنه لا يتعدى عامي (١٦٩ لـ ١٦٨) ق.م- ومن أهم المدن السورية التي تمتعت بهذا الامتياز في أوقات مختلفة من العهد السلوقي وفي زمن هذا الملك؛ أو ذاك؛هي: أنطاكيا، أفاميا، سلوقية، اللاذقية، طرابلس جبيل،صيدا،صور،دمشق[٢]، وهي نفسها أشهر المدن التي وجدت بها ورش سك النقود في سورية يُضاف لهم أرواد، وغزة[٣].

من العملات التي عرفتها المناطق السورية في العهد السلوقي؛ الدراخما والديدراخما؛ التي تعادل ٢ دراخما،و التترادراخما؛ التي تعادل ٤ دراخما و أكتودراخما؛ وتعادل ٨ دراخما، بالإضافة إلى الستاتير (Stater)؛و تعادل ٢٥ دراخما، وهي نقود ضربت من الذهب، ومن الفضة، كما أنّ هناك معدنًا سُكت منه النقود- أيضًا- ويعرف بـ (الأكتروم)، وهو مزيج من الذهب والفضة[٤]، ويذكر أنّ الدراخما كانت معروفة في مناطق الساحل الفلسطيني؛ منذ أوائل القرن الخامس قبل الميلاد؛ ولكنها- آنذاك- كانت على النمط الأثيني[٥].

النقود السلوقية في سورية ساعدت الباحثين، والعلماء كثيرًا ؛لاسيما في مسألة قراءة تاريخ المنطقة خلال هذا العهد، والوقوف على الكثير من الحقائق التاريخية؛ لما

---

[١]- سير روس هولوي : موسوعة العملة...، ص٥.

[٢]- لمزيد من التفصيل ينظر بيكرمان:الدولة السلوقية(ملوك سورية السلوقيون)، ص١٩١-١٩٧.

[٣]- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ٢٦٥، كذلك نايف القسوس، خلف الطراونة : مسكوكات العالمين... ص ١٥.

[٤]- مفيد رائف العابد: سورية في عهد السلوقيين، ص ٢٤٤ - ٢٤٧.

[٥]- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص ٢٢٨.

احتوته من رسوم، ونقوش، وكتابات، ومونوجرامات، وتواريخ مختلفة؛ فهي تحتوي على رسم لصور الملوك، وزوجاتهم، أو إخوانهم، أو أبنائهم، ويمكن أن تحمل- أيضًا- رسم لصور الآلهة المختلفة، وشعار المدينة، أو المملكة من حيوان، أو طير، كما يُنقش على هذه النقود أسماء الملوك، وألقابهم، وبعض المونوجرامات الدالة على اسم المدينة التي بها ورشة سك النقود، وأيضًا توقيع مشرفي السك - كما كان يحدث في دمشق[١] - بالإضافة إلى تواريخ الإصدار، إذ كانت الكثير من العملات السورية مؤرخة[٢].

ب- النقود في شبه الجزيرة العربية حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد:

عرفت شبه العربية النقود في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد؛ غير أنها لم تكن متداولة في كل أنحاء بلاد العرب، كما أنّ زمن استخدامها، وسكها يختلف من منطقة إلى أخرى، وحتى نهاية هذا الألف؛ كان سك النقود معروفًا في مناطق معيّنة فقط؛ وهي تلك المناطق التي ارتبطت بالتجارة الدولية أكثر من غيرها، أو توافرت لديها شروط سك العملة، من مملكةٍ قويةٍ، وظروف اقتصادية ملائمة، ووفرة في المعادن المناسبة لضرب النقود.

الممالك الجنوبية في شبه الجزيرة العربية تعاملت بالنقود منذُ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد؛ فأقدم العملات التي عُثر عليها في اليمن؛ يشير تاريخ سكها إلى هذا الزمن؛ إلا أنها عملات إغريقية- أثينية - كان عرب الجنوب قد تعاملوا بها لتلبية

١- بشير زهدي:(أقدم النقود الدمشقية ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق)، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، صادرة عن المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية، المجلد السادس والعشرون، الجزء الثاني ١٩٧٦م، ص ٨٠.

٢-

متطلبات حركة التجارة، وأساليبها مع المناطق التي تتعامل بهذه النقود[1]. وكمثال لأقدم العملات الإغريقية التي عثرعليها في اليمن؛ دراخما أثينية من الفضة تزن(١٦,٩٠)غ يعود تاريخ سكها للقرن الخامس قبل الميلاد، ودراخما أثينية أخرى تزن (١٦,١٨)غ يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد[2].

بدأ سك النقود في شبه الجزيرة العربية منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد، ويبدو أنّ مملكة قتبان هي أولى الممالك التي سكّت العملة- ليس فقط على مستوى ممالك الجنوب؛ بل كل مناطق شبه الجزيرة العربية- لتحذو حذوها بعد ذلك الممالك العربية الجنوبية[3]؛ فالنشاط التجاري العالمي لهذه الممالك؛ وحركة الاستيراد والتصدير التي ارتبطت بها مع الشعوب الأخرى؛ لاسيما في سورية، أو غيرها- التي تعاملت بالنقود منذ وقت مبكر- دفعتها- أي الممالك الجنوبية- إلى مواكبة هذا التطور في أساليب التعامل التجاري؛ التي أصبحت تتعامل بها كل مناطق الشرق الأدنى القديم؛ فصار لزامًا عليها سك عملة مناسبة تستخدمها في التعاملات التجارية مع تلك الشعوب؛ لذلك كانت الممالك الجنوبية في شبه الجزيرة العربية أول من سكت نقودًا خاصة بها في بلاد العرب ، غير أنّ أقدم العملات الفضية التي عُثر عليها، وسكت في هذه الممالك يظهر عليها بجلاء التأثير الإغريقي؛إذ تحمل طابع العملة الأثينية؛ بأسلوبها القديم، ثم الجديد[4].(يُنظر صورة ١٣).

كان هذا التأثير للعملة الإغريقية طبيعيًا؛ بسبب تعامل الممالك الجنوبية مع الأقطار الشمالية- سورية، والعراق، واليونان، وغيرهم- التي كانت تتعامل بالعملة الإغريقية آنذاك ؛ وبالتالي كان لابد لهذه الممالك في البداية أن تسك عملة مقبولة

---

[1]- ألكسندر سيدوف وبربارا دافيد: (سك النقود أو المسكوكات) في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة د. يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق) ١٩٩٩م ص١١٨.

[2]- إسمهان سعيد الجرو: (الحياة التجارية في اليمن القديم)، في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٩٩.

[3]- ألكسندر سيدوف وبربارا دافيد: (سك النقود أوالمسكوكات) في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص ١١٨ – ١١٩.

[4]- جواد علي: المفصل...، الجزء السابع، ص ٤٩٠.

وموثوق بها في التعامل الخارجي، الأمر الذي جعلهم يحاكون العملة الإغريقية المعروفة؛ والمتداولة في الأسواق العالمية.

بالنظر إلى أقدم العملات التي سُكت في الممالك الجنوبية وعُثر عليها في اليمن يتضح أن الرسومات، والحروف المنقوشة، والمنحوتة عليها تشابه تلك الموجودة على العملة الأثنية تمامًا، ولا تختلف عنها؛ إلا بصغر حجمها، وبالأسماء، والرموز التي أضيفت في الجهة التي بها رأس (أثينا)، وكُتبت بخط المسند[1]، ومن نماذج تلك العملات التي تعود إلى ما قبل الميلاد؛ عملات قتبانية، وسبئية، وحضرمية، إذ سكّ القتبانيون هذه العملة المقلدة منذُ بداية القرن الرابع قبل الميلاد حتى بداية القرن الثاني قبل الميلاد؛ لتحل محلها عملات ذات أنماط محلية، بينما مملكة سبأ التي أصدرت أقدم عملاتها بعد القتبانيين في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد؛ ظلت تُقلد العملة الأثينية- بأسلوبها القديم- حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد؛ ثمّ بدأت تُقلد الأسلوب الأثيني الجديد في إصداراتها من العملة، وقبل أن تصبح العملة السبئية ذات طابع محلي صرف أصدرت في نهاية القرن الأول قبل الميلاد عملات سبئية ذات تأثير روماني(يُنظر صورة ١٤) - وإن لم يكن سكها من هذه العملة وفيرًا- أما أوائل العملات الحضرمية فقد ظهرت حوالي عام ٣٥٠ قبل الميلاد، وهي أيضًا تقليد للعملات الأثينية بأسلوبها القديم لكن سرعان ما ظهر الطابع المحلي في عُملات مملكة حضرموت[2](يُنظر صورة ١٥)، يُضاف إلى كل ذلك درهم معيني- مُتقن السك- على النمط الإغريقي ذاته؛ عُثر عليه، ويحمل اسم الملك (أب يثع)[3].

وهكذا؛ فقد تطوّرت عملية سك العملة في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية فأصبحت ذات طابع محلي؛إذ عُثر على نقود حضرمية، وقتبانية، وسبئية- حميرية

---

[1]- أحمد قائد بركات : (النقد)، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، تنفيذ دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، بيروت ١٩٩٢م، ص ٩٦٥.

[2]- لمزيد من التفصيل عن هذه العملات يُنظر: الكسندر سيدوف وبرنتزا داليد:(سك النقود أو المسكوكات)، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص ١١٨ - ١٢٠.

[3]-جواد علي: المفصل... الجزء الثاني، ص ١٣ [illegible]

مصنوعة من البرونز، ومن الفضة، ومن الذهب[١]، تحمل سمات محلية صرفة، سُكّت في عواصم تلك الممالك، حرص فيها الملوك على إظهار مقومات ممالكهم؛ وذلك من خلال تسجل أسمائهم، وألقابهم، وجهة السك، وسلطته- في العادة هذه السلطة هي القصر الملكي؛ وإن كان بعضهم يرى أنّ القصر كان دارًا للسك- أيضًا- مثل شقير (شقر) القصر الملكي في شبوة؛ عاصمة مملكة حضرموت، وكذلك (حرب) القصر الملكي لمملكة قتبان[٢]- كما سجلوا على هذه النقود أسماء الآلهة، ورموزها وكل تلك الكتابات صارت تكتب بحروف المسند، وفي الوقت ذاته؛ بدت الوجوه المرسومة عليها عربية الملامح؛ بعد أن كانت تحمل سمات الوجوه الإغريقية، أو الرومانية[٣].

كما يمكن ملاحظة أن هذه الممالك عرفت نظام الفئات العشرية الصغيرة القيمة؛ كالنصف، والرُبع، والثُمن؛ بما حملته النقود من إشارات تدل على قيمتها[٤].

من أسماء، وأنواع النقود التي ورد ذكرها في نقوش العربية الجنوبية *:

- وَرِق (WRQ) قطعة نقد من ذهب، جاء ذكرها في السطر السابع من نقش (RES٣٩٤٧)[٥].
- قرف (QRF) نوع من أنواع النقد؛ ذُكر في السطر الثاني من نقش (CIH ٦١٤)[٦].
- بلط(بلطم) (BLṬ) نوع من النقد (المسكوكات)[٧]، ورد ذكرها في نقوش كثيرة منها:

١- إستيوارت منرو هاي: (عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني)، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٦٣.

٢- جواد أحمد مطر: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في اليمن القديم، ص ٥٢١.

٣- ألكسندر سيدوف بربارا دافيد: (سك النقود أو المسكوكات)في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص ١٢٠.

٤- نورة عبد الله العلي : الوضع الاقتصادي....، ص ٢٧٠.

* هنالك أربعون نقشًا يشيرون إلى أسماء نقود العربية الجنوبية، ألكسندر سيدوف وبربارا دافيد: (سك النقود أوالمسكوكات) في كتاب في بلاد مملكة سبأ، ص ١١٨.

٥- المعجم السبئي، ص ١٦٢.

٦- المعجم السبئي، ص ١٠٦.

٧- المعجم السبئي، ص ٢٩.

نقش (CIH ٣٧٦)[١]، (GL ٨٩٠)، ومن الملاحظ أنّ الناس- اليوم- في كثير من مناطق اليمن يُطلقون على النقود لفظة (زلط)، القريبة منها[٢].

- خبصت(خبصتم) عملة قتبانية؛ جاء ذكرها في نقش (Ja٣٨٥٤)، ويبدو أنّها خليط من عدة معادن[٣].

وصف سكان جنوب شبه الجزيرة العربية النقود الجيدة ببعض الألفاظ؛ التي تدل على جودتها، وجاء ذكرها في النقوش؛ وهي كما يلي:

- رضي- رضيم (RDY - M) بمعنى نقد جيد[٤]، وردت في نقش (CIH٣٨٠).

- نعم- نعمت (M N - T)، وهي صفة للنقد؛ أنّه تام القيمة، وردت في السطر الثالث من نقش (GL ١٥٣٣)[٥].

- مصع- مصعم (MS‘ M)، وهي صفة للنقد؛ أنّه جديد، ناصع، خالص، وردت في نقش (CIH ٣٧٦)[٦].

عَرف الأنباط سك النقود منذُ زمن الملك الحارث الثالث (٨٧ـ ٦٢) ق. م؛ الذي يُعد أول من ضرب نقودًا خاصة بمملكة الأنباط[٧]؛ إلا أنّها كانت شبيهة بالنقود السلوقية التي كانت تُسك في دمشق؛ فبعد استيلائه على دمشق أمر الحارث الثالث بضرب نقود باسمه على غرار نقود دمشق السلوقية[٨].

سك الأنباط النقود من الفضة، ومن البرونز(يُنظر صورة ١٦)، وعلى الرغم من وجود عملة رسمية لهم تُستخدَم في التجارة العالمية؛إلا أنّ كل مدينة من مدن الأنباط سكت عملة خاصة بها-إنْ كانت من البرونز-وفي عهد الملكِ مالك الأول(٤٧-٣٠) ق.م

---

[١]- CORPUS INSCRIPTINUM SEMITICARUM Pars Quarta. Inscriptionum Himyariticas et Sabaeas, Contines Tomus II, P٢٨ - ٢٩.

[٢]- أحمد قائد بركات: (النقد) الموسوعة اليمنية، الجزء الثاني، ص ٩٦٥.

[٣]- أحمد قائد بركات: نفسه، وكذلك نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص ٢٧٠.

[٤]- المعجم السبئي، ص ١١٥.

[٥]- المعجم السبئي، ص ٩٠.

[٦]- المعجم السبئي، ص ٨٨.

[٧]- فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص ٤٢٠.

[٨]- جواد علي: المفصّل...، الجزء السابع، ص [illegible].

زادت كمية النقود البرونزية التي سكها الأنباط؛ ربما كان ذلك بسبب حاجة هذا الملك لدفع مرتبات الجنود الذين كثرعددهم؛ في ظل حروبهم ضد الدولة اليهودية آنذاك[1].

تطوّرت عملية سك النقود النبطية فيما بعد، وأخذت تبتعد عن المحاكاة، وتتجه نحو الطابع المحلي من خلال إظهار الكتابة النبطية، ورسم صورة الملك؛ أكان لوحده أو مع أمه وزوجته؛ أو أخته على النقود؛ فعلى الرغم من أنّ الملك عبادة الثالث (٣٠-٩) ق. م؛ سكّ نقودًا؛ تظهر بها صورة لرأس رجل- يرجح أنّه رأس الملك ذاته- إلا أنّه في بداية حكمه- ظهرت نقود تحمل في إحدى وجهيها رسمًا لصورته، ومعها صورة امرأة يظن أنّها أمه؛ باعتبارها كانت وصية عليه؛ إذ كان عبادة الثالث لا زال صغير السن، كما أنّه في أواخر حكمه سك نقودًا؛ ظهرت فيها صورة زوجته إلى جانب صورته، وهي التي كانت تساعده، وتسانده في الحكم[2].

العملة النبطية قلّ وزنها في عهد هذا الملك -عبادة الثالث- فصارت تزن (٤,٤)غ بدلاً من (٦,٦١) غ ، كما أنّ نسبة الفضة فيها قلّ عمّا كان في النقود السابقة، كما قلّت الفضة فيها حوالي (١٧%) عن الفضة في النقود الرومانية- التي صارت تتعامل بها الكثير من المناطق السورية بعد أن أصبحت ولايات رومانية- فأضطر الملك عبادة الثالث إلى أن يجعل عملته أكبر حجمًا من العملة الرومانية؛فيدفع بذلك مواطني مملكته إلى الإقبال عليها؛في ظل عدم وجود وسائل كشف كمية الفضة في العملة آنذاك[3].

مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وبداية القرن الأول الميلادي؛ زادت كمية النقود المسكوكة، وازدهرت العملة النبطية؛ لتصبح أكثر شهرة، وذلك مع تولي الحكم الملك الحارث الرابع (٩ ق. م- ٤٠ م) في مملكة الأنباط؛ غير أنّه بعد العلم السابع الميلادي؛ يلاحظ انخفاض نسبة الفضة في النقود، ومن ثمّ اختفاء النقود الفضية ذاتها لتحل محلها العملة البرونزية فيما بعد، ويفسّر ذلك على أن السبب ؛هو زيادة صرف الملك الحارث الرابع على مشاريعه العامة في البتراء (عاصمة الأنباط)؛ مثل بناء (قصر بنت فرعون)، و(الخزنة)، و(المسرح)، وغيرها من المشاريع، يُضاف إلى ذلك

---

[1]- نورة عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي ....، ص ٢٧١.

[2]- جواد علي: المفصل....، الجزء السابع، ص ٤٩٤.

[3]- نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي....، ص ٢٧١.

كثرة تعرّض مملكته لهجمات القبائل الثمودية، والصفوية؛ مما أضطره إلى زيادة نشاطه العسكري في أواخر حكمه، الأمر الذي تطلّب سك العملات؛ بكميات أكثر وبقيمة أقل من السابق[١]، بما يمكّنه من دفع أجور جنوده، وتسليحهم.

سكّ الحارث الرابع النقود باسمه، كما سكّها باسمه، وباسم زوجتيه- الأولى والثانية- إذ عُثر على نقود بها رسم لصورته فقط، ونقود أخرى بها رسم لصورته إلى جانب صورة زوجته الأولى (خلدو) (خلد)، بالإضافة إلى نقود بها رسم لصورته وصورة زوجته الثانية (شقيلة).

في نقود الأنباط هذه؛ يمكن ملاحظة أنّهم عملوا على تدوين تاريخ سك العملة كما نقشوا عليها، ورسموا وجوهًا، وطيورًا، ورموزًا، بالإضافة إلى كتابتهم لأسماء الذين أصدروها، كما أنّ الكتابة أصبحت مدوّنة بالخط النبطي[٢].

أما في شرق شبه الجزيرة العربية؛ فقد عثرت بعثات التنقيب المختلفة على نقود في مواقع متفرقة؛ ففي جزيرة فيلكا الكويتية تمّ العثور على مجموعة نقود يونانية ضمن بقايا المعبد الفخم؛ الذي شُيد على الطراز الإغريقي في الفترة الهلينيستية[٣]، منها نقود ضُربت في عهد الملك (سلوقس الأول) (٣١٢- ٢٨٠) ق. م؛ وهي نقود نحاسية ضربها باسم الملك الإسكندر المقدوني، ومنها ما ضرب في عهد الملك أنطيوخ (أنطيوخس) الثالث في حوالي ٢١٢ ق. م، كما تمّ العثور- أيضًا- على دراهم ضُربت في مدينة جرها[٤].

أما في البحرين فقد عُثر على مجموعة من المسكوكات؛ لوحظ عليها التأثيرات الخارجية الصرفة؛ فهي تحتوي على صور، وأشكال، وكتابات يونانية؛ يتضح منها التقليد، والمحاكاة؛ بسبب عدم ضبط أشكال الحروف، أو الاختلاف في مواضعها بالنسبة للكلمة، كما أنّ بعض هذه المسكوكات تحمل حروفًا عربية جنوبية؛ تعني

---

[١]- نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص ٢٧٢.

[٢]- جواد علي : المفصل...، الجزء السابع، ص ٤٩٤.

[٣]- عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية...، ص١٣١ .كذلك رضا جواد الهاشمي :آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤م، ص ١٣٨ – ١٣٩.

(شمس)، أو تحوي على حرف الشين؛ كإشارة للشمس[١]، من هذه النقود - نقود البحرين- يتضح مدى التأثير المتبادل بين مناطق شرق شبه الجزيرة العربية، وجنوبها من جهة، وبينها وبين الحضارة اليونانية (السلوقية) من جهة أخرى، التي تدل بما لا شك فيه أن التجارة أدت دورًا رئيسًا في بلورتها.

في الوقت الذي تأثرت فيه السّكة في شبه الجزيرة العربية؛ في بداية عهدها بالطابع اليوناني- الذي كان بالطبع معروفًا في سورية- ومع وجود عملات يونانية في بعض مناطق بلاد العرب - كما يتضح مما سبق- إلا أنّ العملات التي سُكّت في هذه المناطق- بلاد العرب- حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد- هي الأخرى- وجدت في مناطق عديدة، وبعيدة خارج نطاق شبه الجزيرة العربية[٢]، ويدل ذلك على الدور المهم الذي تؤديه التجارة في هذا الجانب.

١- رضا جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي...، ص ١٩٥.

٢- نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي...، ص ٢٧٢.



الفصل الرابع:

انتعاش الطُرق البحرية وتراجع نشاط طُرق التجارة البريـة

(نـهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية العهد الميلادي)





انتعاش الطُرق البحرية وتراجع نشاط طُرق التجارة البرية مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية العهد الميلادي

مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، وبداية العصر الميلادي أصاب بعض طُرق التجارة البرية في شبه الجزيرة العربية؛ تراجع، وانحسار في حركة القوافل التجارية لاسيما تلك التي تشكل (طريق اللُبان) الممتد من الممالك الجنوبية حتى غزة؛ الأمر الذي أدي إلى فقدان هذه الطُرق لنشاطها، وحيويتها المعهودين في نقل التجارة آنذاك وإن لم ينتهِ دورها تمامًا[1]، قابل ذلك انتعاشًا ملحوظًا للتجارة البحرية عبر طُرقها ومسالكها المحيطة بشبه الجزيرة العربية[2]، لاسيما بحر القُلزُم (البحر الأحمر) لتستمر عملية التبادل التجاري، والتواصل الحضاري بين موانئ المحيط الهندي وموانئ شمال البحر الأحمر؛ التي صار ينتقل عبرها جزء كبيرمن تجارات، ومنتجات الشرق إلى بلاد الغرب ؛ بعد أن أصبحت تحت السيطرة الرومانية- آنذاك-.

بالرغم من هذا الانتعاش، والنشاط الملحوظ لهذا الممر البحري-الذي يُعد أحد أهم أسباب تراجع نشاط طريق اللُبان- إلا أن الطريق البري الذي يربط شرق شبه الجزيرة العربية،و سورية -عبر الفرات- ظلّ يواصل أداء دوره التجاري الحيوي؛ إذ لم ينقطع تدفق منتجات الهند، وبلاد العرب بأتجاه سورية؛ بواسطة القوافل التجارية التي استمرت في حركتها بين المنطقتين عبر هذا الطريق ، وكانت أحد الأسباب التي ساعدت في ازدهار العديد من المدن؛ كمحطات تجارية مهمة ساهمت بفعالية عالية في التجارة الدولية في القرون التالية ، ولعل أهم هذه المدن هي تدمر[3].

1- نورة عبدالله العلي: الوضع الاقتصادي ...، ص 281 .

2- أسمهان سعيد الجرو: (الحياة التجارية...)، في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، ص 114.

3- رضا جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي ... ، ص 253 .

وهكذا ، فأن الدور التجاري لبعض الطرق البرية في بلاد العرب لم يتوقف عندما انتعشت طرق التجارة البحرية؛ مع ازدهار الملاحة في البحر الأحمر خلال القرنين الأولين للميلاد ، كما أن دور شبه الجزيرة العربية في نقل تجارة الشرق الى بلاد الغرب- أيضًا- لم يتوقف؛ بدليل استمرار الطريق البري الشرقي في أداء دوره على الرغم من تغيير مساره ؛ بالاتجاه نحو مدن أخرى ازدهرت؛ وربطت بلاد العرب تجاريًا مع سورية، والدليل الآخر؛ ازدهار الموانى العربية- باستثناء ميناء عدن- في هذا الوقت ، رافق ذلك بروز موانئ جديدة على امتداد الشريط الساحلي المحيط ببلاد العرب من ثلاثة جهات؛ مثل : موانئ موزا، سمهرم (موشا)، الأبلة، وغيرهم؛كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب الطواف[1] ، و أما تدهور ميناء عدن- آنذاك- فربما بسبب سقوط مملكة قتبان-الذي كان تابعًا لها- وبسبب منافسة ميناء (موزا) - الميناء الرئيس للحميريين والأقرب الى عاصمتهم[2]- ومع ذلك لايمكن تجاهل مسألة تراجع، أو انحسار دور بعض الطرق البرية في ظل انتعاش الطرق البحرية.

وفي الاستعراض التالي؛ وقوف على الأسباب التي أدت إلى تراجع نشاط أهم طرق التجارة البرية؛ التي ربطت بلاد العرب، و سورية ، وفي الوقت ذاته ساهمت في انتعاش طرق التجارة البحرية:

أولاً- الصراع الدولي من أجل السيطرة على طرق التجارة:-

منذ أن جاء الإغريق بقيادة الإسكندر المقدوني ، ومن بعدهم الرومان- القوى الغربية- للسيطرة على مناطق الشرق الأدنى؛ بعد أن لمسوا في أنفسهم القوة، والقدرة على التوسع؛ لضم مناطق جديدة؛ دخلوا في صراع مع الدول، والممالك الشرقية - الدول التي قامت على أرض إيران (الفارسية الأخمينية، والبارثية، ثم الساسانية) وممالك شمال شبه الجزيرة العربية وشرقها- من أجل السيطرة على طرق التجارة لاسيما الطرق التي تمر عبرها البضائع، والسلع المرتبطة بالتجارة الدولية.

1- The Periplus : Sec.s 21.32.36, P30, P34-36.

2- نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي ...، ص 278.

ربما تكون أولى مظاهر الصراع، والمواجهة- تلك- قد بدأت قبل قدوم الإسكندر المقدوني ؛ وذلك عندما خاضت أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد الحرب ضد الدولة الفارسية الأخمينية ، وعلى الرغم من أن دوافع تلك الحرب؛ هي السيطرة على تجارة البحر الأبيض المتوسط[1] ؛ لكن تجارة الشرق، ومنتجاته - التي تصل إلى موانئها الشرقية- كانت تشكل الجزء المهم فيها.

كان أهم أهداف اليونانيين، والرومانيين في توسعهم نحو الشرق؛ هو السيطرة على الطرق التي تمر عبرها المنتجات الشرقية المطلوبة- بكثرة- لديهم ، وهي تلك الطرق البرية، والبحرية التي تخرج من شبه الجزيرة العربية، أو تلامسها- في كل الأحوال- وتشكل منافذ أكثر أهمية، وسهولة؛ تربط عالم البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الهندي وهذه الطرق هي : طريق الخليج العربي ؛وما تطل عليه من سواحل شرق بلاد العرب ؛ الذي يخرج منها الطريق البري الممتد إلى سورية عبر الفرات وطريق اللبان القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية؛ عبر الحجاز إلى غزة وطريق بحر القلزُم (البحر الأحمر) إلى فلسطين، ومصر ؛ فكانت محاولاتهم مستمرة في سبيل الاستيلاء على منفذ؛ يتيح لهم التواصل مع هذه المحيط.

بينما كان أهم أهداف الدولة التي تقوم على أرض فارس- كطرف آخر من أطراف الصراع الدولي آنذاك- هو السيطرة على موانئ الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، والحصول على مناطق نفوذ في شمال البحر الأحمر -الذي يُعد المنفذ الأقرب والأسهل لليونانيين، والرومانيين في سعيهم للوصول الى موانئ المحيط الهندي- ليتمّ لهم السيطرة على تجارة الشرق القادمة من الصين، والهند، وجنوب بلاد العرب والمتجهة نحو موانئ البحر المتوسط الشرقية ؛ مما يسمح للدولة الفارسية التحكم بها والاستفادة من عائداتها ؛ لذلك ظلّ صراعها متواصلاً ضد قوى الغرب؛ لتحقيق هدفها في محاولة من أجل منعهم من السيطرة على منفذ البحر الأحمر؛ الذي- بالطبع- يُفقدها مكاسبها في التجارة الشرقية المارة عبر أراضيها[2].

1- دكتور سحاب : الإيلاف ، ص 49.
2- دكتور سحاب : المرجع ذاته ، ص 33- 34 .

لقد كانت لبضائع الشرق، ومنتجاته (اللُبان ، والمُر ، والصبر ، والتوابل بأنواعها ، والحرير، واللؤلؤ ، والعاج، وغيرها)؛ مكانة مهمة لدى مستهلكيها في الغرب، وكان كلما اشتد الطلب عليها رفع التُجّار العرب أسعارها ؛التي تزداد- بالطبع- عند مرورها عبر أراضي الدولة المعادية؛ بفعل ما تفرضة من ضرائب، ومكوس عليها ، والمشكلة التي واجهها الرومانيون- بالذات- ومن قبلهم اليونانيون في سورية هي أنهم مع اضطرارهم لشراء هذه السلع – بسبب حاجتهم المُلحّة لها – كانوا يحققون الربح بالإضافة إلى القوة لأعدائهم في بلاد إيران ؛ ليس هذا فحسب بل أن السلطة في إيران كانت تعمد في زمن الحرب الى إيقاف تدفق هذه السلع عبرأراضيها، والأراضي التي تقع تحت سيطرتهم، وتحول دون وصولها الى أيديهم[1] ، وبالتالي فأن برز أبعاد ذلك الصراع بين الغرب، والشرق - وهو الصراع الذي لابد أن ينعكس على شبه الجزيرة العربية، و سورية، وعلى طرقهما البرية، والبحرية - كان محاولة تأمين السيطرة على أكبر جزء ممكن من طُرق التجارة ، والتسابق من أجل أيجاد موطئ قدم لهذه القوى، أو تلك؛ بما يُؤمّن تحقيق أهدافهما من التجارة الشرقية.

منذُ زمن الإسكندر المقدوني أخذ اليونانيون، ومن بعدهم الرومانيون؛ يعملون على إيجاد الحلول لتحقيق أهدافهم في هذا الصراع- وبأشكال مختلفة-إذ دأبوا - جاهدين- للتخلص من وسطاء التجارة مع موانئ المحيط الهندي[2]- أولى محطات المنتجات الشرقية- للحصول عليها من مصادرها بأقل التكاليف؛.مع ضمان استمرار تدفقها إليهم ؛حيث ظلت شبه الجزيرة العربية - بتُجّارها ، وقبائلها ، وممالكها- تؤدي بفاعلية دور الوساطة في تجارة الشرق مع الغرب لقرون طويلة[3] ، الأمر الذي ساهم - بلاشك- في انتعاش، وازدهار هذه القبائل، والممالك ؛ فالمؤرخ الروماني (بليني) وضح تلك الوساطة ؛التي يقوم بها العرب في هذه التجارة؛ واصفا مقدار الثراء الذي تحققه لهم؛إذ يقول : ((ومن المستغرب أن نقول أن نصف هذه القبائل التي تفوق الحصر

---

[1]- الدكتور سحاب : الإيلاف ، ص 47- 48.

[2]- مصطفى كمال عبد العليم:(تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني)، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، مطابع جامعة الملك سعود الرياض 1984، ص 201.

[3]- مصطفى كمال عبد العليم: المرجع ذاته، ص 202.

يشتغل بالتجارة، أو يعيش على النهب ، وقطع الطرق ، والعرب أغنى أمم العالم بسبب تدفق الثروة عليهم من روما، وبارثيا ، وتجمّعها بين أيديهم ؛ فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر ، ومن غاباتهم، ولا يشترون شيئا بالمقابل»[1].

1- محاولات اليونانيين للسيطرة على طُرق ومنافذ التجارة مع الشرق:-

بعد أن سيطر الإسكندر المقدوني على الأراضي الفارسية؛ اندفع جنوبًا مواصلا حملته على الشرق بأتجاه بلاد البنجاب؛ بهدف الوصول الى الهند؛ وذلك عام 326 ق.م لكن محاولته تلك في الوصول الى الهند وفرض السيطرة عليها بآت بالفشل بسبب كثرة الحروب، وطول المسافة التي قطعتها الجيوش في هذه الحملة الأمر الذي أنهك ضباطه وجنوده، وبدأ الملل يتسرب الى نفوسهم؛ مما اضطر الإسكندر العودة بتلك الجيوش إلى مدينة بابل؛ التي استقر بها ما تبقى من حياته حتى مات ، وهناك- في بابل- بدأ يضع الخطط لفتوحات جديدة[2] تُمكنه من تحقيق أهدافه في الوصول الى المحيط الهندي من خلال السيطرة على سواحل شبه الجزيرة العربية؛ بما فيها الممرين البحريين؛ اللذين يحيطان بها من جهتي الشرق والغرب ، وشرع في تنفيذ تلك الخطط بأن أمر قادة جيوشه بالانتشار في هذه البحار ، فأصبح القائد (نيار خوس) يتقدم أسطولاً ضخمًا في الخليج، والبحر العربي[3]؛ فكانت تلك أول سيطرة للإغريق على هذا الممر البحري الذي يُشكل أحد المنافذ المؤدية إلى الهند، وموانئ بلاد العرب الجنوبية. كما أن أحد المستكشفين الذين أرسلهم الإسكندر عن طريق بحر القلزُم (البحر الأحمر) في رحلة استكشافية للطرق المؤدية إلى موانئ المحيط الهندي؛ كَتَب له- للإسكندر -ليُعرّفه بجزيرة سقطرى، وبمزاياها؛ بما تحتويه من أشجار الصبر، وغيرها ، ويوصيه الاهتمام بها ، فأرسل الإسكندر جماعات من اليونانيين بمراكب- عبر البحر الأحمر- إليها، وتمكنوا من التغلب على من كان عليها من الهنود، واستوطنوها[4]، غير أن

1- Plini :Natural History , Bk.6, Sec.32 , P.461
2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص 257- 258.
3- جواد علي : المفصل ...، الجزء السابع ، ص 267-268.
4- المسعودي : مروج الذهب...، المجلد الثاني، ص 128- 129.

الإسكندر المقدوني؛ مات في عام 323 ق.م؛ دون أن يتم تنفيذ خُططه تلك، وكان عمره -آنذاك- لا يتعدى 33 عامًا[1]، ومع ذلك يُعد- هو- من أوائل الغربيين الذين حاولوا الوصول الى موانئ المحيط الهندي.

كان سلوقس الأول(312- 280) ق.م؛ الملقب نيكاتور (المنتصر)؛ قد ورث الجزء الشرقي من إمبراطورية الإسكندر المقدوني ، وتمكن من استرجاع كل المناطق التي تقع إلى الشرق من سورية؛ بعد أن كانت الإمبراطورية قد فقدت السيطرة عليها بوفاة الإسكندر بما فيها فارس، وبلاد السند.

ولضمان الحصول على منتجات الشرق عن طريق البحر الأسفل - الخليج العربي - والطريق البري من شرق بلاد العرب؛ عمل سلوقس الأول على بناء مدن جديدة؛ جعلها مراكز لتوزيع البضائع أهمها: دورا- أوروبس (الصالحية اليوم)، وسلوقية دجلة؛ التي كانت تستقبل المنتجات القادمة إليها؛ ثم تخرج منها باتجاه مدن سورية المهمة-آنذاك- كأنطاكيا، ودمشق عبر دورا- أوروبس[2].

ربما كان سلوقس الأول قد استفاد من مرافقته للإسكندر المقدوني في مسألة المحافظة والمواظبة على تأمين الحصول على المنتجات الشرقية ؛ لكنه لم يعمل على استكمال حلمه، ومشروعه الضخم ، ولم يباشر في تنفيذ خططه- تلك- التي كان يهدف من خلالها الوصول إلى مصادر، ومنابع التجارة الشرقية؛ والمتمثلة بموانئ المحيط الهندي ، وذلك كان حال الملوك السلوقيين الذين حكموا من بعده هذا الجزء من إمبراطورية الإسكندر[3].

وإذا كان سلوقس الأول قد حاول تأمين الطريق البري؛ الذي يربط إمبراطوريته بشرق شبه الجزيرة العربية ؛ فأن الملوك السلوقيين الذين تولوا الحكم من بعده -باستثناء أنطيوخس الثالث الكبير (223- 187) ق.م- فقدوا سيطرتهم عليه بسبب هزائمهم المتلاحقة في الصراع الدولي؛ لاسيما ضد البطالمة في مصر ، وكذلك ضد البارثيين في إيران الذين نهضوا بمملكتهم في منتصف القرن الثالث ق.م ؛إذ استغلوا

1- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص 258. كذلك جواد علي : المفصل ... الجزء السابع، ص 268.
2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص 298-299.
3- جواد علي : المفصل ... ، الجزء السابع ، ص 268.

الصراع بين السلوقيين، والبطالمة على مناطق سورية في عهد كل من سلوقس الثاني (246-226 ق.م) ، والملك البطلمي في مصر بطليموس الثاني أورجتيس (283-245)؛ الذي هاجم سورية السلوقية-آنذاك- ووصل حتى الفرات دون مقاومة ، ولكن ظروف الاضطرابات الداخلية في مصر اضطرته للعودة سريعًا ؛ فاستعاد سلوقس الثاني الأراضي التي سلبها منه البطالمة في سورية ؛ لكنه كان قد خسر المقاطعات الشرقية في إيران لصالح المملكة البارثية- الناشئة- إثر هزيمته في المعركة على يد الملك البارثي (إرشاق)[1].

هذا الحال؛ ربما استمر مع الملوك السلوقيين في الصراع الدولي ضد البارثيين والبطالمة؛ فيماعدا أنطيوخس الثالث- كما سبق القول- إذ أنه تمكن من استعادة المقاطعات الشرقية التي فقدها السلوقيين؛ بما في ذلك فارس ، وبدأ يوجه نظره نحو شبه الجزيرة العربية؛ فوضع الخطط لذلك - على غرار الإسكندر المقدوني- بعد أن تنبه -هو الآخر- لأهميتها في التجارة العالمية ، ولأهمية البحار المحيطة بها ؛ لكنه فطن- فيما بعد- إلى صعوبة السيطرة عليها ، وإلى الآثار السلبية التي ستنعكس على مملكته؛ إذا أقدم على تنفيذ مخططه ذلك ؛ فأقلع عنه، والتفت نحو البطالمة لاستعادة الممتلكات السلوقية السورية؛ التي فقدها السلوقيون لصالح البطالمة[2].

أما ورثة الإسكندر المقدوني في مصر-البطالمة- فقد استغلوا إطلالهم على بحر القلزُم (البحر الأحمر) من الناحية الشرقية استغلالاً ملحوظًا ؛إذ كان أسطولهم البحري يتحرك بفاعلية هناك ؛ فأقاموا علاقات واسعة مع الموانئ الأفريقية المطلة على بحر القلزُم(البحر الأحمر) ، وتمكنوا من تأسيس مراكز تجارية فيها، كما استوطن عدد من اليونانيين في هذه الموانئ؛ ليَظهر تأثيرهم- فيما بعد- على سكان هذه المناطق في مختلف نواحي حياتهم ؛إذ أوضح صاحب كتاب الطواف؛ مدى التأثير اليوناني الذي لمسه هناك عندما زار هذه المناطق[3]،ويُذكر أن بطليموس الثاني (245-238) ق.م تمكن من إعادة شق القناة القديمة؛ التي تربط الفرع الشرقي للنيل (فرع دمياط)

1- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول، ص 262.
2- فيليب حتي : المرجع ذاته، ص 264- 265.
3- The Periplus: Sec.1-14, P22-27.

-المطل على الدلتا- ببحر القُلزُم (البحر الأحمر)، الأمر الذي سهّل تحركهم بحريًا باتجاه جنوب بحر القُلزُم (البحر الأحمر) ، ومع زيادة نشاطهم الملاحي؛ أصبحت السيادة لهم في هذا البحر ، واحتكروا تجارته؛ لاسيما بعد أن تمكنوا من حراسة سفنهم وصد هجمات القراصنة؛ التي كانت قد برزت؛ كظاهرة أقلقت البطالمة- آنذاك-[1]؛ لكنهم -مع ذلك- ظلوا يَحصَلون على منتجات الهند، وجنوب بلاد العرب عن طريق التُجّار العرب؛ الذين كانوا يُسيطرون على تجارة هذه المناطق؛ فلم تكن سفن البطالمة تتعدى ميناء عدن؛ حتى تمكنوا- فيما بعد- من الإبحار الى الهند مباشرةً؛ بعد أن تعرّفوا على أسرار الملاحة في المحيط الهندي، والبحر العربي؛ بما في ذلك معرفة اتجاهات الرياح - صيفًا وشتاءًا - الأمر الذي انعكس سلبًا على الطريق البري الممتد من جنوب بلاد العرب حتى غزّة؛إذ أصبحت سفن البطالمة تجلب منتجات الشرق عن طريق البحر الأحمر؛ مما قلل من أهمية، وحيوية هذا الطريق البري،المعروف باسم طريق اللبان - كما سبق ذكره-.

2- محاولات الرومانيين للسيطرة على طُرق ومنافذ التجارة مع الشرق:

تمكّن الرومانيون من إسقاط المملكتين- السلوقيين في سورية، والبطالمة في مصر- على التوالي ؛إذ استطاع بومبيوس(بومبي) الكبير السيطرة على سورية -كلها- حوالي 64 ق.م؛ لتصبح ولاية رومانية ؛ فأبقى على الحُكام المحليين مقابل أخذ الجزية السنوية منهم ، كما سمح لملك الأنباط الحارث الثالث(87-62) ق.م الاحتفاظ بدمشق -التي كانت تحت سيطرة الأنباط آنذاك- مقابل مبلغ كبير من المال[2].

وواصل الرومانيون الصراع الدولي ضد البارثيين ؛إذ قاد (كراكوس)- وهو الحاكم الروماني لولاية سورية، واحد أعضاء الحكومة الثلاثية للإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم آنذاك إلى جانبه؛ كلاً من بومبيوس ، ويوليوس قيصر- عدّة

1- أسمهان سعيد الجرو:(الحياة التجارية...) في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص111-112

2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص 308-309.

حملات على المملكة البارثية؛إلا أنه فشل في حملته الأخيرة بالقرب من(حرّان)، وقتِل هناك سنة 53ق.م؛ في الكمين الذي نُصيب له، ولرجاله هناك؛ لكن (كاشيوس) الذي خلفه في حكم سورية؛ تمكن من طرد البارثيين من سورية سنة 51 ق.م؛إذ انسحبوا منها بعد إدراكهم صعوبة مواجهة الجيش الروماني؛ الذي استعد، وانطلق من أنطاكيا[1].

لم يمر وقف طويل؛ حتى تفجّرت الصراعات بين الزعماء الرومانيين،وألقت بظلالهما على الولايات الرومانية؛ بما فيها سورية؛ حتى نجح يوليوس قيصر في الانتصار على بومبيوس سنة 48 ق.م[2]؛ ليصبح حاكم للإمبراطورية الرومانية لكن حكمه لم يدم طويلاً ؛إذ حكم أربع سنوات فقط؛ فقُتل سنة 44 ق.م، وتولى حكم الإمبراطورية اثنان من أبرز قادة الرومان؛ هما :أوكتافيانوس (أوكتافيان) حاكم على الولايات الإمبراطورية الغربية، وأنطونيوس(أنطونيو) حاكم على الولايات الشرقية[3].

استغلّ البارثيون الصراعات الداخلية –تلك- بين زعماء الحكومة الرومانية فهاجموا ممتلكات الرومانيين في سورية، وتمكنوا من الوصول إلى فلسطين سنة 40 ق.م؛ لكن الرومان استعادوا السيطرة على هذه المناطق؛ بعد أن شنوا الحرب على البارثيين بقيادة (هيرودوس) - أصبح حاكم على المقاطعة اليهودية فيما بعد؛ بمباركة مجلس الشيوخ الروماني - وقضوا على نفوذهم في فلسطين سنة 37ق.م[4].

نشب صراع جديد في الإمبراطورية الرومانية بين القائدين الرمانيين، لم يتم حسمه إلا بعد المعركة البحرية الشهيرة؛ التي دارت بين قواتيهما على صفحة الماء والمعروفة باسم (معركة أكتيوم) سنة 31 ق.م ؛إذ انتصر فيها أكتافيانوس على زميل الأمس(أنطونيو)؛ وانفرد بحكم الإمبراطورية؛ بعد أن استولى على كل الولايات الشرقية؛ بما فيها مصر التي أصبحت تحت السيادة الرومانية[5] ، و بعد حوالي أربع سنوات- أي سنة 27 ق.م- منحه مجلس الشيوخ الروماني؛ لقب (أغسطس) بمعنى

1- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجز الأول، ص 310 .

2- فكتور سحاب: الإيلاف ، ص 51.

3- ويل د يورنت: قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الكتاب التاسع،(الجزء الأول من المجلد الثالث) (الحضارة الرومانية)، القاهرة 1955م، ص 413.

4- فكتور سحاب: الإيلاف، ص51.

5 - ويل د يورنت: قصة الحضارة، الكتاب التاسع، (الجزء الأول من المجلد الثالث) الحضارة الرومانية، ص 418- 421.

(المحترم، الموقر)،هذا اللقب أعطاه هالة من القداسة، وحباه بحماية الدين، والإلهة ليبدأ عهدًا جديدًا- تحت قيادته- للإمبراطورية-الرومانية[1].

باستيلاء (أغسطس قيصر) على الولايات الشرقية (سورية ومصر) ، وتعيين الحدود بين إمبراطوريته، والمملكة البارثية، وتأمينها ؛ استقرت أوضاع الإمبراطورية الرومانية ، وبدأ يوجّه أنظاره نحو طُرق ومنافذ التجارة الشرقية (البرية والبحرية) ففي الوقت الذي أصبحت فيه السفن الرومانية ترتاد البحر الأحمر بأتجاه الموانئ الجنوبية لبلاد العرب، وموانئ الهند في سبيل الحصول على منتجاتها[2] ؛ قرر أغسطس قيصر إرسال حملة؛ بغرض السيطرة على بلاد العرب ؛لاسيما المناطق الجنوبية وبذلك يكون قد اقترب بتفكيره مما كان يخطط له الإسكندر المقدوني؛ بشأن تأمين المناطق المحيطة بإمبراطوريته ، وكذا الوصول الى مصادر التجارة الشرقية- التي ازداد طلب الغرب لها كثيرًا في ذلك الوقت- من خلال السيطرة على الطُرق البرية وموانئ شبه الجزيرة العربية- الجنوبية بالذات- التي تخرج منها هذه الطُرق.

كلف أغسطس قيصر نائبه على مصر إليوس جاليوس بتجهيز الحملة، وقيادتها فباشر الأخير بالإعداد لتلك الحملة في أغسطس 24 ق.م[3] ؛إذ تكونت من130 سفينة وعشرة آلاف جندي مشاة من الرومانيين؛ الذين في مصر، وأنصارهم من الأنباط واليهود ؛ لتنطلق الحملة من منطقة (كليو باتريس) (Cleopatris) المطلة على القناة التي تربط النيل ببحر القُلزُم (البحر الأحمر)-؛فوصلت إلى ميناء الأنباط (لويكي كومي) (Leuke-Come) بعد صعوبات، ومتاعب كثيرة؛ خسر الرومانيون فيها الكثير من سفنهم مع طواقمها، ومن هذا الميناء اتجهت الحملة نحو الجنوب؛ غير أنها لم تتجاوز مدينة (مارب)؛ التي حاصرتها لمدة ستة أيام؛ فأصابها - أي الحملة- الفشل الذريع في نهاية الأمر؛ لتعود أدراجها دون أن تحقق أهدافها التي انطلقت من أجلها ، وكان المؤرخ الروماني الشهير (استرابو) (Strabo) - وهو صديق شخصي

---

[1]- ول د يورنت: قصة الحضارة ، الكتاب التاسع ، الجزء الثاني من المجلد الثالث، ص12 ,وكذلك فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، ص311.

[2]- مصطفى كمال عبد العليم: (تجارة الجزيرة العربية مع مصر...)، في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني ، ص، 207-208.

[3]- اسمهان سعيد الجرو: موجز التاريخ السياسي...، ص 197.

لقائد الحملة إليوس جالوس، ومؤرخ هذه الحملة التي حدثت كما يقول في أيامه- قد حمّل الوزير النبطي سيلايوس (Syllaeus) - تذكره المراجع العربية باسم صالح- السبب في فشل هذه الحملة ؛ بعد أن اتهمه بالخيانة للرومانيين؛إذ أدين بها في روما؛ مع تُهم أخرى وجّهت له ، فقطع رأسه هناك[1].

كان يحكم الأنباط في هذا الوقت الملك عبادة الثالث (28-9) ق. م؛و كانوا على علاقة جيدة بالرومانيين أبان هذه الحملة؛ بدليل أن ملِكَهم سمح للوزير النبطي صالح بأن يكون المرشد، والدليل لجيوش هذه الحملة - يرى البعض أن صالح قام بعمل بطولي فيها ليُجنّب شعبه، وأرضه، وما جاورها؛ ويلات السيطرة الرومانية - كما أن الأنباط اشتركوا في هذه الحملة بحوالي 1000 جندي، إلى جانب اشتراك اليهود بحوالي 500 جندي[2]، بالإضافة إلى أنهم سمحوا للجيوش الرومانية استخدام ميناءهم واجتياز أراضيهم دون أي اعتراض؛ مع تقديم كافة التسهيلات لهذه الحملة.

في الواقع؛ لابد أن تكون هناك أسباب أخرى كثيرة متعددة، مختلفة أدت إلى فشل هذه الحملة في تحقيق أهدافها ، ومنعت الرومانيين من التغلغل المباشر إلى شبه الجزيرة العربية[3]؛إذ كانت خسارتهم فيها كبيرةً جدًا؛ جعلت أغسطس قيصر يُبعد عن تفكيره- نهائيًا- فكرة غزو هذه المنطقة مرة أخرى، وقد نصح من يخلفه في حكم الإمبراطورية الرومانية؛ في وصية تمّت قراءتها بعد وفاته في مجلس الشيوخ علنًا بأن عليهم الإبقاء على حدود الإمبراطورية كما هي؛ بحيث لا تتعدى صحراء العرب وصحراء أفريقيا جنوبًا[4]، لكن مسألة أيجاد نفوذ روماني في موانئ المحيط الهندي؛ ظل طموحًا يسعى من أجله هذا الإمبراطور؛ فعمل على تدعيم أسطوله في بحر القلزم (البحر الأحمر)، وتقويته ، كما أن حملة إليوس جاليوس- السابقة الذكر- ساعدت الرومانيين على إيجاد موطئ قدم في ميناء لويكي كومي(Leuke-Come)النبطي

---

1 - للمزيد حول أخبار هذه الحملة يُنظر: Strabo:The Geography, Bk.16, Ch.4,Sec.s22-24, P353-363.

2 - Strabo:The Geography, Bk.16, Ch.4,Sec.23,P.357.

3 - لمعرفة أسباب فشل الحملة يُنظر جواد علي: المفصل...،الجزء الثاني، ص43-58. كذلك لسمهان سعيد الجرو:موجز التاريخ السياسي...، ص199-201.

4- فكتور سحاب : الإيلاف، ص 56.

الأمر الذي مكنهم من تنشيط الملاحة الرومانية في هذا الممر البحري الحيوي فسيطروا على التجارة البحرية آنذاك ؛لاسيما بعد أن وجّهوا السفن القادمة من جنوب بحر القلزُم (البحر الأحمر) إلى ميناء ليوكوليمن(Leuko Limon) المصري وذلك مع نهاية القرن الأول ق.م، وبداية القرن الأول الميلادي لإفراغ تجارتها وحمُلاتها هناك؛ بدلاً من ميناء لويكي كومي ، ثم تُنقل- بعد ذلك- برًا إلى الإسكندرية هذا الأمر أثر كثيرًا على الطرق البرية بين مدن الأنباط، وغزة ؛ فحالة الضعف والتراجع التي شهده الميناء النبطي؛ انعكس على هذه المدن في هذا الوقت ، وهو ماراه البعض؛ أنه من الأسباب المهمة التي جعلت الأنباط يتحوّلون إلى الاستقرار الزراعي[1] كما خلق حالة من التنافس في مجال التجارة البحرية بين بحر القلزُم (البحر الأحمر) والخليج الفارسي (العربي) ؛ تفوّق الرومانيون من خلالها؛ بفضل أسطولهم الضخم في البحر الأحمر؛ لاسيما عندما انتعشت الملاحة هناك في القرنين الأول، والثاني الميلاديين[2].

ثانيًا- تعرُّف الغربيون على أسرار الملاحة في المحيط الهندي:

ظل المحيط الهندي مستعصيًا على الملاحيين الغربيين مدة طويلة من الزمان ؛إذ كانت السفن القادمة من بحر القلزُم (البحر الأحمر) ؛لا تتعدى ميناء عدن[3] تفرغ حمولتها في هذا الميناء ، وتشحن البضائع و السلع التي تحتاجها منه أيضًا- في أغلب الأحيان-إذ احتكر التجّار العرب التعامل مع الكثير من الموانئ المطلة على المحيط الهندي ، لاسيما الموانئ الهندية المصدّرة لأهم المنتجات الشرقية المطلوبة في الغرب ؛ فكانت منتجات هذه الموانئ-الهندية- إذا ما اتجهت بها السفن نحو جنوب بلاد العرب، يتم تفريغها في مينائي (قنا)أو(عدن)، ومنهما تُنقل إما برًا- كما سبق الحديث

1- فكتور سحاب : الإيلاف ، ص 61.

2- لمزيد من التفصيل حول انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في هذين القرنين ينظر أحمد طعمة يوسف الشقاح: (انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في القرنين الأول والثاني الميلاديين) أطروحة ماجستير؛ مقدمة إلى قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة عدن؛(غير منشورة).

3- The Periplus: Sec.26, P.32.

عنه- وإما بحرًا؛ بواسطة السفن التي تصل هذين الميناءين بغرض الحصول على هذه المنتجات[1].

أسرار الملاحة في المحيط الهندي- طرقها ، ومسالكها ، ومعرفة لاتجاهات الرياح الموسمية فيه(صيفًا وشتاءًا)- كانت من المعلومات التي احتفظ بها الملاحون العرب لأنفسهم؛ دون أن يُعلموها غيرهم من الشعوب؛ مثلهم في ذلك مثل الفينيقيين الذين احتفظوا بأسرار الملاحة في البحر الأبيض المتوسط ، ولم يدركها الإغريق؛ إلا فيما بعد[2].

على الرغم من نجاح اليونانيين في أيام الاسكندر المقدوني؛ في إرسال بعثة استكشافية عبر بحر القُلزُم (البحر الأحمر)؛ إلى المحيط الهندي- كما سبق الإشارة لها في هذا الفصل - وأيضًا نجاح التاجر اليوناني (إيودوكسوس)- الذي جاء إلى الإسكندرية في عهد بطليموس الثاني (283-245) ق.م؛ قادمًا من مدينة (كيزيكوس) على بحر مرمرة- في الوصول إلى الهند ، وجلب منها السلع الثمينة؛ كالطيوب والتوابل، والأحجار الكريمة ، وذلك بفضل أحد الهنود الذي كان دليله في هذه الرحلة وعندما استولى الملك على هذه الشحنة ؛ عاد مرةً ثانيةً إلى الهند، فأتى بشحنة أخرى تحوي مثل تلك السلع ، لكن السُلطة الملكية استولت عليها أيضًا[3]، على الرغم من هذه النجاحات في الوصول إلى الهند عبر بحر القُلزُم (البحر الأحمر) ؛ إلا أن رحلات السفن من مصر إلى الهند - مباشرةً- لم يُكتب لها النجاح ، والاستمرارية، والانتظام، إلا بعد أن تمكن الملاح اليوناني(هيبّا لوس) (Hippalus) من التعرُّف على أسرار الملاحة في المحيط الهندي ؛إذ أشار صاحب كتاب الطواف إلى أن (هيبالوس) ملاح تعرَّف على مواقع الموانئ، وأحوال البحرِ،وكانَ أول من اكتشف كيف يسير في طريقه مباشرة عبر المحيط[4].

1- حسن صالح شهاب: أضواء ...، ص 188.
2- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص 104.
3- مصطفى كمال عبد العليم:(تجارة الجزيرة العربية مع مصر ...)، في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية- الكتاب الثاني، ص 205.
4- The Periplus: Sec.57, P. 45.

بتوصُّل هذا الملاح إلى معرفة أسرار الملاحة في المحيط الهندي؛ تمكن حُكّام مصر -لاسيما الرومانيون- من تسيير رحلات منتظمة إلى الهند؛ أدّت- دون أدنى شك- إلى تنشيط الملاحة في بحر القلزُم (البحر الأحمر) ، فازداد النشاط التجاري البحري الأمر الذي ترك أثره السلبي على التجارة البرية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال؛ بعد أن أصبحت المنتجات الشرقية تصل إلى مصر عن طريق بحر القلزُم (البحر الأحمر)، ثم من الإسكندرية يتم تصريفها إلى الموانى المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

ومن الأمور المهمة-أيضًا- التي ساعدت- كثيرًا- في انتعاش الملاحة في بحر القلزُم (البحر الأحمر)، والمحيط الهندي- على حساب الطُرق البرية في بلاد العرب- هو التطور الكبير في صناعة وسائل النقل البحري (السفن)؛ من حيث الحجم والأشرعة، وزيادة عدد المجاديف في السفينة[1].

وهكذا ؛ فأن الصراع الدولي بين قوى الشرق، والغرب حول منافذ، وطُرق التجارة البرية، والبحرية ، وتعرُّف الغربيون على أسرار الملاحة في المحيط الهندي مع ما صاحبه من تطور في صناعةِ السفن ؛ كل ذلك شكل- بمجمله- أهم الأسباب التي أدّت إلى تراجع النشاط التجاري للطُرق البرية؛ التي تربط شبه الجزيرة العربية وسورية مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد ؛ وإن لم تتوقف حركة القوافل فيها ، وفي الوقت ذاته ساهمت بفعاليةٍ في انتعاش التجارة البحرية؛ لاسيما التجارة عن طريق بحر القلزُم (البحر الأحمر).

1- رضاء جواد الهاشمي:(تجارة القوافل ...)، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن(19) الميلادي، ص24-25. لمزيد من التفصيل حول تطور صناعة السفن آنذاك؛ يُنظر أحمد علمسة الفتاح: انتعاش الملاحة ...، أطروحة ماجستير، الفصل الخامس.




الفصل الخامس:

التأثيرات الفنية القادمة من سورية نحو شبه الجزيرة العربية




التأثيرات الفنية القادمة من سورية نحو شبه الجزيرة العربية

أدّى النشاط التجاري بين شبه الجزيرة العربية، وسورية دورًا كبيرًا في ظهور صِلات متنوعة بين المنطقتين؛ هذه الصّلات، والعلاقات تتجلى بشكل واضح في كثير مـــن التأثيرات السياسية، والاجتماعية، والحضارية، وكذلك الفنية، والفكرية؛ التي برزت في عدد من اللقى الأثرية المستوردة، أو التي يظهر عليها التأثير الخارجي؛ كما هو الحال في جنوب شبه الجزيرة العربية[1] ، وشرقها[2] - على سبيل المثال-.

ومن بين الأنشطة الإنسانية المختلفة؛ تبرز الفنون؛ كمجال خصب، وصادق يمكن الاعتماد عليه لمعرفة تلك التأثيرات، ومداها ، والتي- بلا شك - كانت التجارة سببًا رئيسًا في نقلها، وظهورها ، وهذا- بالطبع- لا يقلل من شأن المجالات الإنسانية الأخرى في هذا الإطار ، ففي الجانب الاجتماعي- مثلاً- هناك عمود حجري مكتمل وبقايا أعمدة تم العثور عليها ضمن بقايا معبد (رصافم) في قرناو- عاصمة مملكة معين- تحوي عددًا من الوثائق المنقوشة؛ بلغ عددها 84 وثيقة ، يفهم منها زواج عدد من التُجّار المعينيين؛ بأجنبيات ينتمين لأمم، وشعوب، وممالك مختلفة؛ تعامل المعينيون معها تجاريًا، منهن نساء من سورية -لاسيما غزا وصيدا- ومن اليونان[3]. كما تمّ العثور على مقبرتين من نوع المقابر العائلية في أطلال الفاو، قرية(ذات كهل)؛ وهي شبيهة لمقابر وجدت في فلسطين، ومناطق أخرى من سورية[4].

1- كلاوس شيبمان : تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية ، ترجمة د. فاروق إسماعيل ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، سلسلة بحوث ودراسات(10)، صنعاء 2002م، ص156.

2- رضا جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، ص138 ،139.

3- لمزيد من التفصيل يُنظر سعيد بن فايز إبراهيم السعيد(يناير 2002م):(زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة) مجلة أدوماتو، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، العدد الخامس،الرياض، ص 53- 70.

4- عبد الرحمن الطيب الأنصاري :(أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاو ونقوشها)، في كتاب دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ؛ الكتاب الأول ، الجزء الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية) ، الرياض 1979، ص6.

تُعد سورية الأرض التي صدّرت الكثير من التأثيرات الحضارية، والفنية وعبرها-أيضًا- مرّت تأثيرات مختلفة قادمة من مناطق شمال البحر الأبيض المتوسط باتجاه شبه الجزيرة العربية؛ لاسيما إلى تلك المناطق التي مارست النشاط التجاري، أو التي كانت التجارة؛ تمر عبر أراضيها- جنوب شبه الجزيرة العربية، وشرقها ومناطق الأنباط - إذ تُظهر فنون هذه المناطق بعض التأثيرات الآرامية واليونانية، والهلينستية، والرومانية ؛لاسيما في مجالات الكتابة، والعمارة، والنحت والرسم، والزخرفة، وبعض المصنوعات الخزفية؛ فقد كشفت البعثات الآثارية المختلفة التي عملت في هذه المناطق؛ عن هذه التأثيرات؛ في البقايا الأثرية التي عثرت عليها هناك.

ويمكن الوقوف على هذه التأثيرات الفنية؛ في مناطق شبه الجزيرة العربية من خلال الاستعراض التالي:

أولاً- جنوب شبه الجزيرة العربية:-

مارست الممالك الجنوبية؛ كغيرها من مناطق العالم القديم مختلف أنواع الفنون المعروفة آنذاك، وعلى الرغم من أن البقايا الأثرية، بينت الطبيعة، والخصائص المحلية لهذه الفنون، إلا أنها- أيضًا- أفرزت ما يمكن أن يؤكد وجود تأثيرات خارجية مختلفة؛ بما في ذلك التأثيرات القادمة من سورية، وما مر عبرها من ثقافات وحضارات متنوعة[1] ؛إذ أظهرت بعض المعطيات الأثرية؛ التي عُثر عليها في مناطق متفرقة من الأراضي التابعة لهذه الممالك؛ تقاربًا فنيًا واضحًا بين مدن جنوب بلاد العرب- تمنع، وشبوة مثلاً- مع المدن السورية -لاسيما مع مدن الجنوب- بالإضافة إلى المدن البارثية في فارس[2].

مهارات، وفنون سورية الهلينستية، وفنون العالم الكلاسيكي؛ امتزجت مع فنون الممالك الجنوبية في أعمال فنية مختلفة ، وظهر ذلك في كثير من التماثيل

1- فان بيك (مايو 1978م) :(تاريخ العربية الجنوبية وآثارها)، ترجمة رضاء جواد الهاشمي، مجلة التراث،المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المجلد الثاني، العدد الثاني، عدن، ص 104.

2- جان فر انسوا بريتون :(شبوة والحواضر اليمنية القديمة) في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص175

والمنحوتات، والرسومات ، وفي الفخار ، وفي فنون العمارة، وزخرفتها ، وكذلك فيما أبدعه الفنان على النقود، والواح، وأعمدة النقوش، وغيرها من الأعمال.

من أهم بعثات التنقيب الآثارية؛ التي عثرت في المعطيات الأثرية؛ ما يؤكد هذا التأثير:

أ- البعثة الاثارية البريطانية؛ بقيادة عالمة الآثار (كاتن تومبسون)، قامت بأعمال التنقيب في منطقة حريضة (مذبم القديمة)،وذلك في موسم 1937- 193م[1].

ب- البعثة الأثرية الأمريكية؛ التابعة للمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان؛ بقيادة العالم (ويندل فيليبس) ، والعالم (وليم البرايث)؛ قامت بأعمال التنقيب الآثاري في أربعة مناطق مختلفة؛ ففي موسم (1950م-1951م)؛ كان عملها في وادي بيحان؛ داخل حدود مملكة قتبان، وفي موسم (1951م-1952م)؛ نقلت عملها إلى مارب - عاصمة مملكة سبأ- لكنها لم تكمل هذا الموسم في هذا الموقع ؛إذ انتقلت البعثة إلى ظفار في سلطة عمان؛ ضمن أراضي مملكة حضرموت؛ و ذلك في موسم (1952-1953م) فنفذت تنقيبات في مدينة سمهر؛ قرب صلالة[2] .

ج- البعثة الأثرية الفرنسية؛ التي قادتها جاكلين بيرن، ثم جان فرا نسوا بريتون؛ التي قامت بأعمال التنقيب الآثاري في مدينة شبوة - عاصمة حضرموت- و نفذت حفرياتها منذ عام 1974م إلى 1987م[3].

د- البعثة الاثارية الإيطالية ؛ بدأت أعمال التنقيب في اليمن منذ عام 1983م ومن أهم المناطق التي عملت فيها: يتل(براقش اليوم)؛ من مدن مملكة معين؛ وذلك منذ عام 1986م[4]، وكذلك (يلا) السبئية؛ والتي كشفت عنها البعثة في عام 1987[5].

---

[1]- فان بيك(مايو 1978م): تاريخ العربية الجنوبية وآثارها ، ص90 .

2- فان بيك: المرجع ذاته ، ص96-98. ولمزيد من المعلومات حول أعمال التنقيب الأثري لهذه البعثة يُنظر ،

Frank. P. Albright: The American Archaeological Expedition In Dhofar, Oman, 1952 –1953, Washingtion, 1982

[3]- جان فرانسو بريتون:(مقدمة : حفريات شبوة (2) تقارير أولية 1991م) في كتاب شبوة عاصمة مملكة حضرموت، ص11.

[4]- اليساندرو دي ميغريه: (يلا) ، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبا ،138.

5- تقع (يلا) على بعد 30كم تقريبا، جنوب غرب مارب، اليساندرو دي ميغريه، كرستيان روبان :التنقيبات الإيطالية في (يلا)، معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام ، ترجمة د. منير عربش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية(صنعاء) ، معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي

هـ- البعثات السوفيتية اليمنية المشتركة؛التي قامت بأعمال التنقيب الآثاري في مواقع متفرقة من جنوب اليمن؛لاسيما في قنا، وريبون- في إطار ملكة حضرموت-[1]؛وذلك ضمن مواسم تنقيبية عديدة؛ منذ عام 1983م حتى 1991م.

يمكن الحديث عن بعض النماذج من المعطيات الأثرية؛ التي عثرت عليها هذه البعثات الآثارية؛ في المناطق التي تدخل ضمن نطاق الممالك الجنوبية القديمة وتعطي دلائل على وجود تأثيرات فنية مختلفة؛ قادمة من سورية، أو عبرها؛ كنتاج طبيعي للتبادل التجاري بين المنطقتين.

بداية؛ سيتم الوقوف أمام ما هو مستورد من هذه النماذج؛ إذ تمّ العثور على الكثير من القطع الأثرية المستوردة ، منها- على سبيل المثال لا الحصر-: قِطَع فخارية؛ وجدت في أماكن متفرقة؛ في (تمنع)،و(شبوة)، والكثير منها في(قنا)؛إذ يتضح من خلال البقايا الفخارية في (قنا)؛ أن نسبة الفخاريات المستوردة وصلت إلى 80% من مجموع القطع المكتشفة هناك؛ أكثرها تُعد بقايا لجرار مخصّصة لوضع السوائل (Amphora)، وهذه الفخاريات مستوردة من أماكن مختلفة منها :أفريقيا والشرق العربي، واليونان، وإيطاليا[2]. كما تمّ العثور على بقايا زجاجة في موقع ميناء (قنا)؛ صُنعت في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ؛ يُقدّر أنها استخدِمت في تجارة الخمور المستوردة[3]، ولاشك في أن الأوعية الزجاجية المستوردة- في أغلبها- كانت ترد جنوب بلاد العرب من سورية، ومصر ؛ فالمصّريون- كما هو معروف- أول من اخترع صناعة الزجاج ؛ بينما الفينيقيون على الساحل السوري؛ برعوا في هذه الصناعة، وعملوا على تصدير منتجاتهم الزجاجية إلى مختلف مناطق العالم القديم آنذاك[4].

يُضاف إلى كل ذلك؛ ما عُثر عليه في مقابر حريضة؛ في وادي عمد- أحد الأودية المغذية لوادي حضرموت- حيث عثرت البعثة البريطانية؛ بقيادة (كاتن

1- يوسف محمد عبدالله : (مدخل) ، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص 17 .

2- كلاوس شيبمان : تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص164-165. وكذلك فان بيك (مايو 1978م): (تاريخ العربية الجنوبية وآثارها)، مجلة التراث، ص 107.

3- الكسندر سيدوف : (قنا، ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط)، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص 195.

4- جورج كونتنو: الحضارة الفينيقية ، ص 268.

تومبسون)؛ على خرز شبيه بالخرز السوري؛ المصنوع فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد[1].

هناك الكثير من الإنتاجات، والأعمال الإبداعية؛ ثمّ العثور عليها، أو على بقاياها ورغم أن إنتاجها كان محليًا ؛ إلا أنها تحمل تأثيرات فنية قادمة من سوريّة، أو غيرها. ولأن ما عُثر عليه من هذه اللقى كان كثيرًا؛ سيتم الاكتفاء بذكر أهم، وأبرز نماذجها التي قد تعطي صورة عن مدى هذه التأثيرات.

في فن النحت، والزخرفة المعمارية، والرسوم الجدارية؛ يعطي قصر شبوة الملكي؛ المعروف باسم (شقير)- كشفت عن خباياه البعثة الفرنسية اليمنيّة- أمثلة كثيرة لهذه التأثيرات[2]؛ فأعمدة القصر الجيرية التسعة؛ تحوى الكثير من الزخارف الهلينيستية؛ كغصون الكروم، وعناقيد العنب ، كما أن تيجان هذه الأعمدة؛ تحمل حيوانًا خرافيًا؛ يرفع إحدى قدميه الأماميتين فوق جرة ، وهو أسلوب فني عُرف في سورية في الفترة الهلينيستية(يُنظر صورة 1) ، ومن خلال بقايا الرسومات الجدارية التي وجدت في الأروقة الداخلية للقصر ،وتمّ ترميمها بعد أن كانت قد تعرضت للتلف والتدمير ،هناك صورتان؛ إحداهما تُبرز صورة امرأة؛ بخمار أبيض ، ويظهر تفاصيل ثوبها، وحليّها والأخرى؛ تُظهر فيها صورة رجل؛ بلباس يوناني؛ ممسك بلجام حصان ، يتضح من هذين الرسميين أنهما يشبهان تلك الرسوم التي وجدت في سوريّة وبلاد الرافدين؛ إذ عُثر لهما على نظائر هناك[3].

في مجال العمارة الدينية؛ فأن معبد الإله (نكرح)؛ في مدينة يثل(براقش) المعينية؛ في وادي الجوف؛ الذي كشفت عنه البعثة الإيطالية في موسمي (1990-1992م)؛ يلاحظ بأنه شُيّد على عدة مراحل؛ أو أطوار ، ورأت هذه البعثة بأن

---

[1]- فان بيك(مايو 1978م): تاريخ العربية الجنوبية وآثارها ، ص90-91. كذلك G.Caton Thompson: The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut), Reports of the Research Committce of the Society of Antiquaries of London No. XIII, P. XL.

[2]- كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص159. كذلك جان فر انسوا بريتون (شبوة والحواضر اليمنية القديمة) في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة ، ص175.

3- لمزيد من التفصيل حول النحت، والرسوم، والزخارف في قصر شبوة الملكي يُنظر ريمي أودان: (النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي)، ص78-84. كذلك لو لست فيل: (ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي)، ص85-87، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة.

الطورين الأخيرين لتشييده؛ يُظهران تأثير العالم الكلاسيكي بوضوح؛ وذلك في الإضافات العمرانية لبنائه، كما أنه تمّ العثور في ملحق هذا المعبد؛ على عدد من التماثيل لوجوه نسائية؛ أحدها يَظهر فيه التأثير الإغريقي؛ الذي أدخله المعينيون في فنونهم[1]؛ (يُنظر صورة 2).

من بقايا المنحوتات، والتماثيل- وهي كثيرة- يمكن- أيضًا- ملاحظة تلك التأثيرات الفنية الخارجية القادمة من سورية ، وذلك في عدد كبير من هذه القِطع ؛إذ تُظهر بعضها أعمالًا مشتركة؛ لفنان يمني مع فنان يوناني، أو روماني- منها على سبيل المثال- : التمثالان البرونزيان الكبيران؛ اللذان يتجاوز حجمهما الحجم الطبيعي لإنسان اليوم (237-238) سم؛ وقد عُثر عليهما سنة 1931م؛ في منطقة نخلة الحمراء*، يوجدان-اليوم- في المتحف الوطني في صنعاء ، يُمثل هذان التمثالان العاريان؛ سيدين حميريين (ملكي سبأ ود وريدان)- الأب وابنه- وعلى ركبتي تمثال الابن؛ نقشان،أحدهما مكتوب بالخط، واللغة اليونانية(يُنظر صورة 3)؛ يذكر بأن من قام بهذا العمل؛ هو فنان يوناني يدعى (فوكاس)، بينما النقش الآخر؛ مكتوب باللغة السبئية ؛ ويذكر أن من ساعد في العمل؛ هو فنان يمني يدعى(لحي عم)، وهو الذي عمل على تركيب أجزاء التمثال[2]، هذا- بالطبع- يُوفر مثالًا صادقا على انتقال التأثيرات الكلاسيكية إلى جنوب بلاد العرب؛ وذلك من خلال وجود فنانين من العالم الكلاسيكي؛ يعملون في مدن، وقصور الممالك الجنوبية[3].

تمثال آخر يُعد من الحجم الكبير، ويعرف بتمثال (معدي كرب) (يُنظر صورة 4)؛ مصنوع من البرونز؛ يبلغ ارتفاعه (93)سم ، تمّ العثور عليه في معبد(أوام) في مارب ، ويعود للقرن الرابع قبل الميلاد، أو أبعد ، يوجد اليوم في المتحف الوطني في صنعاء عثرت عليه البعثة الأمريكية؛ في خمسينات القرن العشرين ، تُظهر على هذا

1- اليساندرو دي ميغريه : (بتل) ، كتابُ اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص 138- 139 .

* نخلة الحمراء تقع جنوبي جبل كلبن ، إلى الشرق من طريق صنعاء - ذمار.

2- كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية ، ص156-157. وكذلك لو نست فل : (الفنون في مدرسة اليونان وروما) في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص 198-199م.

3- لو نست فل:(ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي) في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة ص 87.

التمثال تأثيرات قبرصية - إغريقية ، وتأثيرات فينيقية، وحثية (سورية)؛ وذلك من خلال غطاء الرأس، والملابس، وطريقة الوقوف ، بالإضافة إلى ما يتحلى بها من زينة عُرفت في تلك المناطق في ذلك الوقت[1].

ومن أمثلة ذلك التأثير في جانبي فن النحت، وعمل التماثيل- أيضًا-؛ تمثالان برونزيان لأسدين؛ يمتطيهما طفلان؛ يمثلان إله الحب عند الإغريق(كيوبيد) (يُنظر صورة 5)؛ عثرت عليهما البعثة الأمريكية؛ في قصر؛في مدينة تمنع ، وذلك بالقرب من الباب الجنوبي الغربي، ويعودان لزمن ما بين (75 قبل الميلاد و 50 ميلادية) يوجدان اليوم في قاعة (آرثر ساكلر)، في متحف واشنطن، بعد أن أودعتهما هناك المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان ، وعلى الرغم من أن العملين- على ما يبدو- قد أنجزا محليًا؛ في تمنع وتظهر في قاعدتيهما كتابة عربية جنوبية؛ تُبيّن أن صاحبيهما (أب وابنه)؛ هما صاحبا القصر، إلا أن التأثيرات اليونانية،والهلينيستية يظهران عليهما- بجلا- وذلك لان مثل هذا النوع من الأعمال الإبداعية؛ وجد- كثيرًا- في اليونان، والمناطق المجاورة لها، والخاضعة لتأثيراتها بما في ذلك سورية ، فهذان التمثالان- هما الآخران -يُقدّمان ما يؤكد وصول التأثيرات الفنية- تلك- إلى ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية[2].

القطع الأثرية التي تُظهر مدى التأثيرات الأجنبية على فن بناء التماثيل في جنوب بلاد العرب كثيرةً جدًا ؛ فهناك تمثال عُثر عليه في وادي مرخة -ضمن ثلاثة تماثيل لملوك أوسانيين -وهو يُمثّل الملك الأوساني (يصدق ايل فارع شرع عث)، ويعود للقرن الأول الميلادي ، يرتفع التمثال (70 سم)، يوجد اليوم في متحف عدن الوطني يُظهر التمثال؛ تأثير الفن الروماني؛ وذلك من خلال ثياب الملك؛ الشبيهة بالثوب الروماني الفضفاض[3](يُنظر صورة 6).

عثرت البعثة الآثارية الفرنسية في القصر الملكي في شبوة؛ أثناء التنقيبات في موسم 1976م ، وموسم 1980 م؛ على بقايا عاجية مزخرفة، بلغ عددها أكثر من مائة

1- كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية ، ص157.

2- كلاوس شيبمان: المرجع ذاته، وكذلك أرلست ايليه (الفنون في مدرسة اليونان وروما) في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص 202.

قطعة؛ بحيث شكلت أكبر، وأهم كمية من العاج عُثر عليها في المنطقة، وعلى بعض من هذه القطع؛ تظهر تأثيرات خارجية؛ ربما أهمها التأثيرات الزخرفية اليونانية-الرومانية، كما أن الزخرفة النباتية فيها تشبه ماهو موجود في العاج السوري والمصري[1].

في منطقة (أم حنيكة)؛ في وادي ضُرا، في محافظة شبوة؛ عثر في عام 1984م على لقى أثرية، قامت البعثة الآثارية الفرنسية -على اثر ذلك- ببحث ودراسة المكان لتكشف عن مقبرة؛ تمتد على أكثر من 100م طولاً؛ وسط حقول قديمة أعيد زراعتها حديثًا، احتوت المقبرة على أربعة قبور؛ كان أهمها القبر(رقم 3) ؛إذ أوضحت محتوياته؛ بأنه قبر لقائد حربي؛ فأطلق عليه (قبر القائد الحربي)؛فإلى جانب الهيكل العظمي للقائد؛ تمّ العثور على الكثير من القطع؛ موزعة على يمين، ويسار، وعند قدمي المتوفى، وهي مصنوعة من الذهب، والفضة، والبرونز، والعاج، والزجاج وشملت سيف، وحلي، وأواني زجاجية، وسكاكين حربية، ومغرفة، ومبخرة، وجرة وعلبة من الفضة، وأشياء أخرى(يُنظر صورتا 7 و8)، وبدراسة هذه المواد؛ تمّ الكشف على أن الكثير منها تحمل تأثيرات خارجية؛ على الرغم من أن أكثرها مصنوع محليًا ؛ فهي تحمل زخارف حيوانية، ونباتية ذات تأثير إغريقي- روماني وبعض هذه القطع لاسيما الزجاجية، والعاجية؛ يُعتقد بأنها مستوردة؛ قدمت إلى المنطقة عن طريق التجارة مع سورية، وبلاد الرافدين، ومصر[2].

كثيرة هي الشواهد الأثرية؛ التي تدل على وجود تأثيرات فنية خارجية(يُنظر صورة 9)؛ شاركت فنون جنوب شبه الجزيرة -آنذاك- وعلى الرغم من العثور هناك على قطع، وأعمال فنية؛ تمّ إنجازها خارجيًا؛ إلا أن ماتمّ صنّعه محليًا؛ يشهد- بجلاء- على إبداع الفنان في جنوب بلاد العرب؛ وإن ظهر على إنتاجه التأثير الخارجي -لاسيما- اليوناني والروماني.

---

[1] - جان كلود بيال:(الصندوق العاجي من قصر شبوة)، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص88 وص97.

[2] - ريمي اودوان: (وادي ضرا) في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبا، ص212-214، ولمزيد من التفصيل يُنظر جان فر انسوا بريتون ومحمد عبد القادر بافقية : كنوز وادي ضُراء ، المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى ، المكتبة الأكيولوجية ، المكتبة الشرقية بول جوتنر، مجلد 141، باريس 1993م، ص13- 23 .

من المعروف أن التأثيرات اليونانية، والهلينيستية، والرومانية على كثير من مناطق العالم القديم؛ كانت شديدة، وامتدت إلى مجالات أخرى غير الفنون ، إلا أن ممالك جنوب بلاد العرب- كما اتضح- لم يتعدَّ تأثرهم بها مجال الفنون؛ فكان تأثير تلك الثقافات، والحضارات عليها طفيفا؛ مقارنة بالمناطق الأخرى من العالم القديم[1]، وفي ذات الوقت؛ وصول هذه التأثيرات يُعطي دليلاً على أن هذه الممالك لم تُغلق على نفسها؛ بل أنها تواصلت مع العالم الخارجي على المدى القريب، والبعيد مما سمح بإنتاج فنون مبتكرة، ومميزة[2].

ثانيًا- شرق شبه الجزيرة العربية:

أدت المراكز الحضارية في شرق بلاد العرب؛ دورًا مميزًا في التجارة الدولية بين الشرق والغرب؛بما احتلته من مواقع مهمة على سواحل الخليج الفارسي (العربي) الغربية ، وما ينطلق منها من طُرق برية؛ تتجه نحو أقسام شبه الجزيرة العربية الأخرى من جهة ، وباتجاه العراق، وسورية من جهة أخرى؛ فكان طبيعيًا أن تتعرض هذه المنطقة للتأثيرات الخارجية في جوانب مختلفة.

على الرغم من شدة تفاعل الأقسام الشرقية لبلاد العرب مع حضارة وادي الرافدين شمالاً ، وجنوب شبه الجزيرة العربية جنوبًا ، مع وجود تأثيرات لشبه القارة الهندية، ووادي السند[3] ؛ إلا أن المعطيات الأثرية هناك- في شرق بلاد العرب- لاتخلو من التأثيرات القادمة من سورية ؛ بما في ذلك تأثيرات الحضارتين اليونانية والهلينيستية ، ومع كل ذلك لايمكن إغفال الطابع المحلي؛ الذي تميّزت به حضارة سكان هذه المنطقة ؛ فالبقايا الأثرية لمدنهم، ومبانيهم، ومعابدهم، وما يرتبط بكل ذلك من فنونٍ مختلفة؛ أبرزت الطابع المحلي لإنجازها[4] ، وهي لا تقل شأنًا، أو مكانة عمّا وجد في المجتمعات، والحضارات المعاصرة لها.

1- لرنست فيل: (الفنون في مدرسة اليونان وروما)، في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ ، ص202.
2- لرنست فيل: (ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي)، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة ص 87.
3- رضا جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، ص 100.
4- سليمان سعدون البدر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد)، الكويت 1974م، ص26.

بذل الكثير من المهتمين، والهواة؛ منذ أواخر القرن التاسع عشر؛ جهودًا مضنية لدراسة تاريخ،وحضارات مناطق شرق بلاد العرب،أمثال(الكابتن ديوراند) و(يتودور بنت)- الذي اعتقد بأن مقابر البحرين تعود للفينيقيين؛ قبل أن يهاجروا من الخليج العربي ؛مؤيدًا ما ذهب غليه هيرودوت؛ بأن الفينيقيين إنما قدموا من شرق بلاد العرب- وكذلك (الجنرال شكسبير) و(روبنسون)، (كور نوال) ، و(جيزمان) وغيرهم ، وهم الذين قاموا بدراسة بعض المواقع الأثرية، والمقابر في البحرين والأحساء، وثاج[1] ؛ إلا أن دراساتهم تلك؛ رغم أهميتها؛ لم ترتق إلى المستوى المطلوب؛ من حيث البحث، والانتشار في مواقع متعددة؛ في شرق شبه الجزيرة العربية؛ ربما بسبب محدودية الإمكانيات المختلفة؛ بما في ذلك الإمكانيات العلمية مقارنة بما هو متوفر اليوم ، ويمكن القول : إن أعمال التنقيبات الأثرية العلمية والمنظمة، والواسعة في هذه المنطقة؛ كانت بدايتها في خمسينيات القرن العشرين وذلك عندما بدأت البعثات العلمية الآثارية الأجنبية المختلفة؛ بدراسة مواقعها الأثرية وهي التي توصلت إلى نتائج؛ غيّرت الكثير من استنتاجات العلماء، والمهتمين السابقين ، كما أن اللقى الأثرية التي عثرت عليها هذه البعثات؛ ساهمت في معرفة الأنشطة المختلفة التي أدتها هذه المنطقة؛ بما في ذلك النشاط التجاري، وكذلك معرفة مدى التأثيرات المختلفة التي صاحبت هذه الأنشطة؛لاسيما تلك التي طرأت على فنونها ، ومنها التأثيرات القادمة من سورية، أو غيرها.

يعود الفضل في هذه البداية العلمية، والمنظمة لبعثات الآثار؛ إلى البعثة الدنمركية للتنقيب الآثاري؛ التابعة لمتحف ما قبل التاريخ في جامعة مدينة أرخوس (ارهوس) الدنمركية ، والتي بدأت أول مواسمها التنقيبية عام 1954م؛ برئاسة (كلوب) أمين المتحف، وبمساعدة الآثاري الشهير(بيبي) ، غطت أعمال هذه البعثة مواقع متفرقة؛ في كل دول الخليج العربي ، وبذلت جهودًا كبيرةً؛ استطاعت من خلالها الخروج بنتائج علمية بارزة ، أهمها اكتشافها لعاصمة دلمون القديمة؛أسفل جدار القلعة البرتغالية (قلعة البحرين اليوم) ، وكذلك اكتشافها لبعض المعابد القديمة

1- سليمان البدر: منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، ص26.

في جزيرة (فيلكا)؛ وما حصلت عليه؛ من لقى أثرية مهمة؛ في هذه المعابد ، كما كان لهما الفضل في الكشف عن موقع مدينة (ثاج) ، وغيرها من المكتشفات المهمة التي مكنتها من رسم تصوّر واضح عن النشاط الإنساني، والحضاري القديم في هذه المنطقة؛ بما في ذلك النشاط التجاري الدولي ؛ فكان لها الفضل في جذب اهتمام الكثيرين من المهتمين بالآثار؛ وبالذات سلطات الاختصاص في دول الخليج . توقفت أعمال هذه البعثة التنقيبية في شرق شبه الجزيرة العربية؛ مع بداية السبعينيات في القرن العشرين[1].

مع توقف البعثة الدنمركية؛ بدأت السلطات الآثارية المحلية؛ الناشئة في دول الخليج العربي؛ نشاطاتها في هذا المجال ، وذلك بإقامة مواسم تنقيبية في مواقع متفرقة في أراضيها ، وكانت البداية في الكويت عام 1972مح برناسة(رشيد الناصوري)[2] ؛إذ نشرت هذه البعثات المحلية نتائجها في تقارير؛ تضمنتها دوريات ومجلات آثارية متخصصة؛ صدرت في دول الخليج ، ومن جانب آخر بدأت الجهود العربية المنظمة في مجال التنقيب في شرق شبه الجزيرة العربية؛ وذلك من خلال إرسال بعثات آثارية؛ تعمل في حقلي التنقيب، والصيانة، وباشرت أعمالها في دولة الإمارات العربية المتحدة ، أما فيما يتعلق بالبعثات الأجنبية؛فقد قام الفرنسيون بدراسة مواقع أثرية في الإمارات[3]، يُضاف إلى ذلك؛ بعثات آثارية؛ أرسلتها بعض الجامعات الأوروبية إلى هذه المنطقة؛ منها: جامعة هوبكنز؛ التي قامت بأجراء دراسات آثارية في فيلكا ، وجامعة فينيسيا الإيطالية؛ التي- هي الأخرى- قامت بالبحث الآثاري في جزيرة فيلكا؛ في أواخر عام 1976م[4]، وغيرها من البعثات.

من البقايا ، واللقى الأثرية التي عثرت عليها بعض من هذه البعثات،وجدت بها ما يؤكد وصول تأثيرات أجنبية قادمة من سورية إلى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية- بفعل نشاطها، ودورها المتميز في مجال التجارة الدولية آنذاك- هو

1- رضا جواد الهاشمي : آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، ص96.
2- سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، ص26
3- لمزيد من التفصيل عن النشاط الآثاري في شرق شبة الجزيرة العربية، وبعثات التنقيب، ونتائجها يُنظر رضا الهاشمي : آثار الخليج العربي والجزيرة العربية،ص 91-100.
4- سليمان البدر: منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، ص26 [illegible]

ما اكتشفته البعثة الدنمركية في شرق بلاد العرب ، وذلك بتعيينهم موقع حاضرة دلمون القديمة ، والتي تقع تحت القلعة البرتغالية- التي شيدها البرتغاليون والمعروفة اليوم بأسم (قلعة البحرين)- ؛إذ كشفت البعثة النقاب عن أن هذه القلعة بُنيت فوق أنقاض ست طبقات أثرية؛ تمتد زمنيًا منذُ الألف الثالث قبل الميلاد حتى العهد الإسلامي ، وفي الطبقة الأثرية الخامسة- وهي الأهم بالنسبة لهذه الدراسة- وجدوا أن ملامح المدينة تشير إلى أنها تعود إلى الزمن الهيلنيستي ؛إذ كشفوا عن لحود فخارية تحوي هياكل عظيمة لأفاعي ، وتقع هذه اللحود في أسفل أرضية الغرف؛ في دور السكن، وهذه اللحود شبيهة باللحود الحجرية الهلينيستية ؛ إلا أن دفن الأفاعي- لذاك- لم يتم الكشف عن أسبابه، وإن كان المرجح لأسباب، وطقوس دينية؛ غير معروفة حتى الآن[1].

من خلال البقايا الأثرية لجزيرة فيلكا؛ يُلاحظ مدى اهتمام الإسكندر المقدوني وخلفائه السلوقيين بها؛ فقد كشفت أعمال التنقيب الأثري هناك عن بقايا معبد فخم شُيِّد على الطراز الإغريقي؛ يتميّز بتيجان الأعمدة؛ ذات الأشكال الزخرفية؛ التي تُبرز أشكالا نباتية مختلفة؛ تتطابق مع الزخرفة في المعابد السلوقية، واليونانية عمومًا ، كما عثر على بقايا تماثيل، ودُمى بشرية؛ تمثل بعض الآلهة اليونانية. أما أهم اللقى الأثرية التي عليها هناك؛ هو نصب حجري ضخم وضع- في الأصل- في مواجهة المعبد طوله 116 سم ، وعرضه 62 سم ، وسُمكه حوالي 16 سم، كُتِبت عليه رسالة بالخط اليوناني؛ وجهها أحد الملوك السلوقيين إلى أهل (إيكاروس)- التسمية اليونانية لجزيرة فيلكا- يرى البعض أن هذا الملك هو(سلوقس الثاني) (246-226) ق.م فالكتابة تشير- بموجب أشكال حروفها- أنها تعود إلى زمن يمتد بين النصف الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد، والنصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، يوجد هذا النصب اليوم في المتحف الوطني الكويتي.

من خلال الكشف عن آثار جزيرة فيلكا؛ يبدو أن اليونانيين- هناك- شيّدوا قلعة كبيرة مربّعة الشكل؛ ذات أبراج مربّعة، يطلُّ باب القلعة- الرئيس- على الناحية

1- رضا الهاشمي: آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، ص 132-133.

الجنوبية ، واحتل المعبد الإغريقي الطابع- المذكور سابقا- موقعًا متميزًا فيها . وهكذا يتبيّن أن خلفاء الإسكندر أحاطوا فيلكا باهتمام كبير؛ ربما بسبب أهميتها من الناحية العسكرية، وكذلك بسبب موقعها، ونشاطها التجاري في الخليج الفارسي (العربي) وهو الذي يُعد أحد المنافذ المؤدية إلى موانئ المحيط الهندي .

وفي أطلال مدينة ثاج - أيضًا- تمّ العثورعلى بقايا أثرية تحمل تأثيرات هلينيستية منها مجموعة تماثيل، ودُمى صُنعت محليًا على الطراز الهلينيستي[1].

ثالثًا: شمال غرب شبه الجزيرة العربية (مناطق الأنباط):

موقع مملكة الأنباط في منطقة متوسطة؛ بين أقصى شمال غرب شبه الجزيرة العربية،وجنوب سورية؛كان له دوّر مميز في النشاط التجاري بين المنطقتين،كما أنه بملامسته لمواطن الحضارات السورية، وما جاورها؛ جعل المملكة أكثر عُرضة للتأثيرات الثقافية، والحضارية القادمة من هناك ؛ ففي الوقت الذي ظهر فيه للأنباط جذور عميقة؛ تجلت بالطابع المحلي لحضارتهم ؛ فأن تجارتهم، وعملهم في إيصال التجارة إلى مدن سورية ، وسواحل البحر الأبيض المتوسط ، ومصر؛ جعل أنماط حياتهم الاجتماعية، والفكرية، والفنية عُرضة لتأثيرات حضارات هذه المناطق لاسيما التأثيرات اليونانية، والرومانية[2]، ولعل أبرز هذه التأثيرات ظهرت في جانب فن الكتابة ؛ فقبل أن يصبح للأنباط خط واضح المعالم؛ عُرف باسمهم (الخط النبطي)، وهو الخط الذي يُعد الأساس للخط العربي الحديث- خط النسخ الذي كُتب به القران الكريم[3]- كان الأنباط يكتبون بالخط الآرامي[4]، كما استعملوا اللغة الأرامية في تعاملاتهم التجارية - وهي اللغة التي كانت سائدة آنذاك؛ كلغة للتخاطب التجاري الدولي في الشرق الأدنى ، وذلك بفضل نشاط التُجار الآراميين[5]- وفي الحقيقة هناك من يرى أن التجار الأنباط كانوا يتكلمون لغتين، أو أكثر- ، فإلى جانب

1- رضا الهاشمي : آثار الخليج العربيّ والجزيرة العربية ، ص138- 140.
2- رضا الهاشمي : المرجع ذاته ، ص 254.
3- شكران خربوطلي، مُهيل زكار : تاريخ الوطن العربي القديم(الجزيرة العربية) ، منشورات جامعة دمشق الطبعة الثانية ، دمشق 2000م -2001م، ص93.
4- خليل يحيى نامي: العرب قبل الإسلام ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة ب ت، ص20 .
5- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص182 –183.

اللغة العربية النبطية، واللغة الآرامية؛ لابد أن البعض تكلم باللغة اليونانية ، وبمقدار أقل باللاتينية- أيضًا-[1]، قد يكون هذا الأمر طبيعيًا؛ بسبب تحكم الأنباط بالنشاط التجاري الذي يمس أراضيهم في كل الجهات ، وفي ظل الحدود المفتوحة- آنذاك- والتي لاتقف أمامها أية عوائق طبيعية، أو سياسية؛ كان احتكاك الأنباط بالشعوب المجاورة حتميًا ، ومع التواجد السلوقي، والبطلمي في هذه المنطقة المهمة لخطوط التجارة الدولية؛ كان لابد للأنباط من إتقان لغة، أو لغات؛ يستطيعون من خلالها التفاهم مع تلك الشعوب.

احتفظت مناطق الأنباط ببقايا أثرية فريدة، وواضحة المعالم- ربما من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية في هذا الجانب- وذلك بفضل الأعمال العمرانية المتنوعة التي أبدع فيها الأنباط؛ على الواجهات الصخرية التي تزخر بها مدنهم فكان أهم عِمرانهم؛ عبارة عن نحت في الصخر(يُنظر صورتا **10** و**11**)؛ الأمر الذي ساعد على بقائها وأصبحت- اليوم- معالمًا أثرية؛ شاهدةً على ماضٍ تليد وغني بالمآثر الحضارية وتعطي صورة حية عن واقع، وحياة الأنباط؛ التي اتسمت في بعض مراحلها بالرفاهية، والسعة.

بعد أن زار مناطق الأنباط الرحالة، والمغامرون؛ الذين كشفوا عن معلومات مثيرة من خلال مشاهداتهم للبقايا الأثرية هناك؛ بدأت بعثات التنقيب الآثارية تتوالى على هذه المناطق؛ بداية من عام 1929م؛ حين وصلت بعثة برئاسة(جورج هورسفيلد)؛ لتتابع- بعد ذلك- بعثات آثارية مختلفة؛ أهمها بعثة برئاسة(ألبرايت)؛تمكنت هذه البعثة من الكشف عن معالم أثرية كثيرة؛ منها الخزنة؛الخزانة(خزانة فرعون)،وقبر الجرة،وقبر الجندي الروماني؛ وذلك بين عامي 1934م- 1936م، ومنذ عام 1954م بدأت دائرة المعارف الأردنية الأشراف على أعمال البعثات الآثارية، والقيام بأعمال حفظ، وصيانة الآثار في وادي موسى وذلك بإشراف الأثاري (بيتربار)[2].

1- فيليب حتي : المرجع ذاته ، ص 427.

2- إحسان عباس: دولة الأنباط، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن عمّان 1987م، ص15-16.

وبما أن هذه الدراسة - في هذا الموضوع- ليست بصدد دراسة، ورصد الآثار التي خلقتها حضارة الأنباط ؛ بل تتصدى لإبراز التأثيرات الفنية القادمة من سورية نحو هذه المنطقة؛ بفضل التواصل التجاري بينهما؛ سيتم التركيز على أهم المعالم، والمعطيات الأثرية التي توضح ذلك.

البتراء العاصمة- وغيرها من مدن الأنباط - شهدت الكثير من البنايات المنحوتة في الصخر، وتنوعت هذه البنايات؛ بين قبور، ومعابد، ومسرح، ومنشآت عامة[1]؛ إذ بُنيت بطرق هندسية بديعة؛ يرى البعض أن مراحل بنائها، وإنشائها يتراوح بين 200 قبل الميلاد، و200 ميلادية[2]؛ الأمر الذي جعلها عُرضة للتأثيرات الهلينيستية والرومانية؛ إذ يتجلى في العمران النبطي؛ أساليب فنية، وزخرفية نافذة (بارزة) متأثرة بالفن الهلينيستي؛ الذي كان سائدًا في سورية، ومصر أثناء حكم السلوقيين والبطالمة[3] ؛ بينما تَظهر التأثيرات الرومانية- بجلاء- في مسرح البتراء؛ الذي فيه ثلاثة وثلاثون صفًا من المقاعد الحجرية[4]؛ (يُنظر صورة 12).

ظهرت تأثيرات الفن اليوناني - أيضًا- على الفنانين، والصناع الأنباط؛ الذين أبدعوا في إنتاج الأعمال الخزفية؛ فكان إنتاجهم الخزفي الأروع، والأفضل على مستوى مناطق الشرق الأدنى آنذاك؛ يتضح ذلك من خلال اللقى الأثرية؛ لبقايا الكؤوس والفناجين، والصحون، والأباريق، وغيرها؛ التي تميَّزت برقتها الفائقة؛ كرقَّة قشر البيض ، وفي الواقع ربما انفرد حرفيو الأنباط بإنتاج هذا النوع الرقيق من الخزف[5].

هذه هي أهم التأثيرات الفنية القادمة من سورية؛ التي تعرّضت لها فنون مناطق شبه الجزيرة العربية بشكل أو بآخر؛ مع الإقرار؛ بالتفاوت- النسبي- بين هذه المنطقة أو تلك؛ في نسبة تقبلها لهذه التأثيرات، والاختلاف في أنواع الفنون؛ التي مستْ كل

---

[1]- إحسان عباس : المرجع ذاته ، ص 103.هنالك أبنية منحوتة في الصخر تسبق أبنية الأنباط زمنيًا، وهي من بقايا الحضارة الفرعونية؛ كمقابر ملوك الدولة الوسطى غرب طيبة، ومعبد أبي سُمبل في النوبة؛ يُنظر صالح عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 1990م. ص 179-180، وص296.

[2]- رضاء جواد الهاشمي : تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية ، 255.

[3]- شكران خربوطلي، سُهيل زكار : تاريخ الوطن العربي القديم ، ص 96، كذلك عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص 148.

[4]- إحسان عباس: دولة الأنباط، ص88. كذلك رضاء جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي الجزيرة العربية ص257.

[5]- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، [illegible] ص 431

منطقة. ولا يفوت الدارس-هنا- أن يُذكّر؛ بما تمّ ذكره في موضوع النقود؛ كيف أن كل مناطق بلاد العرب التي ضربت النقود؛ قد تأثرت في مجال سك النقود- بداية- بالمسكة في اليونان، وسورية السلوقية، وذلك في مختلف الفنون التي تبرزها المسكوكات.

وأخيراً؛ لابد من الإشارة إلى أنه رغم هذه التأثيرات الفنية؛ التي مسّت فنون مناطق شبه الجزيرة العربية؛ إلا أن هذه المناطق أنتجت فنوناً؛ تميّزت بالطابع الحضاري المحلي، وبخصوصيات تتوافق مع طبيعة هذه المناطق، وحياتها، وكان فنّانوها؛ مُبدعين؛ حتى فيما قلّدوه، أو نسخوه.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة جانب مهم من جوانب العلاقات الإنسانية ، وهي العلاقة التجارية ؛والتي لها مكانة متميزة- تاريخيًا- ليس لكونها تشكل- في كثير من الأوقات- حجر الزاوية في اقتصاد هذه المنطقة، أو تلك ؛ بل-أيضًا- للدور الذي تؤديه في تقارب الشعوب ، وتعاونهم ،وتعارفهم؛ وما يلحق بذلك من تبادل للخبرات،والمعارف، واقامة علاقات إنسانية أخرى ؛ تتجاوز حدود التجارة.

ساعد موقع شبه الجزيرة العربية ؛ المجاور لسورية في إقامة علاقات تجارية واسعة، ومتميزة بين المنطقتين؛ في الألف الاول قبل الميلاد ، كما أن موقعيهما الاستراتيجيين- وسط العالم القديم- مكّن المنطقتين من أداء دور الوسيط التجاري بين عالمي البحر الأبيض المتوسط ، والمحيط الهندي في ذلك العهد.

أنتجت شبه الجزيرة العربية ؛ لاسيما جنوبها ؛ سلع تجارية ، كان الإقبال عليها شديدًا -آنذاك- ليس فقط في سورية ؛ بل في كل مناطق العالم القديم ، كما احتكرت مناطقها المطلة على البحار المحيطة بها ؛ التجارة بالسلع القادمة من موانئ المحيط الهندي ؛ التي كان لها روجًا في مناطق سورية ، وبالمقابل؛ كانت الموانئ السورية البوابات؛ التي تخرج منها تلك السلع نحو مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ووجدت فيها أسواقا رائجة بها.

أنتجت سورية في هذا العهد؛ منتجات ذات جودة عالية ؛ بحيث أن أغلب أنواعها كان يتم تسويقه في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ؛ رغم أن هذه المناطق كانت تنتج مثل هذه السلع.

كان للتجارة فضل كبير في بناء شبكة الطرق البرية ، وازدهارها في شبه الجزيرة العربية ، وسورية ؛ فادت هذه الطرق دورًا كبيرًا؛ في ربط المراكز الحضارية- في كل منهما- بعضهم مع بعض من ناحية ، ومن ناحية أخرى ساهمت هذه الطرق -بفاعلية- في انتعاش التجارة بين المنطقتين في الألف الاول قبل الميلاد .

تُعد الإبل الوسيلة التي تسيّدت مجال نقل السلع ، والبضائع بين شبه الجزيرة العربية، وسورية آنذاك ، وكان لنظام القوافل- بما يتضمنه من شروط- الدور الفاعل

في حماية البضائع ، والأموال ، وفي إيصالها بسلام الى المناطق المتجهة إليها ، كما كانّ له- نظام القوافل- فائدةً كبيرةً ، في تزايد كميات السلع ، والبضائع المنقولة عبر الطّرق البرية - داخليّا ، وخارجيّا- .

شكلت موانئ شبه الجزيرة العربية ، وسورية؛ البوابات الرئيسة؛ لإقامة علاقات واسعة، ومتميزة مع الموانئ، والمناطق الأخرى- على نحو ماذكر في البحث- كما كانت- في الوقت ذاته- هذه الموانئ ؛ تشكل أسواقًا عامرةً؛ تدبُّ فيها الحركة، والنشاط بما كانت تستقبل من السفن، والمراكب؛ وبالتالي تُعد- هذه الموانئ أُولى محطات ومراكز التجارة، وأخرها؛ بالنسبة للتجارة بين المنطقتين .

تركزت المراكز التجارية في أهم العُقد ، والمحطات التي تمر بها القوافل التجارية على الطّرق البرية؛ الرابطة بين شبه الجزيرة العربية ، وسورية ، كذلك في عواصم الممالك، والدول هناك ، بالإضافة الى موانئ المنطقتين - على نحو ماذكر- نتيجة لأهمية المحاصيل ، والسلع الشرقية- سلع موانئ المحيط الهندي ؛ بما فيها سلع جنوب بلاد العرب ، والصين ، وما يأتي من الهند، وشرق أفريقيا- بالنسبة لسورية، ومناطق شمال البحر الأبيض المتوسط ؛ لاسيما أن أغلب هذه السلع؛ لا تنتج إلاّ في تلك المناطق فقد كان الطلب عليها متزايدًا ؛ مما أدّى إلى أن تكون أنواع السلع، وكمياتها المنقولة من شبه الجزيرة العربية ، أو عبرها الى سورية ؛ أكثر من تلك التي تأتي من سورية إلى بلاد العرب.

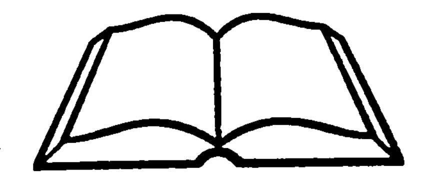
محاولة إيجاد منافذ نحو البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، والوصول إلى موانئ المحيط الهندي ، بالإضافة إلى السعي الحثيث للسيطرة على الطّرق البرية؛ من أجل التحكم بالتجارة الشرقية؛جميعها كانت من الأسباب الرئيسة؛ للصراع الدولي بين قوى الغرب، والشرق .

هكذا؛ فالتجارة البرية بين المنطقتين- شبه الجزيرة العربية ، وسورية- كانت نشطة، و مزدهرة ، في أغلب أوقات الألف الأول قبل الميلاد .

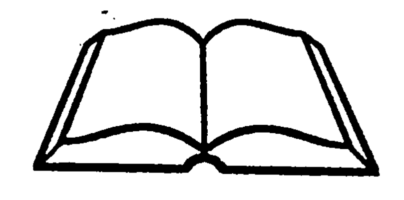
من خلال هذه الأطروحة ؛ تبرز عدة موضوعات؛ تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ، ومحاولة الإجابة عن بعض أسئلتها ، إذ يوصي الدّارس بضرورة دراستها والوقوف عليها مستقبلاً ، لعل أهم هذه الموضوعات، والتساؤلات هي:-

- مامدى تأثير عمليات التجارة على بقية العلاقات الإنسانية الأخرى ؛ كالعلاقات الاجتماعية- مثلاً- ؟

- لماذا ظهرت التأثيرات الفنية القادمة من سورية على مناطق شبه الجزيرة العربية بوضوح ؛ بينما لم تظهر تأثيرات قوية ، متجهة من شبه الجزيرة العربية نحو مناطق سورية ؛ رغم أن نشاط التُجّار العرب أكثر بروزًا- بالنسبة للتجارة بين المنطقتين- وذلك بما نقلوه؛ من سلع المنطقة ، والمناطق المجاورة إلى سورية ؟.



المصادر والمراجع



أولاً : المصادر :

1- القرآن الكريم .

2- التوراة .

3- الإنجيل .

4- ابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب : **صفة بلاد اليمن و مكة وبعض الحجاز**، تصحيح أوسكار لوففرين، دار التنوير ، الطبعة الثانية بيروت 1986م.

5- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، المجلد الثاني، لبنان (بيروت) 1989م .

6- الهمداني، أبوالحسن بن أحمد يعقوب : **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، صنعاء، 1990م.

7- ـــــــــــــــ : **الأكليل** ، تحرير و تعليق نبيه أمين فارس دار الكلمة (صنعاء)، دار العودة (بيروت)، ب. ت .

8- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله : **معجم البلدان**، دار الفكر، المجلدات الثالث، والرابع، والسادس، بيروت، ب. ت .

ثانيًا : المراجع العربية :

1- ابراهيم، سعيد بن فائز (يناير 2002م) : (زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة)، مجلة أدوماتو ، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، العدد الخامس ، الرياض .

2- ادوان، ريمي: (النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي) في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الفرنسية- اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، وبيسان للتوزيع والنشر (بيروت) الطبعة الأولى،1996م.

3- ________: (وادي ضُرا)، في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ**، ترجمة بدر الدين عردوكي ، مراجعة د. يوسف محمد عبد الله ؛ معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق) 1999م .

4- الإرياني، مطهر علي : **نقوش مسندية وتعليقات**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثانية، صنعاء 1990م .

5- إسماعيل، حلمي محروس (الدكتور): **الشرق العربي القديم وحضارته** مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1997م .

6- إسماعيل،عارف أحمد:**العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية (2500- 500) ق.م**، مركز عبادي للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، صنعاء 1998م .

7- الأفغاني، سعيد: **أسواق العرب (في الجاهلية والإسلام)**، المطبعة الهاشمية دمشق 1937م .

8- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب (الدكتور) : **أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاو ونقوشها**)، في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الأول)، الجزء الأول (مصادر دراسة الجزيرة العربية)، الرياض 1979م .

9- بافقيه، محمد عبد القادر (الدكتور): **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت تموز 1973م .

10- ________: **(عرب الشمال وعرب الجنوب)، في كتاب العربية السعيدة، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، الجزء الأول صنعاء 1987م .**

11- ________: **(من تاريخ الهجرة اليمنية القديمة) في كتاب ندوة (المغتربون)، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء 1999م .**

12- بافقيه، محمد عبد القادر، الفريد بستون، كريستيان روبان، محمود الغول: **مختارات من النقوش اليمنية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985م.

13- باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ، شركة التجارة والطباعة المحدودة، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بغداد 1956م .

14- باوير. ج . م و لوندن. أ: **تاريخ اليمن القديم**، ترجمة أسامة أحمد، دار الهمداني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عدن 1984م .

15- البدر، سليمان سعدون: **الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد** الكويت 1978م .

16- بركات، أحمد قائد : (النقد)، **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف الثقافية، تنفيذ دار الفكر المعاصر، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت 1992م.

17- بريتون، جان فرانسوا (الدكتور) : (المقدمة : حفريات شبوة (2) تقارير أولية 1991م) في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية – اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء) وبيسان للتوزيع والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى 1996م .

18- ________ : (شبوة الموقع والمدينة) في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية-اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، وبيسان للتوزيع والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى، 1996م .

19- ________ : (الخاتمة: شبوة والحواضر اليمنية القديمة) في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية-اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، وبيسان للتوزيع والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى، 1996م .

20- بريتون، جان فرانسوا (الدكتور) و بافقيه، محمد عبد القادر (الدكتور) : **كنوز وادي ضُرا**،المعهد الفرنسّي لآثار الشرق الأدنى،المكتبة الأركيولوجية، والمكتبة الشرقية بول غوثنر ، مجلد (141) ، باريس 1993م .

21- بيال، جان كلود : (الصندوق العاجي من قصر شبوة) ، في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية – اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، بيسان للتوزيع والنشر(بيروت) الطبعة الأولى، 1996م .

22- بيرن، جاكلين : (الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة و تاريخها)، في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية-اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، وبيسان للتوزيع والنشر(بيروت) الطبعة الأولى 1996م .

23- بيستون .أ.ف، جاك ريكمنز،محمود الغول،والترمولر : **المعجم السبئي** ؛ دار نشريات بيترز لوفان الجديدة ومكتبة لبنان(بيروت)، الطبعة الأولى 1982م .

24- بيكرمان : **الدولة السلوقية (ملوك سوريا السلوقيين)**، ترجمة إحسان إسحاق الأبجدية للنشر، الطبعة الأولى، دمشق 1993م .

25- توفيق، سيّد (الدكتور): **معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية** ، القاهرة 1984م .

26- جانتيل، بيار :(نظام الري في شبوة)، في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية – اليمنية) ، **المركز الفرنسي للدراسات اليمنية** (صنعاء)، وبيسان للتوزيع والنشر (بيروت)، **الطبعة الأولى 1996م** .

27- الجرو، أسمهان سعيد (الدكتورة) : **موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية**، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية،الأردن (إربد) 1996م .

28- ________________ :(الحياة التجارية في اليمن القديم)، في كتاب دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2003م .

29- ________________ (أكتوبر 1988م): (تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية) مجلة سبأ، الجمعية التاريخية، كلية التربية جامعة عدن، العدد الرابع .

30- ________________ (1998م): (النهضة الزراعية في اليمن القديم) مجلة سبأ ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عدن ، العدد السابع .

31- ________________ (1999م): (طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة عدن، المجلد الثاني ، العدد الثالث.

32- حتّي، فيليب (الدكتور) : **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، الجزء الأول، بيروت ب ت.

33- حتّي، فيليب (الدكتور)، (وآخرون): **تاريخ العرب** ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، بيروت، ب ت.

34- حرب، محمد فرزات (الدكتور): **موجز في تاريخ سورية القديم**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة التاسعة، دمشق 1999- 2000م .

35- خربوطلي، شُكران (الدكتورة)، و زكّار، سُهيل (الدكتور): **تاريخ الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية)** ، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة الثانية دمشق 2000– 2001م.

36- دلّو، برهان الدين: **جزيرة العرب قبل الإسلام**، دار الفارابي،الجزء الأول، الطبعة الأولى ، بيروت 1989م .

37- ديسّو، رينيه : **العرب في سوريا قبل الإسلام**، ترجمة عبد الحميد الدّواخلي مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1959م .

38- دي ميغريه، آلسياندرو: (يتل) في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ** ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة د. يوسف محمد عبد الله معهد العالم العربي(باريس) ودار الأهالي (دمشق) 1999م .

39- دي ميغريه، آليساندرو و روبان، كريستيان: **التنقيبات الإيطالية في يلا (معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام)** ترجمة د. منير عربش ،المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، ومعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي(إكس -اين- بروفانس) 1999م .

40- ديورانت، ويل : **قصة الحضارة** ، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الكتاب التاسع ، (الجزءان الأول والثاني من المجلد الثالث) (الحضارة الرومانية)، القاهرة 1955م .

41- رودو كاناكيس. ل: (الحياة العامة للدول العربية الجنوبية)، في كتاب ديتلف نيلسون (وآخرون): **التاريخ العربي القديم**، ترجمة د. فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ب ت.

42- زغلول، سعد (الدكتور) : **في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1976م .

43- زهدي، بشير (1976م) : (أقدم النقود الدمشقية ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق) ، **مجلة الحوليّات الأثرية السورية**، المديرية العامة للآثار والمتاحف المجلد السادس والعشرون ، الجزءان الأول والثاني .

44- زيادة، نيقولا : (دليل البحر الإرتري وتجارة الجزيرة العربية) ، في كتاب **تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني) (الجزيرة العربية قبل الإسلام)** جامعة الملك سعود، الرياض 1984م .

45- زيدان، جورجي : **العرب قبل الإسلام**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (بيروت)،ب ت .

46- زيود، محمد أحمد (الدكتور): **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي والإسلامي**، منشورات جامعة دمشق، دمشق 1993- 1994م .

47- سالم، السيّد عبد العزيز (الدكتور): **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ب ت.

48- سحّاب، فكتور : **إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف**، كمبيو نشر والمركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت مايو 1992م.

49- سيدوف، ألكسندر : (قنا ، ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط) ، في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ** ، ترجمة بدر الدين عردوكي ، مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، دار الأهالي (دمشق) 1999م .

50- سيدوف، ألكسندر و دافيد، بربارا: (سك النقود أو المسكوكات) في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ** ، ترجمة بدر الدين عردوكي ، مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي (باريس)، و دار الأهالي(دمشق) 1999م.

51- الشامي، صلاح الدين علي (الدكتور): **الواقع الاقتصادي العربي قبل الإسلام** منشأة المعارف، الإسكندرية 1983م.

52- شرف الدين، أحمد حسين:(مسالك القوافل التجارية في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها)، في كتاب **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** ، جامعة الملك سعود، الكتاب الثاني (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، الطبعة الثانية، الرياض 1984م .

53- الشقاح، أحمد طعمة يوسف: **انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في القرنين الأول و الثاني الميلاديين** ، (أطروحة ماجستير غير منشورة) جامعة عدن،كلية الآداب،قسم التاريخ والآثار.

54- شهاب، حسن صالح: **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، دار العودة ، الطبعة الثانية، بيروت 1981م.

55- شيبمان، كلاوس : **تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربي** ، ترجمة د. فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، سلسلة بحوث ودراسات (10) صنعاء 2002م.

56- صائب، سعد: **دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبرالتاريخ القديم**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، دمشق 1994م .

57- صالح، عبد العزيز (الدكتور) : **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1997م .

58- الصلوي، إبراهيم (الدكتور) : **محاضرات في قواعد لغة النقوش اليمنية القديمة**(المحاضرة الثانية)" محتوى النقوش اليمنية " (ملزمة)، صنعاء 1998م.

59- العابد، مفيد رائف (الدكتور) : **سوريا في عهد السلوقيين (من الإسكندر إلى بومبيوس)(333 ق.م- 64 ق.م)**،دار شمأل للطباعة والنشر،دمشق 1993م.

60- عاقل، نبيه (الدكتور) : **تاريخ العرب القديم ، عصر الرسول**، دار الفكر الطبعة الثالثة، بيروت 1983م .

61- عباس، إحسان (الدكتور): **دولة الأنباط**، دار الشروق للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى الأردن (عمّان) 1987م .

62- عبد الله، فيصل (الدكتور)، و مرعي، عيد (الدكتور): **المدخل إلى تاريخ الحضارة**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، دمشق 2000-2001م.

63- عبد الله، يوسف محمد (الدكتور) : **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره**، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، بيروت 1990م .

64- ______________ : (مدخل) ، في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ**، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة د. يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي (باريس)، ودار الأهالي (دمشق) 1999م .

65- عادل عبد السلام (الدكتور) : **جغرافية سورية العامة**، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة الأولى ، دمشق 1989- 1990م .

66- عبد السلام، عادل (الدكتور) : **جغرافية سورية العامة**، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة الأولى ، دمشق 1989- 1990م .

67- عبد العليم، مصطفى كمال: (تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني) ، في كتاب **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، (الكتاب الثاني) (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، جامعة الملك سعود، الرياض 1984م .

68- عصفور، محمد أبو المحاسن (الدكتور) : **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم** دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت ب ت.

69- أبو العلا، محمود طه (الدكتور) : **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، مكتبة الأنجلو مصرية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة 1988م .

70- علي، جواد (الدكتور): **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، العلم للملايين (بيروت)، ومكتبة النهضة (بغداد)، الأجزاء الأول، والثاني، والسابع الطبعة الثانية، 1976م .

71- العلي، صالح أحمد (الدكتور) : **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية** ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 2000م .

72- العلي، نورة عبد الله : **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي** ، دار الشواف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض 1992م .

73- العواضي، حميد مطيع (الدكتور)، والأدهم، عبد اللطيف (الدكتور) (جمع وترجمة): **بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية (دراسة ومختارات)** ، وزارة الثقافة والسياحة، (سلسلة كتاب الثقافة)، الطبعة الأولى، صنعاء 2001م .

74- الغساني، عبد القادر (أرض اللبان في سلطنة عُمان) في كتاب **حصاد ندوة في الدراسات العُمانية(نوفمبر 1980م)**، أمون للتجليد والطباعة، المجلد الأول الطبعة الثانية، القاهرة 1981م.

75- فان بيك. ج. و (1978م) : (تاريخ العربية الجنوبية وآثارها)، ترجمة رضا جواد الهاشمي، مجلة التراث، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف المجلد الثاني، العدد الثاني، عدن.

76- فرّوخ، عمر (الدكتور): **تاريخ الجاهلية**، دار الملايين، الطبعة الثانية، بيروت مارس 1984م.

77- فيّاض،علي أكبر(الدكتور): **تاريخ شبه الجزيرة العربية**، ترجمة د.عبد الوهاب علوي، مركز النشر لجامعة القاهرة cup .

78- فيل، أر نست :(ملاحظات و إضافات عن زخارف القصر الملكي)، في كتاب د.عزة علي عقيل، و د . جان فرانسوا بريتون : **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية – اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء) ، بيسان للتوزيع والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى، 1996م .

79- ________ : (الفنون في مدرسة اليونان وروما)، في كتاب **اليمن في بلاد مملكة سبأ** ، ترجمة بدر الدين عردوكي ،مراجعة د. يوسف محمد عبد الله معهد العالم العربي(باريس)، دار الأهالي (دمشق) 1999م .

80- قابلو، جباغ (الدكتور) : **تاريخ الحضارة في الوطن العربي**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق 1998-1999م .

81- القسوس، نائف ، الطراونة، خلف : **مسكوكات العالمين القديم والإسلامي** البنك العربي، الأردن 1991م .

82- كونتنو، جورج: **الحضارة الفينيقية**، ترجمة د. محمد عبد الهادي شعيرة مراجعة د. طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م .

83- محقّل، محمد (الدكتور)(آذار- حزيران 1994م):(متى كان لسورية والعراق حدود مميزة خاصة ؟؟) مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق،العدد 49.

84- مرعي، عيد (الدكتور): **التاريخ القديم**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق 1999 – 2000م .

85- ________(1996م): (تدمر محطة تجارية مهمة على طريق القوافل خلال الألف الثاني قبل الميلاد)، مجلة الحوليّات الأثرية العربية السورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، المجلد (42)، دمشق .

86- مطر، جواد أحمد : **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم**، جامعة عدن(عدن)، ودار الثقافة العربية (الشارقة)، الطبعة الأولى 2002م .

87- منروهاي، استيوارت: (عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني)، في كتاب **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** (نتائج أعمال البعثة الفرنسية- اليمنية) المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (صنعاء)، بيسان للتوزيع والنشر(بيروت) الطبعة الأولى 1996م.

88- مهران، محمد بيومي (الدكتور): **تاريخ العرب القديم**، دار المعارف الجامعية الجزء السادس، الإسكندرية 1993م.

89- الناصري، سيّد أحمد : (الصراع حول البحر الأحمر في عصر البطالمة) في كتاب **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** (الكتاب الثاني) (الجزيرة العربية قبل الإسلام)، جامعة الملك سعود، الرياض 1984م .

90- نيلسون، ديتلف:(التاريخ العام ونظرة حول المادة)، في كتاب ديتلف نيلسون (وآخرون): **التاريخ العربي القديم** ، ترجمة د. فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1958م.

91- الهاشمي، رضا جواد : **آثار الخليج العربي والجزيرة العربية** ، جامعة بغداد ، بغداد 1984م .

92- ________ : (تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم)، في كتاب **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19) الميلادي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد 1984م .

93- هبّو، أحمد ارحيّم (الدكتور): **تاريخ الشرق القديم**، دار الحكمة اليمانية، الجزء(1) سورية، الطبعة الثانية، صنعاء 1999م.

94- ــــــــــــــــ : **تاريخ العرب قبل الإسلام** (السياسي والحضاري)، جامعة حلب، سورية (حلب) 1996م .

95- هولوي، سير روس : **موسوعة العملة (العملة في الحضارة الإغريقية)** ترجمة ملاذ الجفار ومأمون عابدين ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية، دمشق 1993م .

96- هومل، فرتز (الدكتور): (التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية)، في كتاب ديتلف نيلسون (وآخرون): **التاريخ العربي القديم**، ترجمة د. فؤاد حسنين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ب ت .

97- يحيى، خليل نامي (الدكتور):**العرب قبل الإسلام**، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف ، القاهرة ب ت .

98- يحيى، لطفي عبد الوهاب: **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية الطبعة الثانية، بيروت 1979م .

99- يوسف،فرج الله أحمد(يناير 2002م):(مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام) ، مجلة أدوماتو ، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، العدد الخامس ، الرياض .

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1- Albright. F.P: **The American Archaeological Expedition in Dhofar**, Oman 1952-1953, Washington, 1982.

2- A.Bataya: **Les autels à encens au Yémen Antique,(mémoire de DEA)** École des Hautes Études en Sciences Sociales, Paris1983.

3-(Bauer, G.M.) Бауэр,Г.М:(Древний Дедан.Археологические и эпиграфические памятники) из книги Поб ребакцией Э.Е.Кормышевой и А.В.Себова: **КРАСНОМОРСКИЕ заметки I, МОСКВА 1994.**

4- ————————————:(А.Г.Лунбцн. Южная Арабия в Хв. До н.э.-VI в. Н.э. основные этапы истории),из книги Поб ребакцией Э.Е.Кормышевой и А.В.Себова: **КРАСНОМОРСКИЕ** заметки I, МОСКВА 1994.

5-**CORPUS INSCRIT.PTIONUM SEITICARUM**, Pars Quarta Inscriptionum Himyariticas et Sabaeas, Contines Tomus II.

6-Groom, Nigel: **Frankincense and Myrrh**, Astudy of The Arabian Trade, Longman London and New York, Librairie du Leban, 1981.

7- Muller,W: **Notes On The Use of Frankincense In South Arabia**, The Ninth Seminar For Arabian Studies, London 1976.

8- ———— : **Arabian Frankincense In Antiquity According To Classical Sources**, Alyaman Journal, Issued by Center For Yamani Researches and Studies, University of Aden, No.6, 1996.

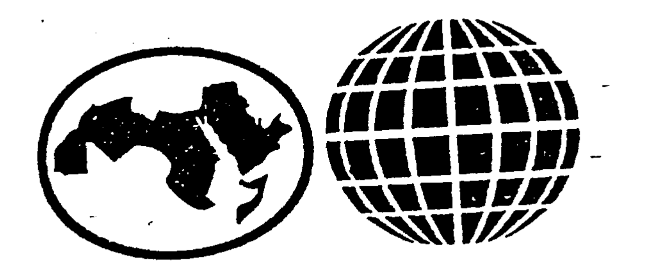
9-**The Periplus of The Erythraean Sea**, Translated and Annotated by Wilfre H. Schoff, Distribated by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt.Ltd, Second Edition, New Delhi,1974.

10-Pliny: **Natural History**, Tranlated by H.Rackham, Loeb Classical Library, London 1969.

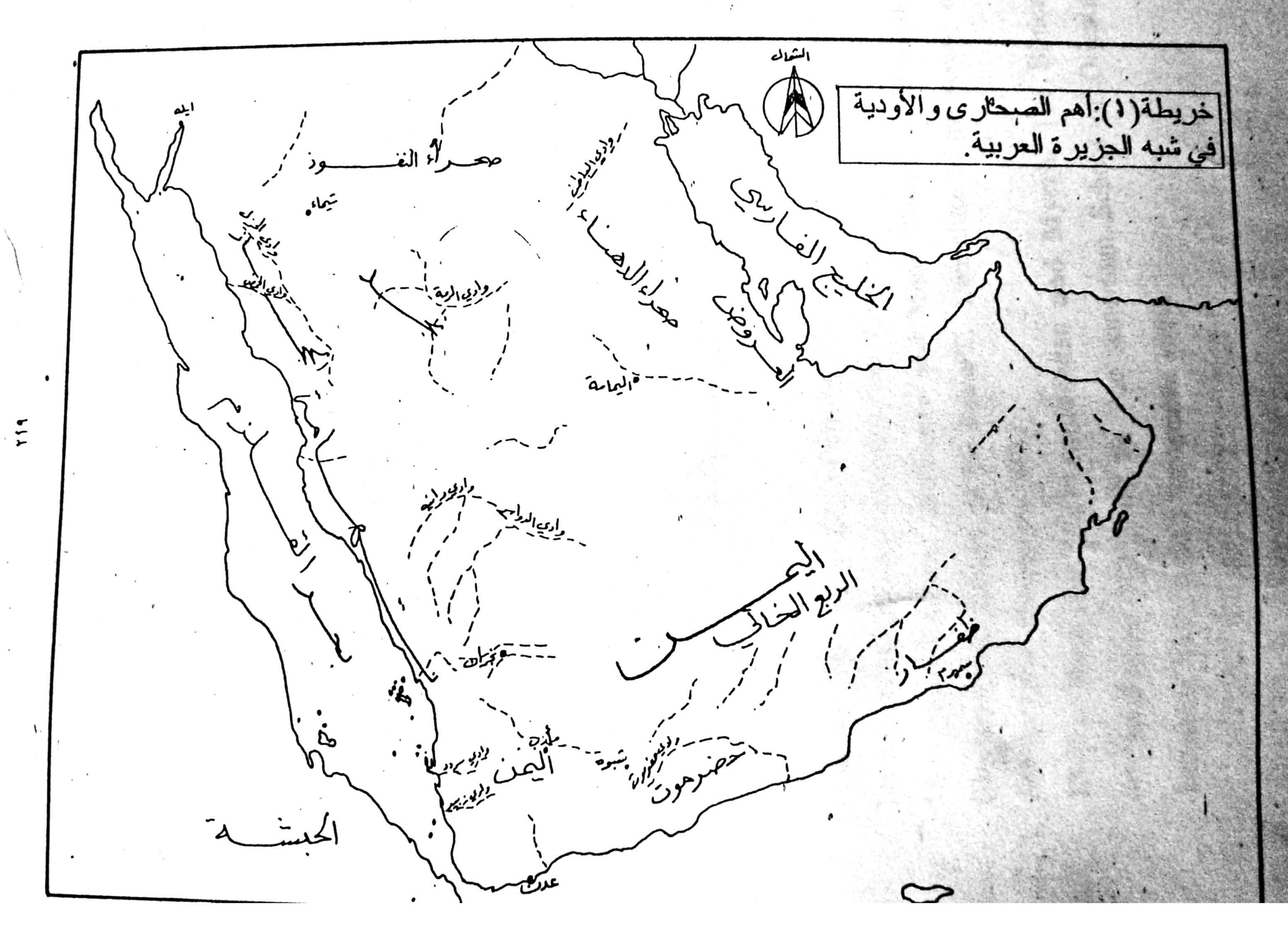
11-Strabo: **The Geography of Strabo**, The English Tranlation by Horace Leonard Jones, Harvard University Press, London.

12-Thompson,G.Caton: **TheTombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut)**, Reports of the Research Committce of the Society of Antiquaries of London No. XIII.

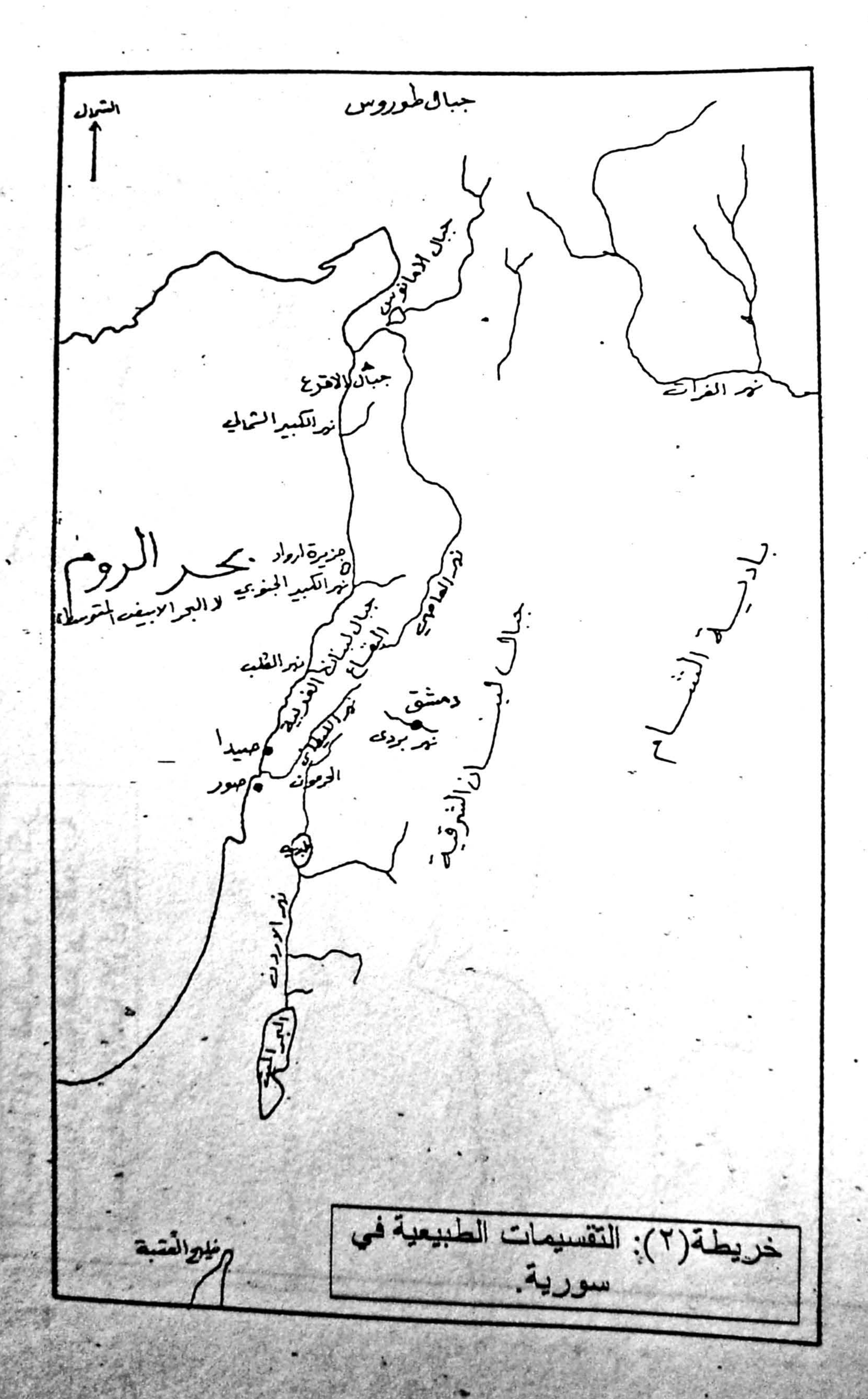
13-Van Beek,Gus.W: **Frankincense and Myrrh**, The Bibical Archaeologist, Pubished by The American School of Oriental Research, Vol.23,No.3.September 1960.



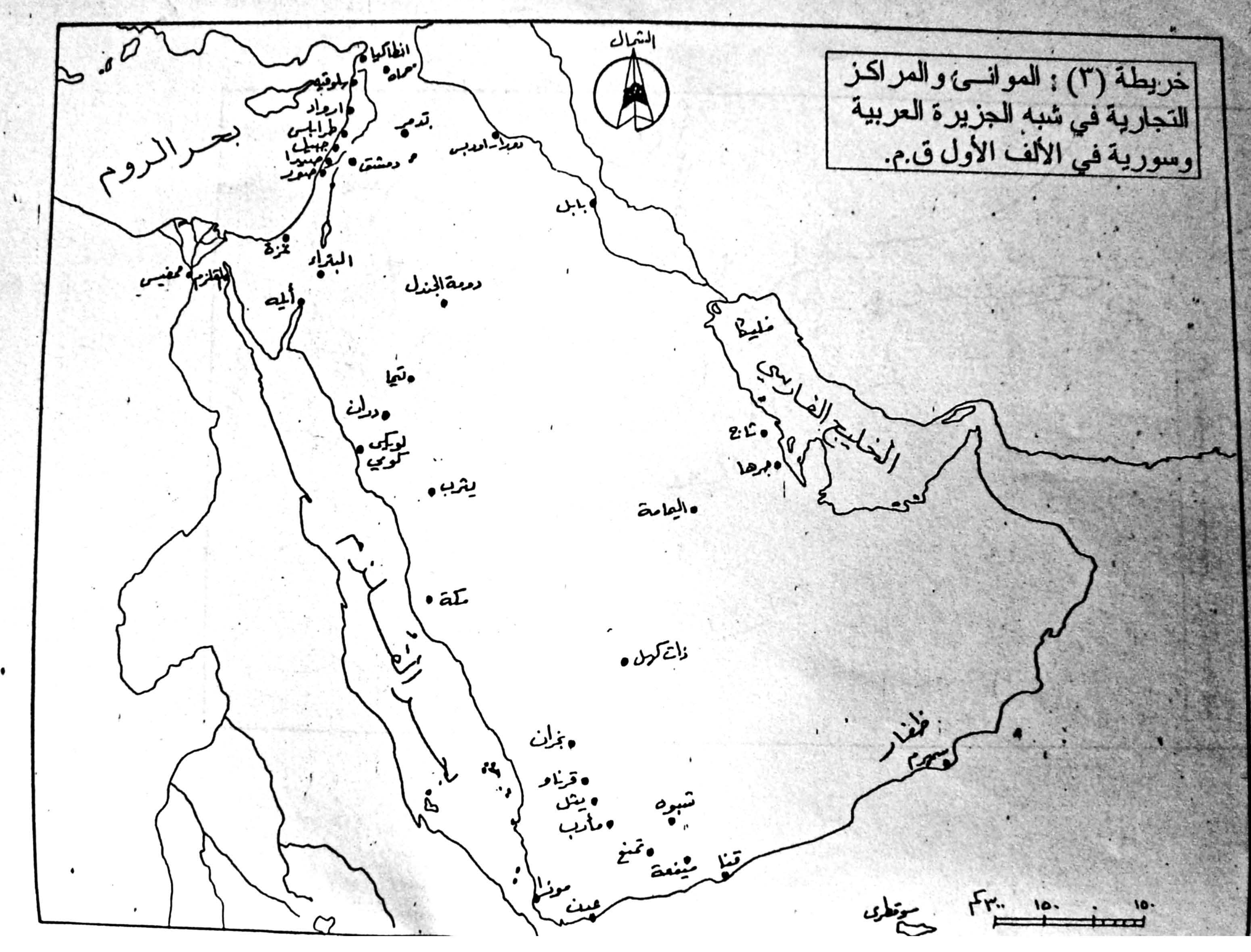
الملاحق



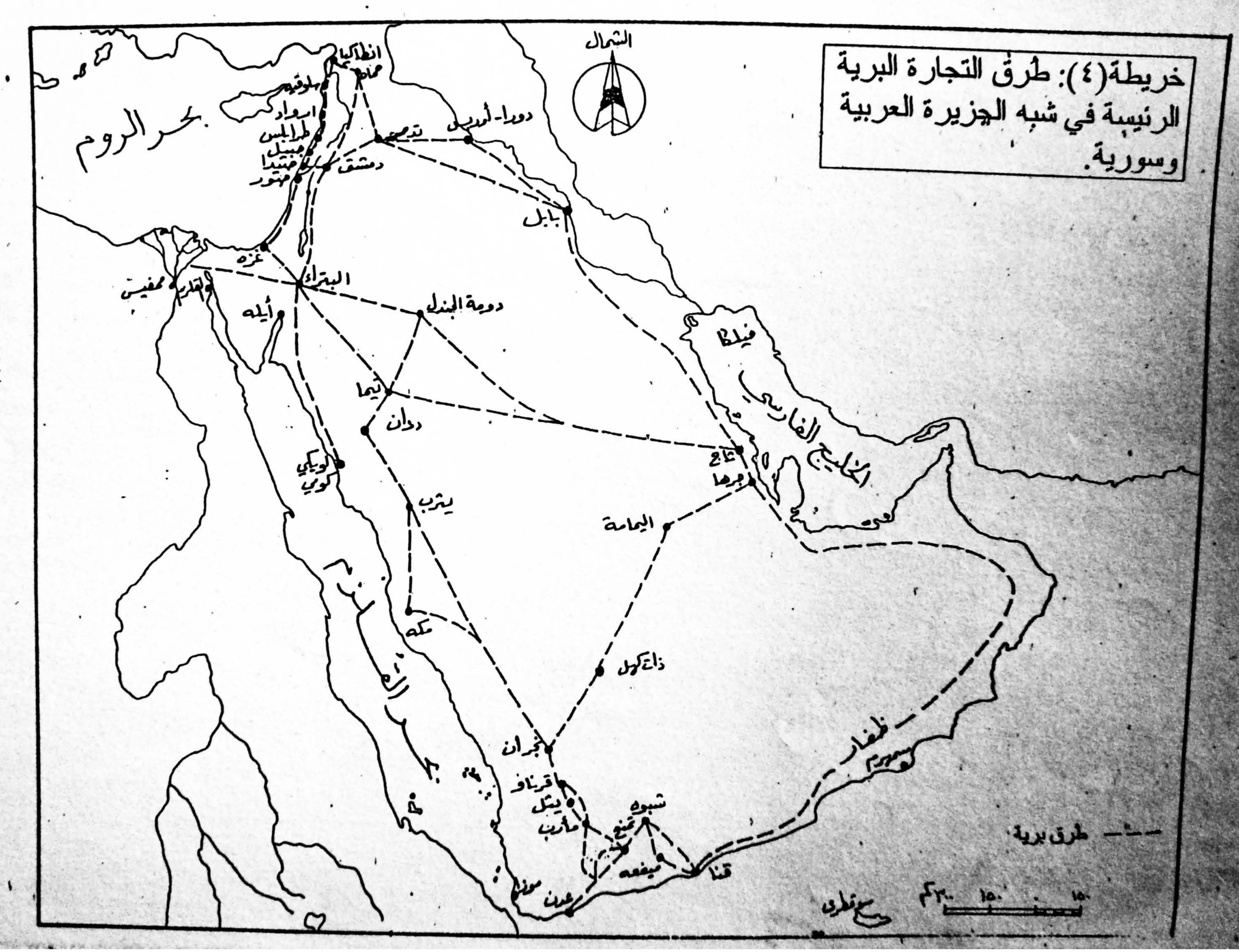
خريطة (١): أهم الصحارى والأودية في شبه الجزيرة العربية.



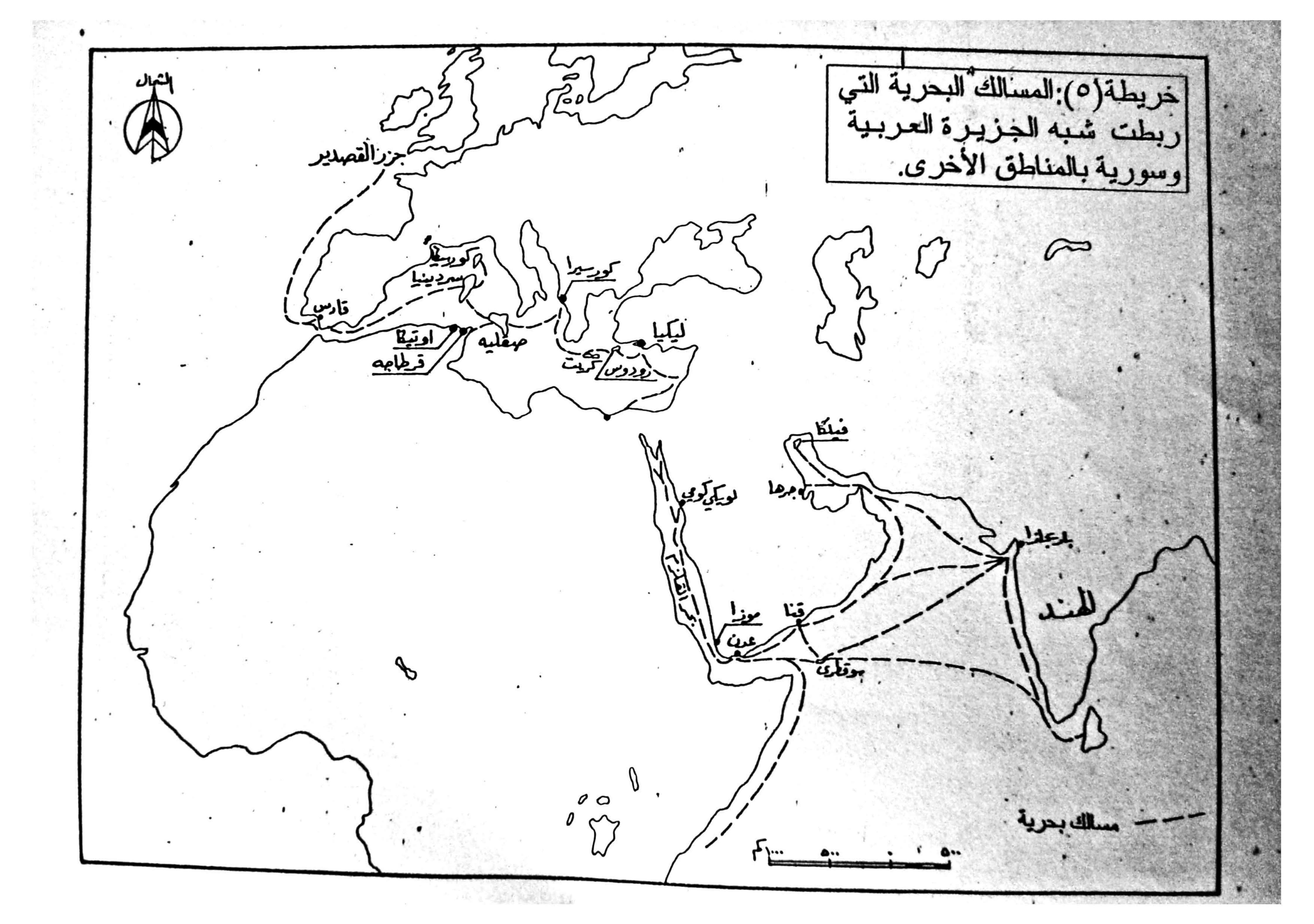
خريطة (٢): التقسيمات الطبيعية في سورية.



خريطة (٣) : الموانئ والمراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول ق.م.



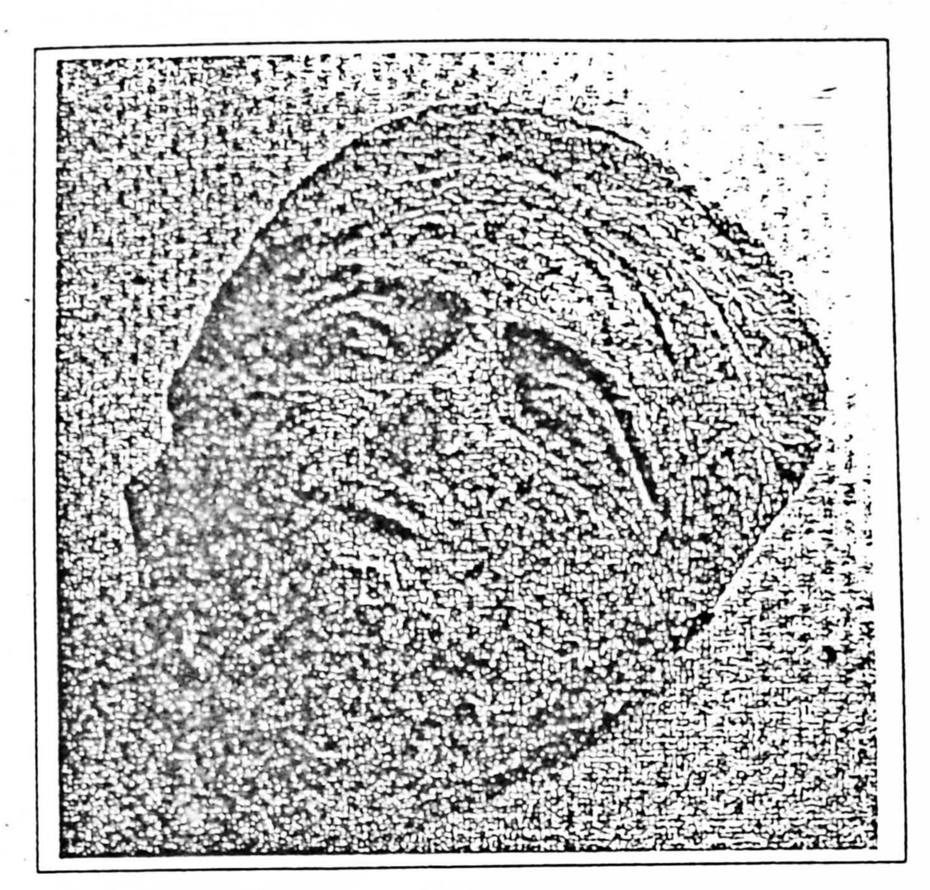
خريطة(٤): طرق التجارة البرية الرئيسية في شبه الجزيرة العربية وسورية.
الشمال
بحر الروم
الخليج الفارسي
انطاكية
حماه
تدمر
دورا-أوروبس
دمشق
بابل
غزه
البتراء
دومة الجندل
أيله
تيما
ددان
يثرب
مكه
اليمامة
ذات كهل
نجران
قرناو
مأرب
شبوه
تمنع
ميفعه
قنا
عدن
ظفار
سقطرى
فيلكا
جرها
طرق برية
١٥٠
٣٠٠كم



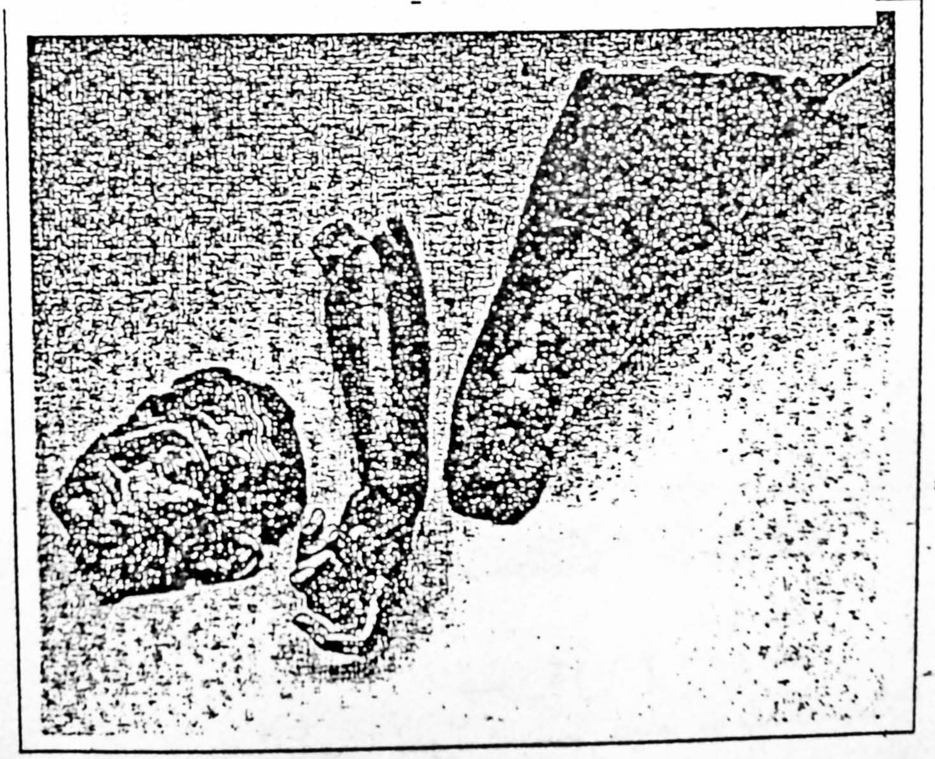
خريطة(٥): المسالك البحرية التي ربطت شبه الجزيرة العربية وسورية بالمناطق الأخرى.
الشمال
جزر القصدير
قادس
كورسيكا
سردينيا
اوتيكا
قرطاجه
صقليه
كورسيرا
كريت
رودوس
ليكيا
فيلكا
جرها
لويكي كومي
بربرغازا
الهند
موزا
قنا
عدن
سوقطرى
مسالك بحرية
١٠٠٠ كم



صورة (١)
من كتاب " شبوة عاصمة حضرموت القديمة"



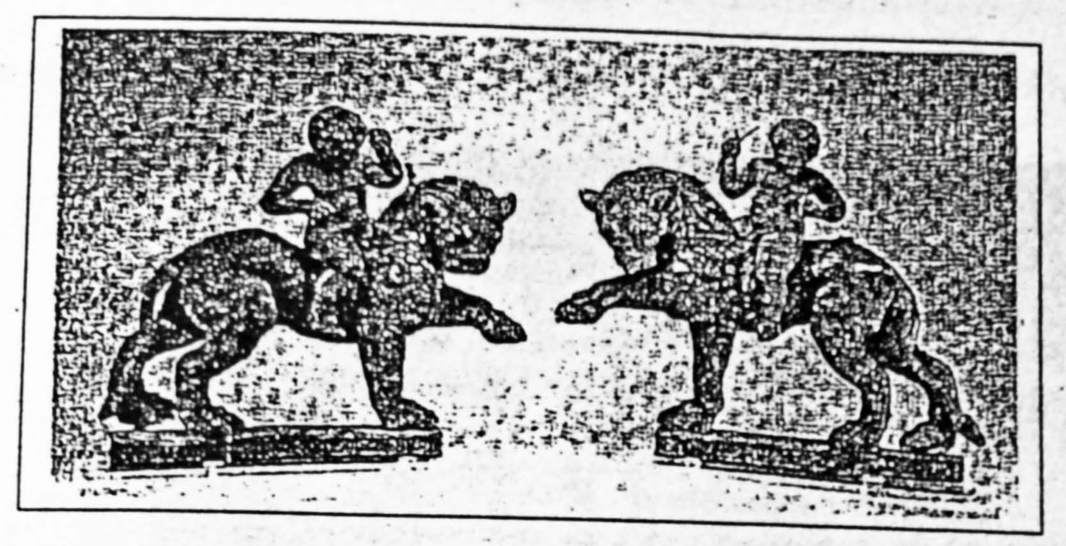
صورة (٢)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ



صورة (٣)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ
(أجزاء من أحد التمثالين)



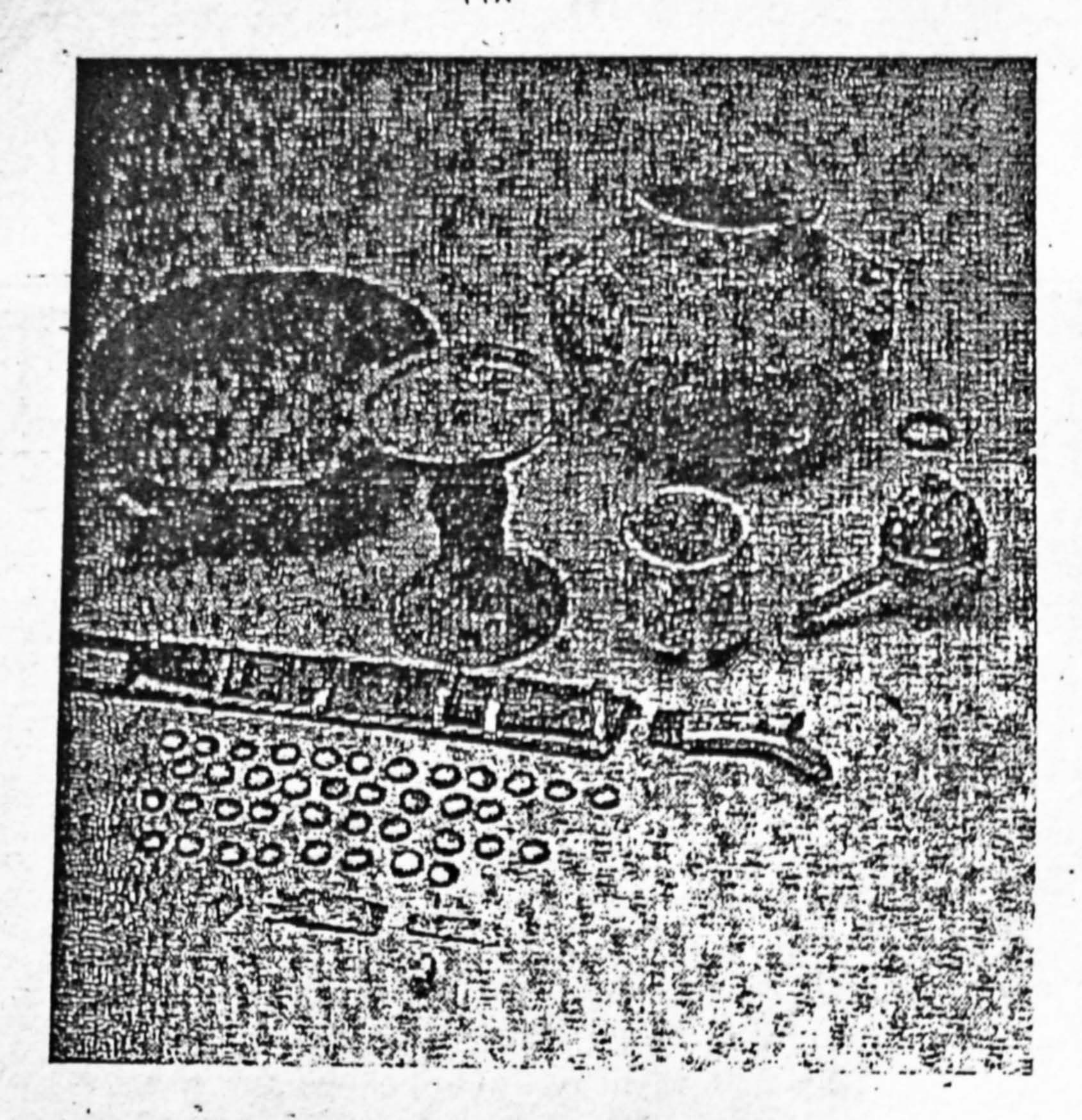
صورة(4) : من كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ .



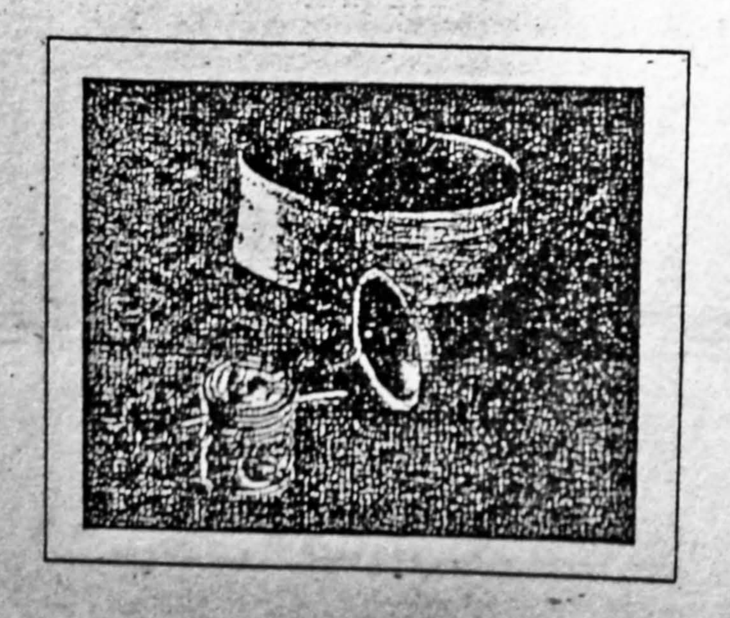
صورة (٥)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ"



صورة (٦)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ"



صورة (٧)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ"



صورة (٨)
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ"

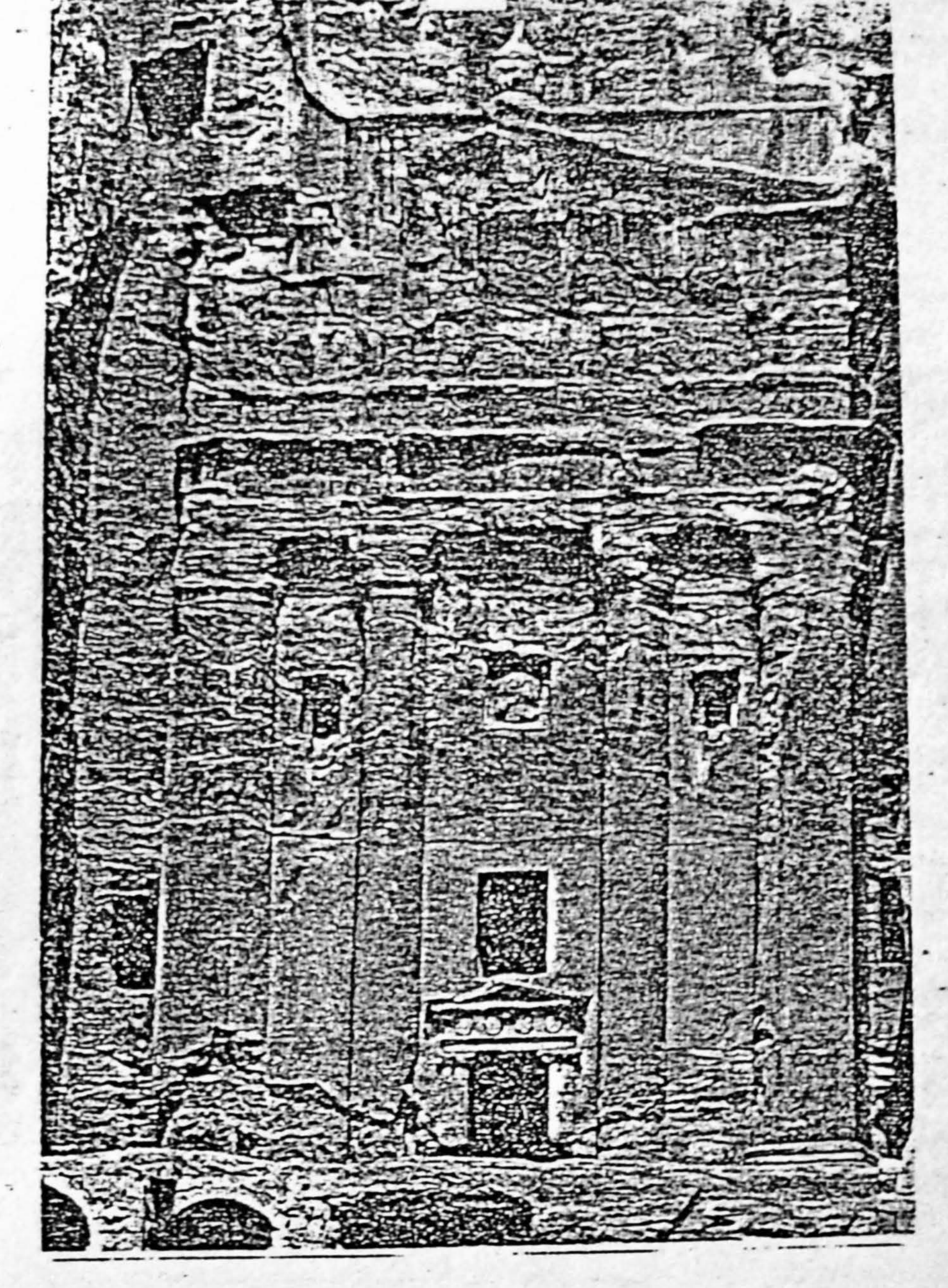


صورة (٩)

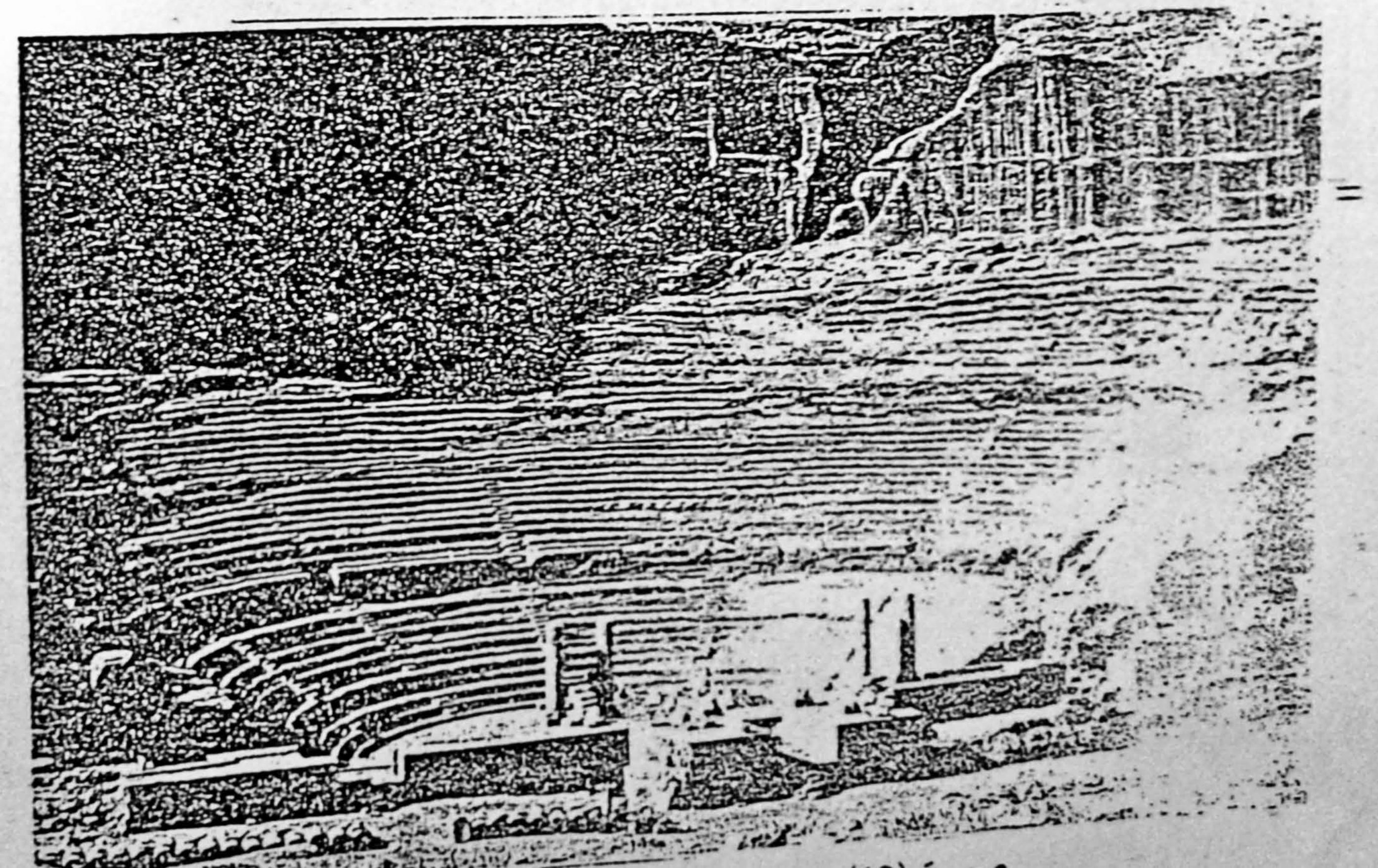
من كتاب " اليمن في بلاد مملكة سبأ"

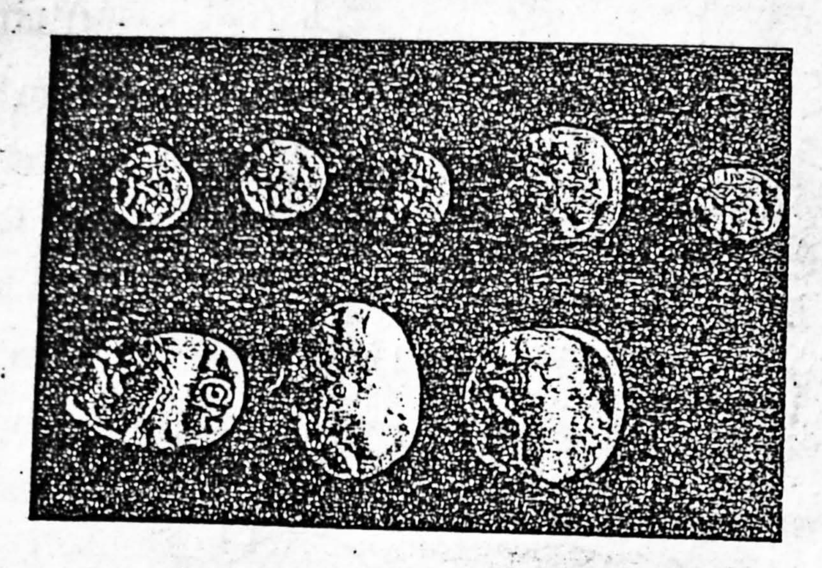


صورة (10): من كتاب إحسان عباس: دولة الأنباط.

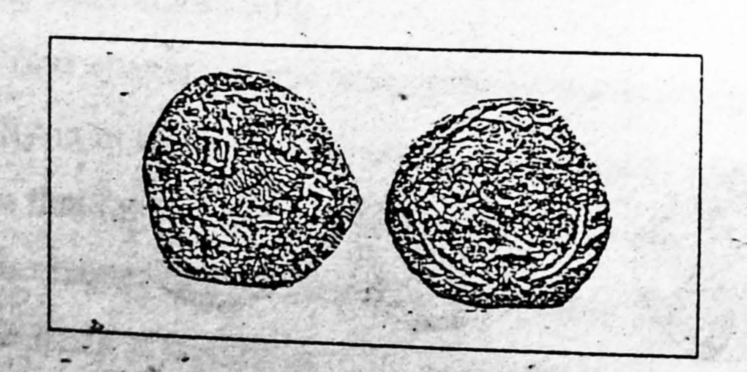


صورة (11): من كتاب إحسان عباس: دولة الأنباط.

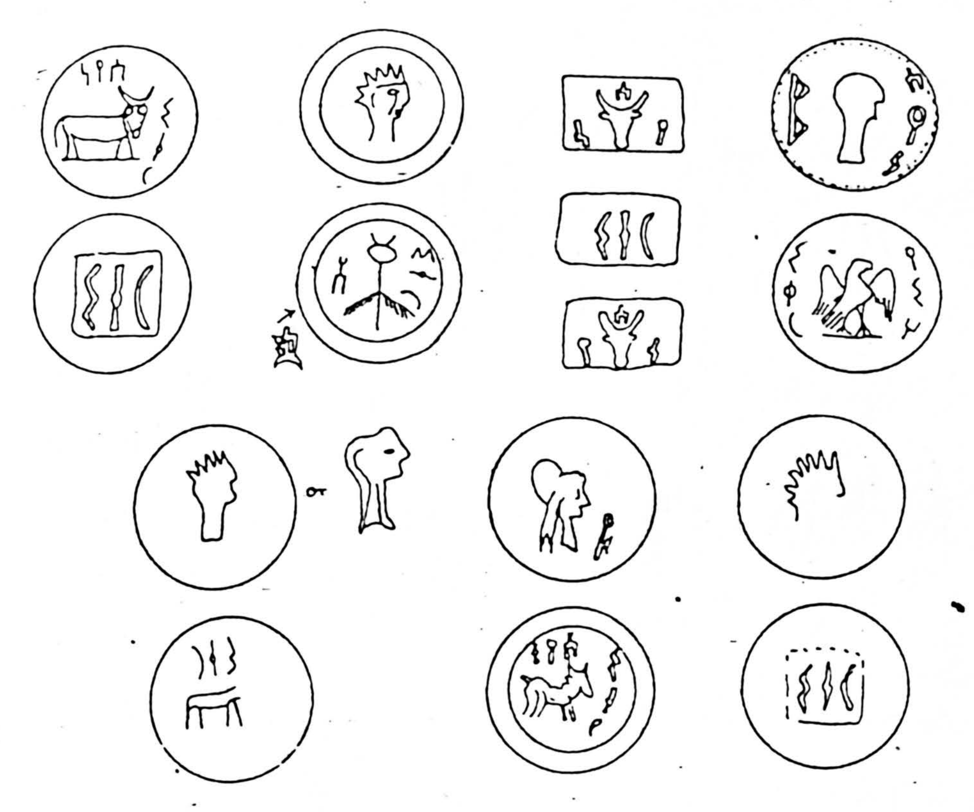




صورة (١٣): من موضوع فرج الله أحمد يوسف(يناير ٢٠٠٢م)
(مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام)
مجلة أدوماتو.



صورة (١٤): من موضوع فرج الله أحمد يوسف(يناير ٢٠٠٢م)
(مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام)
مجلة أدوماتو.



صورة (١٥):" من كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة".



صورة (١٦): من كتاب سير روس هولوي " موسوعة العملة".

Abstract

The Dissertation is having the topic of land trade amid Arab peninsula and Syria is the first millenium of B.c. Where trade actuated between these two segion for being their neighbouring sites, that is, free from natural obstacles, also both regions were producing agricultural, industrial and natural commodities of large circulation in the other region and those made a vital role since then in trade amid East and-west, where their strategic site in the middle of the old world made them perform the role of trading mediator high, many of their products were being demanded hard all over the world, then many of the cities of Arab peninsula and Syria had gained universal reputation made them the center of attraction of other kingdoms and peoples.

The dessertation was divided into an introduction and chapters :-

The introduction is having a look of the geography of Arab peninsula and Syria, and a talk had been done in about the most significant looks of the geography of two regions which were of the helping significant factors in activating trade amid them.

In the first chapter, focus was done on the political state of the Arab world and Syria in the first millennium to rest upon the political existences and regimes that the trading processes were made through these regions.

Also this chapter had the economical ingredients that they depended on, and were the basis of trading activity since then.

The second chapter defines the routes of land trade by which both regions were linked, and also the means of transporting the known wares since then , were (camel).

The researcher indicates the significant role that was done by sea ports in shaping of the international trading relations for them, in addition to the important trading centre and bazzars in the Arab peninsula and Syria.

The third chapter denotes on this study to the circulated commodities among Arab peninsula and Syria and the range of needs of both regions of them.

On the other hand of this chapter, the researcher has the topic of transporting merchandises and the trading dealing between them since then.

The fourth chapter covers the subject of retreat of trading activity of land routes with the remarkable reamination of sea routes in the end of the first m.B.c. and at the beginning of a.d. reign (age).

In the fifth chapter, he is having the following artistic influences from Syria towards the Arab peninsula with influences of trading activity exchanged amid them.

What importantly the researcher reached to in this dissertation was that was that the first M . of B.c. witnessed an increasing trade activity via the land routes among them and many of goods that were out of Arab peninsular to-wards Syria, either were not produced than there or brought from another zones- India, china and east Africa that were wares of good srignificance and desirable all over the old nearest east countries, while there were good quality merchanclises were being produced in Syria getting a circulating bazaar in many of Arab world regions, therefore, both regions made a big role in trading crossing among the countries of the old world.